2271
.45c
.342

2271.452,342
Ibn Hashim
Hadramawt tarikh al-dawlah
al-Kathiriyah

DATE	ISSUED TO
MAR 1 3 '62	Bindery
DEC 16 '62	B.B.COLLINS G
OCT 16 '65	B.B. COLLINS G
MAY 31 '66	B.B. COLLINS G
MAR 27 '68	INTER-LIBRARY LOAN U. of Wisconsin

DATE ISSUED	DATE DUE
DEC 16	
MAY 31	MAY 31'6
	MAR 27 '68

2271.452,342
Ibn Hashim
Hadramawt tarikh al-dawlah
al-Kathiriyah

DATE	ISSUED TO
MAR 1 3 '62	Bindery
DEC 16 '62	B.B.COLLINS G
OCT 16 '65	B.B. COLLINS G
MAY 31 '66	RENEWED
NP 1-23-67	INTER-LIBRARY LOAN Univ. of Wisconsin
MAR 27 '68	

Princeton University Library
32101 074441849

Ibn Hāshim, Muḥammad

حضرموت

تاريخ الدولة الكثيرية

Ḥaḍramawt

تأليف

محمد بن هاشم

الجزء الأول

إن الدولة الكثيرية هي رمز الوطنية الحضرمية، وتراث حضرموت التاريخي..

المؤرخ عبد الله الحبشي

قام بالإشراف على طبعه

محمد علي الجفري

١٣٦٧ الموافق ١٩٤٨

طبع على نفقة الخاصة السلطانية

2nd vol has not yet appeared

حضرة صاحب العظمة

السلطان جعفر بن منصور الكثيري

السلطان الحالي

حضرة صاحب العظمة المغفور له

السلطان علي بن منصور الكثيري

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

ثلاثة تقر فى هذا القطر الحضرمى سيذكرون إذ يدبج تاريخه الحديث ؛ كطليعة لقادة الفكر الجديد . وزعماء النهضة الإصلاحية ، ودعاة انقلاب . انقلاب يشمل كافة مرافق الحياة ، وينفخ الروح فى هذا الجسد الذى افتقدها منذ مئات السنين ، وعاش بعيداً عنها فى عالم غير عالمها . إن أمكن أن تكون لجسد من غير روح حياة . اللهم إلا إذا جاز أن يعد من الأحياء جدث عصمته الأقدار من الفناء بعد فراق روحه إلى دار البقاء .

هذا النفر أو هذه السلسلة الذهبية النيرة ؛ تبدأ بالسيد أبى بكر بن عبد الرحمن ابن شهاب ، ثم بالسيد محمد بن عقيل ، وأخيراً بالسيد محمد بن هاشم ، مؤلف هذا الكتاب القيم الذى يقدم لنا اليوم الجزء الأول منه .

لن يستطيع — ولو أراد — أى متصدر لتاريخ النهضة الحضرمية أن ينكر أو يتجاهل هذه الحقيقة الخالدة . وهى أن هذا النفر من الأفذاذ هم قادة لواء النهضة الحضرمية الحديثة ، وواضعوا أسسها ، وأول من حاول إزالة الغشاوة عن أعين قومهم ، وبالتالى أول من واجه العاصفة التى لابد وأن يواجهها كل مجدد ، يهدف إلى إمالة قومه عن نهج اعتادوه ؛ أو جهالة ألفوا إليها ؛ أو تقاليد ابتدعوها ، فأصبحت منهم بمثابة الدين الذى لا يأتيه الباطل من أى الجهات ؛ أو فتن متراكمة بعضها فوق بعض ، استكانوا لها ، فاطمأنوا إليها ، فصارت جزءاً من حياتهم ، لا هم يستطيعون التخلص منها ، ولا هى ترتاح إلى الابتعاد عنهم .

ولذلك فهم يعجبون أيما عجب لهذه الصرخات التى يجأر بها أفراد ، هم فى معتقدهم أقرب إلى الضلال منهم إلى الهدى ، حادوا عن النهج القويم واتبعوا الهوى ، فكلما يأتون به باطل ، وكل ماينادون به ضلال .

هذه هى العاصفة التى واجهها محمد بن هاشم ، ومن قبله محمد بن عقيل ، ومن قبلهما أستاذهما أبو بكر بن شهاب ، وغيرهم من رجالات الفكر الحضرمى فما ضعفوا وما استكانوا ، وما تلجلجت بهم الخطى ، أو خارت منهم العزائم .

2271
.452
342

ترعرع محمد بن هاشم ونشأ فى بيت آل طاهر ، وتغذى من لبان هـذا البيت التليد بقرية « المسيلة » الواقعة جنوبى مدينة « تريم » . والواقع أن هذه القرية الصغيرة المتواضعة العمران أخرجت من بين جدرانها عباقرة كان لهم شأن وأى شأن فى ماجريات الأمور بحضرموت .

ففى عرصاتها جهر بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ونادى منادى الاتحاد والتعاون للقضاء على الشرور والآثام ، أمير المؤمنين الإمام الناصر لدين الله طاهر بن الحسين ، الذى بايعه الحضارمة بالخلافة فى النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجرى ، وبرز أخوه إمام عصره فى العلم والعبادة والإصلاح عبد الله[1] بن الحسين .

ومن أرباضها سطع نور محمد بن عقيل[2] الجهبذ المصلح الذى حاول مرات تطبيق نظرياته فى الإصلاح غير أن الحظوظ لم تكن مواتية . ولم تقعد به همته بل نظر إلى حضرموت كجزء من كل بالنسبة « لليمن الكبرى » فاتصل بصنعاء وإمامها ، ونشر تعاليمه ومبادئه فى ربوعها ، وتشرب بآرائه الكثيرون وفى مقدمتهم سيف الأسلام محمد أمير الحديدة عليه رحمة الله ، الذى لولا أن عاجلته المنية لكان لليمن شأن غير شأنها اليوم . وهكذا كان سوء الحظ يقف من ابن عقيل وآرائه موقف العداء !! معرقلا سائر خططه ومشاريعه الإصلاحية ، لحكمة قدرها الله . وقضاء أراده .

وأخيراً وليس آخراً ، أنجبت محمداً بن هاشم .

تلقى ابن هاشم دراسته على علماء ومشايخ جيله ، متردداً بين « المسيلة » و « سيوون » و « تريم » ، وفى مقدمتهم أستاذنا القدوة الحبيب عبد الله[3]

---

(١) جد المؤلف .

(٢) والده عقيل بن عبد الله بن يحيى إمام من أئمة حضرموت فى أواخر القرن الثالث عشر ، تقى وعلماً وإصلاحاً . خاض المعامع السياسية وحاول جمع الكلمة والقضاء على الفساد توفى عليه رحمة الله سنة ١٢٩٤ هـ

(٣) أستاذنا القدوة الحبيب عبد الله بن عمر الشاطرى عليه رضوان الله هو صاحب رباط الشاطرى العلمى بمدينة (تريم) وهو علم من أعلام الدعوة العلمية ، وأستاذ جنوب الجزيرة العربية فى النصف الاول من هذا القرن ، ولا توجد مدينة أو قرية فى حضرموت أو غيرها من مقاطعات جنوب اليمن إلا وتلامذته منتشرون فيها بل أنهم ليردون اليه من شرق أفريقيا والهند وجاوه للتلمذة . توفى عليه رحمة الله سنة ١٩٤٢م .

ابن عمر الشاطرى . وكان من أبرز أساتذته ، وأشدهم فيه أثراً ؛ أبو بكر ابن شهاب . فنشأ مثله ثائراً على الأوضاع المقلوبة ، متحفزاً لحياة جديدة تستبدل بها حياة الجمود والركود ، والفتن والفوضى . وكانت حضرموت ميداناً فسيحاً لكل ذلك ، ومرتعاً خصباً للجمود العقلى الطاغى المتمثل فى التمسك بقشور من ثقافة ، كانت يانعة فأجدبت ، خصبة فأمحلت ، عظيمة فتضاءلت . . .

ومن الإنصاف أن نذكر أنه على الرغم من الإنهيار الفكرى الذى كانت تقاسيه حضرموت خلال العصور الأخيرة فإنها لم تعدم طيلة هذه العصور أفراداً بلغوا من الرقى الفكرى أسمى درجاته ، وتحلوا بمزايا ترفعهم إلى مصاف الهداة المرشدين .

فلما أن بلغ ابن هاشم أشده واستوى ، تحقق أنه لن يجد لآرائه وأفكاره مجالا فى مثل هذه الأجواء العاصفة به تنفيذها وإخراجها إلى حيز الوجود . فشد الرحال إلى جاوه . فبها المجال متسع ، وجاليتها الحضرمية من الكثافة والانتعاش الاقتصادى ما يمكنه من بث تعاليمه ، على أن آراءه ومبادئه وأفكاره وهو بحضرموت كانت فى مسيس الحاجة إلى الصقل والتركيز والتبلور ، ولن تظفر بذلك إلا إذا رحل إلى الخارج . ومن قبله غادر حضرموت أستاذاه ابن شهاب وابن عقيل ثورة على الظلم الاجتماعى والسياسى ، وليجدا لآرائهما ومبادئهما متنفساً ومجالا .

واتجه ابن هاشم الاتجاه الطبيعى للإصلاح المدعم فباشر التدريس فى مدرسة « جمعية خير » بمدينة « بتافيا » عاصمة جاوه . ثم انتقل إلى « باكلنجان » (إحدى مدن وسط جاوه) فأنشأ بها مدرسة « شمائل الهدى » ، وتخرج على يده الكثيرون ثم بارحها إلى « سورابايا » عاصمة جاوه الثانية فأسس « المدرسة الحضرمية » . وكانت هذه المدرسة مجالا لتطبيق نظريات التربية الحديثة ، حتى أنه كان يجمع بين الجنسين فى أدوار التعليم الأولى . وذاعت شهرته ، ونجح نجاحا منقطع النظير ، لولا أن المادة كانت تنقصه مما أثر على مشاريعه أثراً بينا . ولم يقصر نشاطه الإصلاحى فى المجال المدرسى رغم تفننه فيه وإبداعه ؛ بل اتخذ من الصحافة منبرا يفتح المغلق من العقول ، ويهذب

من لم تعد المدرسة ذات نفع له فصال قلمه وجال فى صحيفة «الإصلاح» التى كان يصدرها محمد بن عقيل فى «سنغفورة». ويمكن القول أن هذه الصحيفة كانت مدرسته الصحفية التى تخرج منها . وعندما انتقل إلى « باكلنجان » أنشأ جريدة « المدرسة » النصف شهرية وبعد ذلك رأس تحرير جريدة « الأقبال » فجريدة « حضرموت » بمدينة « سورابايا » لصاحبها السيد عيدروس المشهور ، وآخر جهوده بجاوه قدومه على رأس بعثة من بضعة عشر طالباً إلى مصر لإلحاقهم بمعاهدها ولقد كان المال (وهو عصب المشاريع) يقف دائماً أبدا دونه والنجاح الكامل والسير فى مشاريعه إلى نهايتها . فعاد أخيرا إلى وطنه حضرموت سنة ١٩٢٧ م بدعوة من السادة آل الكاف ليتولى نظارة مدرستهم بمدينة (تريم) فوجد أن الظروف ليست مواتية بعد للعمل المجدى ، فقصر نشاطه على الاتصال بكثير من الشباب المتحفز ، يرسم لهم المنهاج ، ويوجههم التوجيه السليم ، حتى تولى صاحب العظمة السلطان جعفر بن منصور الكثيرى السلطنة سنة ١٣٥٧ هـ فاستدعاه ليتولى سكرتيرية السلطنة ، وكان قبل ذلك موضع ثقة واستشارة السلطان على بن منصور عليه رحمة الله ، وقام بأعباء السكرتارية حتى حدوث التطورات السياسية الأخيرة فاستقال للتفرغ لشئون التعليم ، وتولى أمر المدرسة السلطانية بمدينة « سيوون » .

ولسنا بصدد تاريخ حياة ابن هاشم حتى نطيل . ولكن ما نهدف اليه هنا هو : أن ابن هاشم علم من أعلام النهضة الحضرمية فى هذا العصر الحديث ما فى ذلك من شك ، وأنه أستاذ الجيل الجديد من الحضارمة بطريق مباشر أو غير مباشر ، وأن جهاده فى سبيل حضرموت جهاد عملى فهو غير مجهول أو منكور . وما هذا التأليف الذى بين أيدينا والذى نقدم له بهذه المقدمة إلا تتويج لهذه الجهود ، وتتميم لنقص شعر به وهو يافع لا يزال يتلقى علومه ، ثم وهو شاب ، فرب حاول إخراج ناشئة تقود قومها إلى حياة مليئة بالنشاط الفكرى ، وتصرفهم عما هم فيه من الانشغال بتوافه الأمور .

والواقع الذى يحز فى النفس ويملأها مرارة وغصصا ، أن تاريخ هذا الجنوب العربى من مشارف عدن والحديدة غرباً حتى ضفاف الخليج الفارسى الغربية الجنوبية ، مبهم غامض ! ! لا يكاد ما وصلنا منه يبل غليلا أو يروى ظامئاً . والمراجع الموجودة على قلتها وندرتها لا تكفى لتسليط ضوء ساطع يكشف

الغامض ، ويوضح المبهم . وإنما هى شتات من معلومات متفرقة هنا وهناك هى فى مجموعها لا تقدم لنا إلا صورة غير واضحة المعالم ، ولا محددة الهيكل .

وعزيز علينا أبناء الجنوب العربى أن نعيش جاهلين لتاريخ بلادنا ، منقطعة الصلة والأسباب بيننا وبينه . وليت الأمر قاصراً على تاريخنا القديم قبل الإسلام بل نقصد بذلك أولا بالذات تاريخنا الإسلامى . ففى نفس الوقت الذى نجد فيه أن تاريخ البلاد العربية الشمالية وغيرها من البلاد الإسلامية المجاورة مدروساً دراسة شاملة ؛ نجد أن البلاد العربية الجنوبية قد أهملها مؤرخو الإسلام فى كافة العصور ! ! ولا نجد لها ذكرا اللهم إلا ما يشار إليه من تعيين الخليفة الأموى أو العباسى لفلان الفلانى أميرا على اليمن أو غيرها من جهات الجنوب ؛ أو ما يذكر عرضاً عن حركات الخوارج فى عمان وحضرموت ! ! !

ولا يجوز أبدا ، وبأى حال من الأحوال ، أن يظن ظان أن هذا راجع إلى تفاهة هذه البلاد فى العصور الإسلامية المختلفة . فقد نشأت دول ذات سطوة وبأس عظيمين فى حضر موت وعمان وصنعاء وعدن وما جاورها . بلغت من الشأو مبلغاً عظيما ، نجد فى بطون الكتب لمحات عنها ، وفيما بين أيدينا من المراجع التاريخية القليلة ما يكفى لإثبات ذلك . ولكنه إهمال لا نبرىء منه مؤرخى العرب للعصرين الأموى والعباسى ، ولا نبرىء منه مؤرخى الجنوب فى كافة العصور . أو لعلهم قاموا بما عليهم فحالت يد الضياع والإهمال دون وصولها إلى أيدينا .

ومن هنا كان لنا أن نغتبط أيما اغتباط لهذه المحاولات التى يبذلها علماؤنا المعاصرون لأحياء ما اندثر من تاريخنا ، وجمع ما تفرق منه فى بطون الكتب ، وابراز المراجع المغمورة التافهة فى المكاتب . فأخرج لنا سمو الأمير أحمد فضل العبدلى رحمه الله كتاب «هدية الزمن فى أخبار ملوك لحج وعدن» والسيد العلامة الكبير علوى بن طاهر الحداد تاريخه «الشامل فى تاريخ حضرموت ومخاليفها» فى ثلاثة أجزاء طبع أولها ، وانتهى من تأليف كتابه «عقد الياقوت فى تاريخ حضرموت» فى نحو ثمان مجلدات . وسمعنا ببعض الأدباء المهتمين بالتأليف فى تاريخ حضرموت كعلامة حضرموت السيد ابن عبيد الله والشاعر الأديب السيد صالح الحامد ، والسيد الغيور عبد الله بن حسن بلفقيه المهتم بدراسة

الأمام أحمد بن عيسى المهاجر وعصره ، وترامى إلينا نبأ تأليف لجنة بصنعاء من العلماء فى حياة الأمام يحيى عليه رحمة الله ، وكل إليها جمع تاريخ اليمن العام ، ووضعت تحت تصرفها كافة المراجع اللازمة ، وتخصص كل فريق فى كتابة عصر من العصور ، ولا ندرى مدى ما وصلت إليه هذه اللجنة حتى الآن . وكنت أعلم أن الزميل الأستاذ محيى الدين العنسى عليه رحمة الله كان مهتما بجمع تاريخ اليمن وعلى وشك أن يطبع ما انتهى إليه منه لولا أن عاجلته المنية بإعدامه فى نهاية المأساة اليمنية الكبرى الناشئة عن مقتل الأمام يحيى عليه الرحمة .

وها نحن نظفر بكتاب قيم هو كتاب الأستاذ ابن هاشم عن (تاريخ الدولة الكثيرية) . وكل هذه أن هى الا محاولات لسد هذه النقص الشنيع تهدف إلى جمع كافة المعلومات عن تاريخنا ، ليأتى بعدئذ من يغربلها ويبرزها فى ثوب قشيب ، ملائم لروح العصر ، ومنطبق على الأصول العلمية الحديثة فى البحث والتحقيق والتحليل .

ولن يقدر الجهود التى بذلتها هذه الطليعة من بحاثينا ، ولن يزنها بميزانها الصحيح ، إلا من أدرك حقيقة المراجع التى اعتمدوا عليها ، وقصورها وندرتها ، وتضاربها نتيجة لمذاهب مؤلفيها السياسية أو الطائفيه . أو نتيجة لتباين المقاييس التى توزن بها الأمور لدى كل منهم ، أو اختلاف مصادرهم التى استقوا منها الأنباء .

ولقد حاول بن هاشم أن يتغلب على كثير من العقبات الناشئة عما ذكرنا . يلمسه من أمعن فى دراسة كتابه وتتبع خطواته فيه ، ولكنه مع ذلك لم يستطع التخلص من قيودها وتذليل كافة صعابها . وما كان لغيره أن ينجح فيما أخفق هو فيه مالم تتجمع لديه الأسباب . وإن تكن هنالك هنة للأستاذ ابن هاشم فهى تهربه من التحليل للأحداث والتعليق عليها التعليق الشافى ، وقد أشار إلى ذلك فى مستهل القسم الأول من الكتاب بقوله : (وبعد فقد التزمنا على أنفسنا فى هذا الكتاب ، أن نكتب ماعثرنا عليه فى كتب التاريخ من أخبار القوم مجردة من الانتقادات والملاحظات . فلا نقول أن القائد الفلانى ارتكب الغلطة الفلانية أولو أن السلطان الفلانى عمل كذا . لأنا أعلم الناس بعجزنا وقصورنا عن أدراك الظروف المحيطة بذلك القائد او السلطان . إلى أن يقول بعد هجوم عنيف على الذين يعمدون لذلك : ولست أجد لى حقا

فى مؤاخذتى أشخاصاً على سلوك سلكوه أناخت على علله وأسبابه السنون ، ودفنت مبرراته ومسوغاته طوال القرن) .

ولعل لابن هاشم العذر فى قلة المراجع وتفاهة ما وصل إلينا من الملابسات التى اكتنفت تلكم الأحداث الجسام . على أنه وهو الأديب البحاثة بطبعه لم ينهج هذا النهج على أطلاقه ، بل نرى طبيعته تتغلب عليه فى كثير من المواطن فيحلل ويسهب فى التحليل ، ويحاول تبسيط الحوادث ، وأرجاعها إلى أصولها الطبيعية .

وابن هاشم على أنه علم من أعلام المجددين المصلحين فى حضرموت ، وقائدمن قادة الجيل الجديد فهوعلم من أعلام الأدب له فيه جولات وصولات ، شعراً ونثرا ، وهذه الجرائد التى أنشأها أو اشترك فى تحريرها شاهد ماثل للعيان . فمقالاته — وخاصة فى جريدة حضرموت — نبراس للأدب الرفيع والبحوث الشيقة ، والخصام العف المتزن وقد كنانود ألا يتأثر أسلوبه فى كتابه هذا بما بين يديه من المراجع القديمة ، ومحاولته التقيد بالنصوص الواردة فيها ، على أن أسلوبه الرفيع يبرز بروزاً واضحاً فى كثير من فصول الكتاب فينم عما امتاز به من نبوغ كاسح ، وقوة عارضة ، وعرض رشيق .

ولقد قصر الأستاذ ابن هاشم تأليفه على تاريخ الدولة الكثيرية . أى منذ القرن الثامن الهجرى حتى عصرنا هذا ، مع ألمامة موجزة مختصرة عن القرون السادس والسابع والثامن . وسيختلف الناس فى انتهاجه هذا السبيل ولعل الغالبية ستأخذ عليه ذلك ، وتفضل أن تراه يقدم إليها تاريخ حضرموت العام ، قبل الاسلام وبعد الأسلام ، ولهؤلاء الحق فى اتجاههم هذا ، وميلهم إليه . فالأحساس العميق الجياش بحاجتنا إلى تاريخ شامل ، والأيمان بقدرة ابن هاشم على ارتياد هذا الميدان هما اللذان يدفعان هذا الفريق إلى الرغبة فى أن يكون تاريخه شاملا عاما . ولكنى لاأظن ابن هاشم قد جانب الصواب فيما نهج إليه ، أو حاد عن أقوم الطرق . فهو يعلم أن تاريخ حضر موت قبل الأسلام غامض غموضاً غريبا يجعل الباحث المدقق يتردد ألف مرة ومرة قبل أن أن يخوض فى مهامهه ، ولا يرضى لنفسه ذلك إلا إذا تجمعت لديه الأسباب ، والمصادر المأمونة . على أنه لو تعرض له سيكون كلامه عنه مقتضباً

لايبل فم الصادى . أما تاريخ حضرموت بعد الاسلام فقد كان مرتبطا بتاريخ البلاد الاسلامية عامة فى القرون الأولى ، وأصبحت مسرحاً خلال ذلك ، وفى القرون التى تلتها لمذاهب الخوارج ، ومجالا لمناوراتهم وحركاتهم ثم كان أن تغلب أهل السنة والجماعة ، وقضوا على قوى الخوارج ومبادئهم الهدامة . وهنا لم تستقر الأمور بحضر موت لأحد من الولاة ؛ بل ظلت مقسمة شيعاً وطوائف ردحاً من الزمن حتى قيض الله لها الكثيريين فاستطاعوا بعد لأى توحيدها تحت قيادتهم على ما فى هذا التعبير من التسامح . فرأى ابن هاشم أن خير خدمة عاجلة يقدمها هى انجاز أبحاثه فى التاريخ الحضرمى منذ قيام الدولة الكثيرية حتى يومنا هذا . وخاصة لأن المراجع منذ هذا التاريخ ، والمصادر التى يمكن الاعتماد عليها أسلم وأدق بالنسبة لما قبله .

ومن الحقائق المسلم بها فى عالم البحوث الحديثة نظرية التخصص . فلم يعد هنا لك مجال للتاريخ الشامل لكافة العصور ، بل يعمد البحاثة إلى عصر خاص ، أو طائفة معينة ، أو موضوع بذاته ، فيشبعه بحثاً وتحليلا وأبانة ، وابن هاشم فى اختصاصه الدولة الكثيرية بتاريخه انما كان ينحو هذا النحو الحديث .

على أن تاريخ الدولة الكثيرية يعنى تاريخ حضرموت خلال هذه الحقبة التى تبدأ منذ القرن الثامن الهجرى حتى اليوم ، فأية خدمة جلى أداها ابن هاشم لأبناء الجنوب العربى بتاريخه هذا ؟

والحق أن آل كثير هم (تراث حضرموت التاريخى ، ورمز الوطنية الحضرمية) ففيهم تتمثل هذه القرون السبعة بما فيها من أحداث جسام ، ومفاخر عظيمة . ففى كل صقع من أصقاع حضرموت لهم ذكرى ، وفى كل جبل من جبالها ، وواد من أوديتها ، ومهمه من مهامهها بقية من عرفهم وأثر من سلطانهم ، باق خالد لاتسفيه الرياح ، ولا يمحيه كر الليالى ، ولا مر الأيام روت دماؤهم ثراها ، واستنشقت أنفاسهم هواها والتصقت أكبادهم بتربتها ، وأشربت قلوبهم بحبها ؛ فهم منها وهى منهم ؛ ألفان لاينفصلان ؛ على ذلك يحيان وعليه يفنيان .

أن المتتبع للتاريخ الحضرمى ليقتنع بذلك تمام الاقناع فما قامت دولة آل

كثير أول ماقامت إلا على أساس من الهدى ، وجمع الشمل ، والقضاء على الفساد الشامل ، والضلالة المضلة . ولم تنشأ أول مانشأت إلا على أكتاف العلماء ، والصلحاء ، والأولياء الأطهار من الأئمة . فقد كانوا عمادها وسلاحها الذى لايفل ولا أدل على ذلك من قول العلامة الشيخ على بن عمر باعباد من أئمة القرن السابع : نحن وآل كثير شىء واحد كالكفين من الساعد ، أو كتفاحتين من شجرة ، ويقصد بقوله «نحن» : رجال العلم والصلاح والدعاة إلى الله .

واستمرت علاقتهم برجال الإصلاح ودعاة الفضيلة والسنة المحمدية قوية متينة طيلة عصور التاريخ ، اللهم إلا ما ينجم أحيانا من التصادم والفتور فى العلاقات ولكن ذلك كسحابة صيف سرعان ماتنقشع فيعود الجو إلى صفائه السابق . وحقيقة أخرى يستخلصها الباحث فى تاريخ هذه الدولة هى أن سلاطينها لم يكونوا ذوى غطرسة وجبروت اللهم إلا القليل منهم ممن لايذكر فى مقام التعميم ، فكانت سيرتهم فى الرعية سيرة رفق وتواضع وعدل . وقد كان لكل ذلك أثره فى توطيد ملكهم ، ودوام سلطانهم وحب عامة الناس لهم .

وبعد : فالأستاذ محمد بن هاشم يقدم لنا كتابه : (تاريخ الدولة الكثيرية) فى وقت بدأت فيه حضرموت تشق طريقها لتقيم أمورها على أسس جديدة من الحياة ، وتنفض عن نفسها غبار الركود العام الذى لازمها خلال العصور المتأخرة . فينير بذلك لها السبيل ، ويكشف لها صورة صادقة من ماضيها . عله يكون لها منه عظة وعبرة ، تلهمها طريق السداد وتدفع بشبابها إلى ميدان المجد الفسيح ، بقلوب ذكية ، وفتوة عارمة ، وإيمان لا تكفكف من غلوائه الصعاب ولا العقبات .

والله نسأل أن يحقق الآمال ، ويعيد مجد العروبة قوياً فتياً ، ويرفع رايتها خفاقة ، لألاءة ، تنشر الهداية والعدل والسلام ، فتعيد للأرواح صفاءها وللمبادىء السامية قدسيتها المفقودة ؟

محمد على الجفرى
العالمية مع أجازة القضاء من كلية الشريعة الأسلامية
العالمية مع أجازة التدريس والتربية من كلية اللغة العربية
بالجامعة الأزهرية

مقدمة المؤلف

الحمد لله على أفضاله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله .

وبعد فللدولة الكثيرية حق على رجال التاريخ من أبناء حضرموت التى ظلت الاضطرابات العشائرية ملقية جرانها عليها منذ القرن الأول من الهجرة حتى أواخر القرن السابع إذ نضج الجهاد الكثيرى فأسس لحضرموت دولة هامة أنقذتها من ذلك الكابوس الفوضوى الآخذ بخناقها طول تلك الأجيال

إذاً فهو انقلاب رائع لم يكن إغفال تسجيله إلا تفريط شائن يعاقب بشأنه حملة الأقلام التاريخية عقاباً قارصاً .

والدولة الكثيرية لها مداها الواسع ، وأجيالها الطويلة ، ورجالها البواسل ومعاصروها الكثيرون من العلماء والأدباء ، وأخبارهم الشائقة ، ونوادر عصورهم الطريفة — كل هذا لم يصل إلينا منه إلا النزر اليسير المتفرق والمحشور عرضاً فى طيات قصة أو حشو منقبة ، فقد فاتنا بإهمال الكتاب علم كثير وأدب جم لو وصل إلينا لكنا غيرنا الآن .

وفى هذه الأجزاء التى جمعتها أقدم لسادتى القراء مقتطفات متواضعة مما استطعت العثور عليه من أخبار القوم بعد البحث والتنقيب ما لعله يبل اللهاة نوعا ويلقى ضوءاً يسيراً لسالكى هذا الطريق ، تاركا حياة الرجال وتفاصيل الأحوال إلى ذوى النشاط من البحاثين الكرام . أو إلى فرصة أخرى تسنح لى إن مد الله فى الأجل .

والدولة الكثيرية هى رمز الوطنية الحضرمية وتراث حضرموت التاريخى فارضا بأهمال تاريخ الدولة الكثيرية هو الرضا بأهمال كل هذا ، والله المستعان فى كل حال .

محمد بن هاشم

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

لبزوغ الدولة الكثيرية

لبنى كثير بن ظنة بن عبد الله بن حرام بن عمر بن سبأ[1] الأكبر نفوس طموحة إلى المعالى والمجد ، نزاعة إلى التغلب والتفوق ، لم يرضها رفيع شمهما واستشراف همهما بأن تجنح إلى الهدوء والسكون عند ما كانت الجوالى المهاجرة إلى وطنها والطوائف الدعية به وغير الدعية ، تتناهب السلطة فيه ، وتتنازع الاستيلاء عليه وتثير زوابع قاسية ، وأعاصير عاتية ، من الفتن الصماء للقبض على نواصى السيطرة والحكم بهذا القطر البائس وسكانه المنكودى الحظ آنذاك .

الداعى لحركة بنى كثير :

فى أواخر القرن السادس بينما كانت حضرموت ميداناً للمناورات السياسية وأتونا جحيمياً تتساقط فيه الأطماع البشرية من أجانب ووطنيين . وبينما كانت الفوضى السياسية تحتل ربى البلاد ووهادها ، تمور على شعابها وحضيضها ، وباديها وحاضرها موراً يذهل الألباب ويرعد الفرائص . وبينما هذا القطر إذ ذاك حبل المشادة بين بنى راشد بن أقيال وبنى يمانى بن الأعلم ورجال الغز وهم الهاجمون من العساكر المصرية الآتى ذكرهم وجيوش ابن مهدى اليمنى وغير هؤلاء من العشائر الوطنية من نهد وبنى حارثة وبنى حرام ... فى ذلك الوقت العصيب رأى بنو كثير بن ظنه أن يضربوا لأنفسهم بسهم مستقل فى مشروع

---

(١) بحضرموت قبيلتان عظيمتان ، إحداهما كنانية والأخرى قحطانية . وكلاهما ينتسبان إلى ظنة وإلى حرام وكلاهما له دولة وصولة ، فآل كثير ينتسبون إلى ظنة الراس بن عبد الله ابن حرام القحطاني ، وآل يمانى سلاطين تريم ينتسبون إلى ظنة بن حرام بن ملكان الكنانى قال الشيخ محمد بن عبد الله بن سليمان الخطيب فى كتابه « برد النعيم » الذى فرغ منه سنة ١٠٢٥ نقلا عن تاريخ الأهدل : والأمراء بمدينة حلى بنى يعقوب يشتهرون ببنى حرام بن ملكان من كنانة . انتقل جماعة منهم إلى حضرموت . وجدهم ظنة بن حرام .

العراك السياسى ، وأن يشقوا لعصاميتهم طريقا بين الجموع الفوضية ، فانطلقوا يبرمون وينقضون ، ويغزون ويصولون ، وقد جمحت بهم عصاميتهم الغريزية وحميتهم الوطنية إلى أبعد مدى فى الإيغال إلى محو كل سلطة فوضية سياسية لم يسوغها حق غير النهب والفتح والاستيلاء على بلاد الغير .

واستقتل بنو كثير فى تنفيذ تلك الخطة التى جاشت بها نفوسهم ، والتى توصلهم إلى الشأو المطلوب وهو إنقاذ الوطن من تلك الفوضى الرهيبة والفتن المكتسحة ، فلم ترعهم صولة الغز ونفوذ قوم تووان ، ولا دولة آل راشد ولا غارات نهد وبنى حارثة ، بل كونوا لأنفسهم كيانا وطيداً ورأيا عاما بعد أن انتعلوا الدماء ، وافترشوا القتاد ، واكتحلوا السهاد ، وقاسوا من تنازع البقاء مع قوم شديدى البأس أقوياء المراس مالا يكاد يطاق سنينا طويلة المدد كثيرة العدد .

غزوة الغز وموقف الكثيرية :

فى سنة ٥٧٥ هـ غزا رجال الغز غزواتهم العنيفة على حضرموت ودخلوا تريم يوم الجمعة لأربع خلون من ذى الحجة تحت قيادة أميرهم عثمان بن على الزنجالى أو الزنجبيلى كما يقول البعض ، أو الزنجارى كما يقول بعض آخر ... دخلوا تريم بعد قتال شديد مع سلاطينها آل راشد . وليس بنو كثير يومئذ إلا عصابة خاملة من أضعف العصابات الوطنية حولا وطولا . بيد أن لها أعناقا تتطاول إلى ما وراء الأفق البعيد مما لا ترمى إليه ولا تحلم به مطامع المتكالبين على الغارات والغزوات فى ذلك الجيل .

فما انصرم القرن السادس إلا وقد بدأت سلالة « كثير » تتمركز بمركز جذاب استجلب إلى محوره أكثر العصابات المندفعة فى الغارات على غير مبدأ لاسيما وأن لبنى كثير بلدة « الغيظة » وهى ثغر بحرى ولهم فيه سفائن وسنابيق ربما تعرض بعض رجالها للعراكب الماخرة فى عرض البحر القريب منهم فانتهبوها.

وقد استطاعت هذه السلالة أن تقنع الناس بضرورة وجود كتلة وطنية قوية تقبض على ناصية البلاد وتقوم بإصلاحها على أسس وقوانين دولية نظامية تنقذ الوطن من فتنه المتماوجة . وإنما كانت بنو كثير تشير بخفاء أنها هى التى ستحمل هذه المهمة على عاتقها . رغما عن المعارضات الكثيفة الفعلية والقولية

التى تزعزع موقفها من حين إلى آخر ، وكانت كلما عزمت على انتحال لقب سلطان فت فى عضدها ما تشاهده من معاكسة الظروف وفجاجة المشروع وعدم نضجه نضجا يخول ولو لبعض الشعب أن يقرها عليه .

المبدأ الذى قامت عليه السياسة الكثيرية :

يظهر لمن تتبع مجارى السياسة الكثيرية فى ذلك العصر وقيامها على مبدأ التقرب من مشايخ العلم والصلاح من العلويين وأنصار السنة بتريم وبيت جبير كآل باعباد وآل باجمال وغيرهم وتبركها بآثارهم ودعواتهم أنها تومىء من بعيد إلى أنها إنما تسعى لمحو آثار ذلك المذهب الأباضى الذى كوفحت دولته وصولته وانتهت مدته وشدته وقضى على البقية الباقية منه سنة ٥٦١ هـ بشبام وأنها تود أن تشيد على أنقاضه دولة سنية شافعية المذهب ، نزيهة الاعتقاد ، تسعد بها البلاد ، ويرتاح بها القطر مما يكابده من الأهوال والويلات .

فالساسة المفكرون من « آل كثير » حينذاك لم يخف عليهم السبيل الذى يسلكونه إلى نيل رغائبهم ، فقد بذلوا قبل كل شىء أقصى جهدهم فى استجلاب القلوب واكتساب مودتها ، وهذه هى الطريقة المثلى للاستيلاء على الماديات فيما بعد .

اقتسام نهد السرير :

وفى أوائل القرن السابع أى سنة ٦٠١ هـ اقتسمت نهد السرير (السليل) فأخذ بنو معروف ومرة شبام والحول (الغرفة) وتريس ، واختص بنوسعد وظبيان بحبوظة وسيون ، وانفرد بنو ظنه ببور ومسيب ومريمه .

فصعد الدم فائراً فى رؤوس بنى كثير بن ظنة ، وطفقوا يجوبون البلاد رافعين أصواتهم باستنكار هذه الفظائع التى لامبرر لها ، ثم ألبوا أساطين الحول والطول ورجال النفوذ الروحى والمادى ضد هذه القسمة حتى فشلت وتلاشت بأسرع ما يكون .

اتفاق الناس على طاعة عبد الله بن راشد[1] :

وفى يوم الخميس لليلتين خلتا من شعبان سنة ٦٠٤ هـ أقبل راشد بن أحمد ابن النعمان ومعه يحيى بن عبد الله بن جعفر واجتمعت أهل حضرموت وتحالفوا على السمع والطاعة لراشد والعمل بقوانين الشريعة الإسلامية والتأدب بآدابها .

ولكن كل هذا لم يستمر طويلا بل عادت الفوضى والغارات والقتل بأبشع مما كانت . شاغلة كل بقعة من بقاع حضرموت حتى ضج الناس وضجروا فاجتمع بنو حارثة وبنو حرام وغيرهم مرة أخرى سنة ٦٠٦ هـ على طاعة الله سبحانه وتعالى وطاعة السلطان عبد الله بن راشد واجتمعوا فى جامع تريم فتحالفوا على التخلى عما فى أيديهم من قرى السرير (السليل) وغيرها ثم وجه عبد الله بن راشد رجالا من جهته لخرص نخيل السرير وشبام والغيل .

غير أن الأمور انتقضت ولم تلبث أن عادت المذابح والاعتداءات كما كانت فقتلت سيبان فى السنة نفسها فهد بن راشد بن أقيال وابنه فارس ومحرما ابن شجنعة فى اثنى عشر قتيلا من رماة وخدم .

غزوة عمر بن مهدى لحضرموت

وبينما كان رجال السلطة فى حضرموت فى عناء لا يوصف من غارات العشائر وتحككها بالسلم . واستباحتها لسفك الدماء الغزيرة فى سبيل تعزيز

---

(١) هو عبد الله بن راشد بن قحطان الحميري ولد بتريم سنة ٥٥٣ هـ وقرأ صحيح البخارى على الفقيه محمد ابن أحمد بن أبى النعمان الهجرانى سنة ٥٨٣ هـ وسمع الحديث عن أبى الصيف والمقدسى وابن عساكر سنة ٥٨٨ هـ وولى السلطنة وكان عصره أحسن العصور وخيرها وصحب جماعة من أهل الزهد والتقى والعلم والعمل والصلاح وعنه تؤثر القولة الشهيرة : فى بلادى لا يوجد ثلاثة لا فاسق ولا سارق ولا محتاج . وكتب إليه الإمام الزاهد محمد بن أحمد بن أبى الحب رسالة مطولة استهلها بقوله :

أيا علم الأفضال والجود والكرم ... وعلامة الآداب فى العلم والحكم
ويا عصمة الله الذى الناس ترتجى ... له دولة يرعى بها الذئب والغنم

وقد ترك الولاية فى آخر عمره فاعتزل عنها سنة ٦١١ هـ إلى قارة العر وحل بها وعكف على الطاعات ونيل المكرمات واكتساب الخيرات فقيل له فى ذلك فقال : ما وجدنا آل حضرموت يوالوننا على الحق وسافر ليصلح بين قبيلتين فقتل فى الطريق ظلماً رحمه الله سنة ٦١٥ هـ .

مطامعها . وبينما كان السلطان عبد الله بن راشد فى عزلته مضطراً بإلحاح الجمهور إلى أن يجمع له عساكر من تجيب ومذحج ليكبح بهم جماح قوم من عرب حضرموت صائلين فيلتقى العسكر بهم فى الحول موضع الغرفة اليوم فيوقع بهم ويهزمهم شر هزيمة .. بينما هذه الأمور كلها تجرى إذا بالغز يعيدون غزوتهم البلاد من جديد .

وذلك فى جمادى الأولى سنة ٦١٤ هـ فيقبل عمر بن مهدى اليمنى يقود جيوشاً كثيفة ويستولى على الشحر بعد أن ينكل بولاتها آل فارس ثم يمر ببلدة عرف ويقاتله أهلها فيقتل منهم جماعة أشهرهم أحمد بن سالم بن بلعان ويستمر سائراً إلى الغيل الأسفل ويحصره إلى أن يذعن أهله ومنه إلى تريم فيحصرها ثم يدخلها فى ٢٣ جمادى الأولى وينفى آل راشد ويتجه إلى شبام فيمتلكها من بنى حارثة بعد قتال عسير . ثم تصفو له حضرموت كلها سنة ٦١٧ هـ ويمتلك معها دوعن بأسرها . ويبنى فى سنة ٦١٨ هـ حصن شبام ويحفر خندقاً يحيط بها . وفى السنة التى تليها يعيد بناء قارة العر «بالعين والراء المهملتين» بين صليله ومكان آل الصقير . ومع هذا كله فالبلاد لم تستقر له تماما بل كلما اتجه نحو بقعة منها انتقضت عليه الأخرى ثم شخص إلى اليمن لمقابلة الملك المسعودى بتعز وبلغه وهو هناك انتقاض أهل حجر عليه وقتلهم عددا من أصحابه . . فاستأذن المسعودى فى العودة إلى حضرموت وعاد فعلا وعرج على حجر وقتل من أهلها الجم الغفير واستمر راجعاً إلى حضرموت وقد انتقضت عليه دوعن ثم شبام ثم بنو ظبيان وبنو سعد ونهد كلها وهو يؤدب ويصالح والبلاد ثائرة والجو أسود قاتم . والمطامع الفوضية والنعرات القومية قائمة على سوقها . تقلع الرؤوس وتحصد النفوس وتطوح بالبلاد إلى حفائر الخراب والدمار .

واستمرت الحالة المشئومة جارية على هذا المنوال وبنو راشد يبذلون المجهودات العظيمة فى استرجاع ما يتخطفه الغز من بلدانهم وفى الخروج من المآزق الحرجة التى تسببها الغارات العشائرية . التى كانت تصول وتجول وتستولى لنفسها على بعض البلاد وتحكمها ريثما تقوى غارة أخرى على طردها والاحتلال محلها .

صيال نهد وقتلها ابن مهدى :

وفى سنة ٦٢١ هـ صالت نهد على عمر بن مهدى وهو بشبام فقتلته مع كثير من أصحابه وفتحت شبام . ثم اندفعت فى صيالها حتى دخلت تريم . وبها عبد الرحمن بن راشد . ثم استولت على جميع بلدان حضرموت .

وأخرجت أولاد عبد الله بن راشد من سجن ابن مهدى ولكنها ما عتمت أن زحزحها مسعود بن يمانى واستولى على البلاد فى السنة نفسها وهى تتلاعب بها أمواج الاضطرابات والارتباكات المستمرة بدون انقطاع .

آل كثير أثناء هذه الزوابع

وبنو كثير بن ظنة إذ ذاك يجدفون وسط هذا البحر العجاج بكل حكمة وهدوء . وينظرون إلى هذه الحالة المؤسفة نظر الربان الماهر ذى القلب الثابت الذى يدير دفة سفينته إدارة يتغلب بها على الزوابع والكوارث الجوية .

وبرزت شخصية الكثيرين إلى الميدان وانضم إليها جماعة من طلاب الإصلاح وناشدى النظام .

وساعدها على النجاح اتصالها بذوى السلطة الروحية فى الشعب وتفانيها فى حب رجال الصلاح والتقوى . ويبدو ذلك الاتصال القوى ظاهراً فى قول الإمام الصفوة أحد أعلام السنة بحضرموت مربى السالكين وبهجة المريدين الشيخ العلامة على بن عمر باعباد رحمه الله ونفعنا به . نحن وآل كثير شىء واحد كالكفين من الساعد وكتفاحتين من شجرة .

ولا ريب أن لهذا الاتصال الروحى أثره الفعال فى الاتجاهات السياسية التى سلكها الكثيريون فى ذلك الجيل وأخذوا يرتادون لأنفسهم نقطاً مواتا يحتلونها ليجعلوا بها طوابى ومواقع حربية تعينهم على تنفيذ تلك الخطة الشاقة التى يرومون تنفيذها . ففى سنة ٦٢٩ هـ اختطوا فى وادى بوحة مدينة عينات الجنوبية عند السفيح وهى عينات القديمة ، أما الشمالية فهى عينات الجديدة التى أسسها فيما بعد سيدنا الشيخ أبو بكر بن سالم العلوى نفع الله به .

ولم تستطع أية قوة من تلكم القوى المتطاحنة أن تتغلب على نظيرتها فى ذلك الجيل العصيب ومن أجل هذا التكافؤ الرائع ظلت البلاد وأهلها

عرضة للسلب والنهب والقتل والخوف والفقر والجوع وغير ذلك من الويلات التى تتولد عادة من الفتن والحروب . وظلت المدائن والقرى كما ذكرنا تتنقل من بنى يمانى إلى راشد إلى بنى حارثة إلى بنى سعد إلى بنى حرام إلى بنى ظنة إلى غيرهم من تلك الأقوام المتناحرة . والمثل الحضرمى يقول : من طالت يده فالهوجلة هوجلته .

بنو حرام[1] وآل كثير :

ولم يرق فى عينى يمانى بن جعفر زعيم بنى حرام ذلك التفوق الكثيرى فى ميدان السياسة واستكثارهم من الاستحكامات واحتلال النقط الحربية فاحتج على الكثيريين احتجاجا قوياً أعقبه الإنذار ثم الحرب وذلك فى سنة ٦٣١ حيث صال عليهم حتى وصل إلى عينات . وطالت بعدئذ المناوشات بينه وبينهم حتى دخلت سنة ٦٣٢ هـ فهجم عليهم بعنف وحصر مشطة وعينات .

واتفق فى تلك الأثناء أن امتلك ابن أقيال الشحرى تريم وشبام وما بينهما بالشراء . فأقبل عليه بنو حرام يغرونه بآل كثير ويستنصرونه عليهم فجهز جيشاً وحصر مشطة ثم عسكر إلى عينات . ولكنه لم يظفر بطائل ثم لعبت السياسة أدوارها وانقلب ابن أقيال ضد بنى حرام بحجة أنهم قوم يعيثون فى الأرض فساداً وأنهم يتسلطون على الناس بدعوى أن لهم حق حمايتهم فبطش بهم وقتل من زعمائهم سبعة فى مصنعة[2] تريم (الرناد) منهم يمانى بن جعفر نفسه وذلك فى أواخر شعبان سنة ٦٣٥ هـ .

العلويون وعزلتهم :

وربما يلاحظ القارىء فيما نقلناه من النتف التاريخية أن العلويين غير مذكورين بشىء ما . لا بتحيز ولا بإصلاح تجاه تلك الفتن الهائلة والتناحر الشديد بين طلاب السلطة فى القرنين السادس والسابع ويؤخذ من التاريخ أن الجدير بمركز العلويين فى ذلك العصر الرهيب هو الابتعاد مطلقاً عن مادة (ساس يسوس) والإمعان فى الهرب من المشاغبات والمماحكات التى ولع بها

(١) قالوا إن بنى حرام قوم يتسلطون على الناس بحضرموت بدعوى حمايتهم .
(٢) المصنعة عند الحضارمة هى الحصن أو القلعة .

رجال ذلك الجيل . ولذلك ترى العلويين إذ ذاك قد كسروا سيوفهم وقطعوا أوتار قسيهم ، إعلانا لتطليقهم السلاح الذى هو الأداة الوحيدة للتناطح فى سبيل الاستيلاء والتفوق ، وهو الزميل الناصح لمن تطمح نفسه به إلى السلطة والتغلب . وما يدريك فلعل رجالا من أهل تلك العصور ساورهم بشئ من الظن بالفقيه وقومه حذراً من تطلعهم للملك وتشوفهم إلى الاستيلاء وطمعهم فيما يتزاحم الناس عليه من دواعى السطوة ، وأرائك الغلبة ، لا سيما وهم المنتمون إلى الأصول الهاشمية والدوح الطالبية الذين طالما غازلوا الإمامة وغازلتهم . وصبوا إليها وصبت إليهم فى كل مكان وزمان وبكل بنان وسنان ولكن الفقيه المقدم رضى الله عنه برهن بكسره سيفه لأولئك الظانين على أنه بواد غير وادى سفاسفهم وحطامهم وأنه فى شغل شاغل عما أخذ بمجامع قلوبهم ومسالك وجهاتهم :

سارت مشرقة وسرت مغربا شتان بين مشرق ومغرب

وهنالك رأيت السادة العلويين معرضين أعراضاً كلياً عن المشاغبات وكل مايقرب إليهامن قول ومن عمل ما كفين على تدريس العلم وإرشادالطالب . ونشر الفضائل وإكرام الواردوالصادروالتزام الطريقةالصوفية التى هى كما يقول السيد عبد الله بلفقيه العلوى فى كتابه (تاريخ المهاجر) نقلا عن العلامة علوى الحداد العلوى (تمرين النفس على العمل بالعلم والتخلق بالأخلاق الحسنة والتحقق بحقائق الإيمان ومطالبة النفس بأحكام العبودية لا تصوف الحقائق المجردة الذى كانوا ينهون عنه أبلغ النهى ويعيبون من مال إليه ويمنعون أبناءهم عن مطالعة كتبه ولا تصوف الأوضاع والرسوم) .

عود على بدء :

قلت وربما يمل القارىء من عودتنا إلى سرد مثل تلك الحوادث المتشابهة من هجوم ونهب وسفك دماء واستيلاء — الأمور التى كانت تشرق بها حضرموت وتغص . ولم يغنها فتيلا احتلال الأيوبيين لها ؛ ولا استيلاء الرسوليين عليها بل مضت السنون تباعا والحال على ما وصفنا من التآكل القومى ومن مباغتات الويلات والأهوال .

ومات مسعود بن الميمانى والى تريم سنة ٦١٨ هـ وكان رجلا كثير اللهو

والملـذات غير أنه قبيل وفاته أقلع على يد الشيخ محمد بن على الخطيب وترك الملك لابنه عمر بن مسعود . فلم يأل هذا جهـداً فى إضرام نيران الفتن على العشائر المناوئة وما عتم أن جند زمرا من البدو والقرار وفرق كلمة بنى حرام وضرب بعضهم ببعض .

الحبوظى وظهوره

وفى ذلك العهـد نبغ سالم بن إدريس بن أحمد الحبوظى الحضرمى وكان أمير ظفار كما سنبينه بعد فاستفحل أمره وطمع فى حضرموت وأقبل إليها ، وانتهز بنو كثير منه هذه الفرصة فقاموا معه ووالوه وروجوا سياسته ؛ وكان قد اشترى مدينة شبام سنة ٦٨٣ هـ وطفق يستولى على قرى حضرموت قرية قريةفأحاط بتريم وحصر ابن مسعود فيها وأقام تحتها ثلاثه شهور وافتتح دمون والعجز والغيل الأعلى وسيون . وفى مدة حصر تريم كان عمر بن مسعود قد أرسل ولده يمانى إلى الغز ليجند منهم جنـداً يدافع بهم ويهجم ولـكنه فشل فى مهمته وعاد ولم يأت بأحد معه .

الحبوظى وآل كثير :

وتولى آل كثير إدارة العسكرية الحبوظية واشتدت الفتنة على تريم نخلت البلاد من أهلها . وعم الخراب . ولم تقم فى تريم جمعة مدة الحصر الذى امتد إلى تسـعة شهور وتوجه سالم الحبوظى إلى ظفار مقر مملـكته . وأناب آل كثير على القرى . ومات فى ذلك الوقت على بن عمر بن كثير الأول سنة ٦٧٥ وليس هو على بن عمر بن جعفر الآتى ذكره . وخلف عليا الأول ابنه محمد بن على بن عمر بن كثير ولم يكن دون أبيه حزما وعزما وتفكيراً .

ومات فيها عمر بن مسعود بن يمانى والى تريم بعد أن فعل الأفاعيل وصبغ أطيان ولايتـه بالدماء . وصد الحبوظى عن تريم وكان قد ترك أخا له أديباً شاعراً يسمى محمداً رفض أن يتولى الملك بعد أخيه فتولاه ابنـه يمانى ابن عمر .

وعندما توجه الحبوظى إلى ظفار كما ذكرنا كان صدره مفعما بالآمال العظيمة فى أن يبتسم له الدهر ويتملك البلاد بطولها وعرضها . ولـكن المواصلات

البطيئة فى ذلك العصر كانت لا تساعد المحظوظ على حفظ ما يستولى عليه من المواضع إذا هو ابتعد عنه، ولا على الإسراع إلى استعادته عند ما ينفلت منه.

فالرجل الجم للطامع يحتاج حينئذ إلى شكيمة قوية وجندية واسعة وإدارة منظمة ورجال أمناء أكفاء يأتمنهم إذا غاب ويعتمد عليهم إذا غفل. ولم يكن الحبوظى كذلك فإنه قد يكتفى باسم الاستيلاء فقط والقنوع بشىء من الرسوم ثم يترك البلاد وشأنها جاعلا عليها عاملا فريدا لا يلبث أن يستقل بها أو يطرد عنها.

ومكث الحبوظى يطوف بالبلدان التى امتلكها بحضرموت فيجدها خاضعة اسما فيضيف إليها ما يسهل استيلاؤه عليه حتى طمعت نفسه فى الشحر إذ بلغه أن الغز استولوا عليها وأنه هرب صاحبها ابن شجنعة إلى الجبال وذلك سنة ٦٧٧ هـ فجهز الحبوظى عليها بحرا وبرا ونزل إلى البر والتحمت الحرب بينه وبين الغز وانتهى بفشل الحبوظى وانهزامه. وعاد إلى ظفار وأقام بها إلى سنة ٦٧٨ هـ حيث جهز الملك المظفر عليها جيشاً من البحر وجيشا من البر من طريق حضرموت أميرهم ابن الجنيد ففتح الهجرين وجعل عليها ابن شماخ واجتمع الجيشان تحت ظفار ففتحوها وقتلوا سلطانها سالم بن إدريس المذكور.

سبب تجهيز الملك المظفر على ظفار:

ولسبب تجهيز الملك المظفر خبر طويل حكى بعضه صاحب هدية الزمن وأوضحه المؤرخ اليمنى صاحب العقد فننقل كلامه برمته لفائدته وعلاقته بما نحن فيه. قال:

« ابتداء سبب فتح ظفار وقتل صاحبها سالم بن إدريس الحبوظى وقتل معه يومئذ نحو ٣٠٠ قتيل وأسر خلق كثير هو مجاعة عظيمة وقحط شامل أصاب أهل حضرموت. فأقبل أهلها إلى سالم بن إدريس الحبوظى. وطلبوا منه ما يدفعون به كلب الجوع عنهم تلك السنة وسلموا إليه مصانعهم وحسنوا ذلك عنده فأجابهم إلى ما طلبوا وخرج هو مع الوفد إلى حضرموت لإتمام الكلام وهذا أمر غريب لم يسبقهم إليه أحد. ولم يعلم دهاهم ومكرهم فلما أخذوا منه جميع ما طلبوا سلموا إليه المصانع فقبضها وعاد إلى ظفار ورأى

أنه قد أفلح وأن حضرموت قد صارت كلها تحت يده فلما رجع إلى ظفار مالوا ميلة واحدة على مصانعهم وأخذوها طوعا وكرها ولم يكن دونها حائل فأصبح لا مال له ولا بلاد . فكاد يهلك أسفا على ما فرط منه فى أمواله .

واتفق أن السلطان المظفر الغسانى رحمه الله ندب سفيرا له إلى فارس بهدية وصحبه جماعة من التجار فصرف بهم الريح من طريقهم ورمى بهم إلى ساحل ظفار فقبضهم سالم بن إدريس الحبوظى وقبض ما معهم من الهدايا والأموال . وافتكر أن هذا خير مما فات عليه فى حضرموت . فراسله السلطان المظفر بسبب ذلك وكاتبه . وقال له : لم تجر عادة بهذا ونحن نجلك عن قطع الطريق . وأنت تعلم ما بيننا وبين والدك من الصحبة والجميل . غير أننا نتأدب بآداب القرآن العظيم فإن الله سبحانه يقول : وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا . فازداد سالم غيظاً وجهلا وأجاب : هذا الرسول فأين العذاب ؟ وغير ذلك من العجب والحمق . ولم يكن منه بعد ذلك إلا أنه أفسد صاحب الشحر راشد بن شجنعة فمال إليه هربا من الخراج الذى كان عليه للسلطان المظفر . وكان عليه كل سنة مرسوم يحمله إلى الخزينة المعمورة فكان حتفه فى سوء رأيه ونهض مع ذلك سالم بن إدريس وسولت له نفسه الغارة على عدن . وكان السلطان المظفر يومئذ بالجبل فاستكبر الناس ذلك من سالم بن إدريس إذ لم يقدم على هذا صاحب الهند ولا صاحب الصين ولا ملوك فارس واغتاظ السلطان المظفر غيظا شديداً . وجهز الأمراء والقواد تتبعها العساكر العظيمة من الفرسان والرجالة برا وبحراً ومقدم الجيوش يومئذ الأمير شمس الدين أزدمر سناد وزير السلطان . وقال له السلطان : أنت تقتل سالم بن إدريس إن شاء الله فإنى رأيت فيما يرى النائم أن حية عظيمة خرجت إلى من كوة . فقلت لك اقتلها يا أزدمر فقتلتها وعدت إلى مقامك . وكان طريق الأمير شمس الدين فى البر صعبا ووعرا على شواهق الجبال مرة وعلى كثبان الرمل أخرى . وقد يسيرون على شط البحر . والمراكب تجرى موازية لهم فإذا بعد الطريق عن البحر زاد تعبهم وضاقت أحوالهم حتى يدور إلى الساحل فيرتاحون . وكانت المراكب مشحونة بالقنا والسيوف ولجم الخيل ومروجها وأنواع الأسلحة وكانت الأسواق قائمة كأعظم ما يكون من الأسواق فى المدن . وفيها من أصناف الطباخين والخبازين والحلاويين وأرباب الصنائع مالا يوجد مثله

إلا فى المدن وقد اجتمعت الجيوش المذكورة كلها فى بندر سيوت بظفار فأقبلت السنابيك فى البحر كأنها العقبان ثم أقبلت الطريدة وهى المركب العظمى وقدامها السفرة كأنها الجبال الماخرة . والسيوف مسلولة . والأعلام خافقة وفى هذه الطريدة توجد الخزانة السعيدة وفيها أربعمائة ألف دينار ملوكية وأما القماش من البنادق والسوسى والموصلى والزبيدى مالا يحيط به الحصر . فلله دره من ملك ملأت البحر والبر كتائبه ، ووسع العرب والعجم مواهبه ورغائبه فكان كما قال عمرو بن كلثوم :

ملأنا البر حتى ضاق عنا وبطن البحر نملؤه سفينا

فتح ظفار وقتل الحبوظى :

قال : ولما اجتمعت العساكر المنصورة فى بندر سيوت وكان عدد الفرسان خمسمائة والرجالة سبعة آلاف . قال بعضهم لبعض قد رأيتم ما نحن فيه من إنفاق الأموال وركوب الأهوال والتوانى حينئذ عجز ولم يبق إلا الحزم والعزم فساروا حتى بلغوا عرفة وهى محلة من محال ظفار فأرجف عليهم بأن خيل حضرموت وكذا خيل البحرين وصلت إلى ظفار نجدة للحبوظى ، فتشاوروا بينهم وقالوا : إنما جئنا للقتال لا غير ولم يكن فى ظنهم أن سالم بن إدريس يبرز لهم ، فبينما هم كذلك إذ أقبل عليهم أهل ظفار يقدمهم سالم بن إدريس ، فلما رأى العساكر المنصورة تأهبت للقائه صف لهم على بعد من المدينة وصفوا له ولم يكن بأسرع من أن التقوا واصطدموا بعضهم ببعض صدمة واحدة . فجالت العساكر المظفرية جولة اقتلعت فيها عدداً عظيما من الفرسان ثم كانت الهزيمة ، فما نجا من أهل ظفار إلا من استأمر فكانت القتلى ثلاثمائة قتيل والأسارى نحو الثمانمائة .

وأخذوا من العبيد ما شاء الله . فقتل سالم بن إدريس فيمن قتل . ولم يكن له قاتل معروف واستبق الناس على باب ظفار وضربت الخيام على باب المدينة وكان الأمير شهاب الدين أحمد بن الأمير شمس الدين أزدمر قد تركه أبوه فى الخيمة فى المحطة فجاء العلم منه أن رأس سالم بن إدريس صار عنده . وقيل قد عرفه أخوه موسى بمصحفه فقال : هذا مصحف أخى وما أظن أخى إلا مقتولا ، ثم طلبوه بين القتلى فوجدوه قتيلا ، فقبر جسده بدون رأس

وطلب أهل ظفار الذمة فأعطاهم إياها الأمير شمس الدين أزدمر ودخلت الأعلام السعيدة المظفرية مدينة ظفار يوم الأحد الثامن والعشرين من شهر رجب ووضع العفو على الناس كلهم ولم يؤخذ لأحد شيء . وخطب الخطباء على منابر ظفار بالألقاب الشريفة المظفرية يوم الجمعة والثالث من شهر شعبان سنة ٦٧٨ هـ المذكورة وقبض الأمير شمس الدين أزدمر قصر ظفار وقبض على كافة بنى الحبوظى وحملهم إلى زبيد وانقرض عقبهم . انتهى ما اخترنا نقله من كلام المؤرخ صاحب العقد .

نشاط آل كثير

وبقتل الحبوظى تنفست حضرموت الصعداء وارتفع عنها كابوس طالما أقض مضجعها ونغص عيشها وتشبث بنو كثير بما بين أيديهم من القرى ولم تفتهم هذه السوانح لمضاعفة جهودهم فانقضى القرن السابع وأهل على الناس القرن الثامن وذلك الشأو الذى يرمقه الكثيريون لا يزال بعيداً والشوط بطيناً وحضرموت متفرقة بين ولاة متعددين تحول بين اتفاقهم حظائر شائكة من العداء والضغائن .

وشعار آل كثير كما ذكرنا استجلاب الرأى العام بالتقرب إلى من يوقرهم من رجال العلم والفضل . وعليه فقد اختار الشيخ الكبير محمد بن عمر باعباد أن يؤسس له داراً بالسفح من الحول ليسكنها فأسسها وسماها الغرفة وهى أول دار بنيت بذلك الموضع وذلك سنة ٧٠١ هـ ثم بنا الناس بعد ذلك فكان استهلال القرن الثامن بتأسيس قرية على تقوى فى كبد السرير له أثره الفعال فى النفس الكثيرية التى لا يفوتها استغلال مثل هذه المواقف المساعدة على نجاح مشروعها وانتشار نفوذها وأصبح الشيخ محمد وكذا ولده الإمام الشيخ عبد الله الملقب بالقديم فى مقدمة الذين لا يقصرون فى نصرة آل كثير وتنشيطهم وترويج مشروعهم بين الدهماء علاوة على ما يقوم به العلويون من الجهة الأخرى من حسن الدعاية وتمهيد السبيل .

استيلاء آل كثير على بور :

وكادت قرى السرير « أو السليل » كلها تصبح تحت النفوذ الكثيرى لولا أن بور — وهى تعد من أمهات قرى السرير يومئذ — أبت أن ترضخ

لما رضخت له أخواتها من السلطة الكثيرية . واستمرت المفاوضات السلمية بين الطرفين بوساطة وبغير وساطة جارية بدون انقطاع . . ولكنها كلها انتهت بالفشل لأن قبيلة آل بانجار وهى القبيلة المثلى ببور لم ترد إلا أن تفضل المقاومة على الخنوع والتسليم . ودخلت سنة ٧٢٣ هـ والمصلحون قد تحملوا شططاً من الأتعاب التى تكبدوها فى الوساطة بين بور وآل كثير . وقد اضطروا إلى العودة إلى ديارهم آسفين وفوض التحكيم للسيف فهجم آل كثير على بور وسرعان ما استولوا عليها وقتلوا جماعة من آل بانجار . منهم أربعة كانوا ولدوا فى يوم واحد واختتنوا فى يوم واحد وختموا القرآن وبدأوا يصلون فى يوم واحد .

دولة آل يمانى بتريم :

وشاءت الظروف أن تسقم عناصر دولة آل يمانى بتريم ومات عبد الله ابن يمانى بن عمر بن مسعود بن يمانى سنة ٧٤٢ هـ وتولى أخوه أحمد بن يمانى . وحدث بينه وبين أهل قارة الصناهجة سوء تفاهم فحمل عليهم وتملك القارة سنة ٧٤٨ هـ وما عتمت أن انفلتت منه وطفقت دولته تجود بنفسها حتى قضت سنة ٧٦٩ هـ عند ما مات محمد بن أحمد بن يمانى . إذ تنازع الولاية بعده ابنه عبد الله وابن أخيه راصع بن دويس . ولكل منهما أنصار وأعوان ولم تقصر أصابع السياسة من السلطات الخارجية الناظرة إلى تريم نظر الذئب إلى الحمل لم تقصر هذه الأصابع فى التوقيع على النغمات التى تفكك عرى آل يمانى ابن راصع وتدفع كلا من الطرفين إلى الرقص على نشيد :

اقتلونى ومالكا واقتلوا مالكا معى

وبقيت دولتهم هكذا بين الحياة والموت . ومن أشهر سلاطينها السلطان العادل سلطان بن دويس بن راصع المتوفى سنة ٨٧٢ هـ ولما أخذ تريم بدر ابن عبدالله بن على سنة ٨٨٩ هـ انتقل بعض آل يمانى إلى اليمن ولم تصف لبدر بل عادت للباقين منهم حتى أخذها بدر بوطويرق سنة ٩٢٧ هـ كما سيأتى بعد .

ومؤسس دولة آل يمانى هو مسعود بن يمانى بن لبيد الظفى قبر سنة ٦٤٨ هـ بمقبرة الفريط بتريم بجانب ضريح الشيخ على الخطيب شيخه وبنى عليه ابنه عمر قبة وهى أول قبة بنيت بمقبرة تريم . ومات عمر سنة ٦٧٥ هـ وولده يمانى سنة ٧١٤ هـ وعبد الله بن يمانى سنة ٧٤٥ هـ .

آل كثير والظلفان :

وظهر لبنى كثير بن ظنة أثناء القرن خصم جديد قوى الشكيمة صعب المراس عرقل عليهم مساعيهم طوال القرن وهو رجال الظلفان من أهل هيئن فقد ضاق هؤلاء ذرعاً ولم يطيقوا صبراً على ما يمر أمامهم من الجشع الكثيرى وفوزه وتطاوله نحوهم وتحكمه بمحاسيبهم والمستجيرين بهم . فأخذ الصفو يتعكر بين الفريقين أى الظلفان وآل كثير حتى تفاقم الأمر وامتشق الحسام وتأصلت العداوة بينهم وطال أمدها وتوارثها الأحفاد عن الأجداد واستمرت نحو قرن ونصف لا يهدأ للطرفين منها بال ولا يقر لهم قرار .

ميلاد الدولة الكثيرية :

وفى أواخر القرن الثامن أى حوالى سنة ٧٨١ هـ تفرغ أبناء جعفر بن بدر الكثيرى وهم يمانى ومدرك وعمر لمناوشة الظلفان وإقلاقهم والتفت أفراد الوحدة الكثيرية الآخرون إلى تدبير السلطنة التى أوشك فجرها أن ينبثق . وقد رأوا أن الأوان مناسب والأقدار مواتية وأصوات المعارضين من طلاب السلطة خافتة ومكائدهم ضعيفة . فبدأت السلطة الكثيرية حينئذ تجرى على نظام موزون وتدبر ممتلكاتها وشئونها بحكمة ورزانة . وتتزلف إلى أهل الفضل والعلماء وتقبل شفاعاتهم حتى تمنى أولئك الذين لا يزالون تحت لواء آل أحمد والصبرات وغيرهم أن تظلهم الراية الكثيرية وتسرى عليهم سلطتها . وفى هذه الأثناء ولد السلطان على بن عمر بن جعفر بن بدر بن محمد بن على بن عمر بن كثير . وولد معه سعد الدولة الكثيرية ومجدها .

وبه أصبحت الدولة الكثيرية دولة رسمية يقرها جمهور أهل القطر الحضرمى .

من أجل هذا رأينا أن نبدأ به فى كتابنا هذا عند سردنا سلاطين آل كثير وأخبارهم . إذ هو بدون مرية عميد الدولة ومؤسسها وجد سلاطينها أجمعين .

القسم الأول

الدولة الكثيرية الأولى

سلاطينها وأمراؤها

كلمة وجيزة :

وبعد فقد التزمنا على أنفسنا فى هذا الكتاب أن نكتب ما عثرنا عليه فى كتب التاريخ من أخبار القوم مجردة من الملاحظات والانتقادات والأخذ والرد ، والتحليل والتركيب فلا نقول مثلا أن القائد الفلانى ارتكب الغلطة الفلانية أو لو أن السلطان فلان عمل كذا لكان كيذا ، لأننا أعلم الناس بعجزنا وقصورنا عن إدراك الظروف المحيطة بذلك القائد أو بذلك السلطان — التى اضطرتهما بالأمس إلى سلوك مارأياه حزماً وجزماً ونراه نحن اليوم منهم عجزاً وإهمالا ، ولست أجد لى حقاً فى مؤاخذتى أشخاصا على سلوك سلكوه أناخت على علله وأسبابه السنون . ودفنت مبرراته ومسوغاته طوال القرون . ولعل لأولئك القوم أعذاراً لو لم يغمرنا الغرور لانتحلناها لهم إن كانت أو لم تكن ولعل لهم مواقف لو وقفناها نحن لزلقت أقدامنا إلى أعمق هوة وأبعد قرار مما وقعوا فيه . فليعرف المرء قدر نفسه وليتق الله فى أقوام قد خرست ألسنتهم عن الدفاع عن أنفسهم رحمة الله عليهم :

يصد جبان النفس عن هجو عائش بحق ويهجو ظالما ألف ميت

١ — السلطان على بن عمر

السلطان على بن عمر بن جعفر بن بدر بن محمد بن على بن عمر بن كثير . هو أول من حول القبلية الكثيرية إلى دولة منظمة وهو أول من نصب سلطانا على حضرموت التى كانت إلى وقته متفرقة بين ولاة كثيرين وقد غمرتهم الشحناء وشملتهم الضغينة فأصبح الواحد منهم لا يطمئن له مضجع ولا ترسخ

له قدم ولا يجهل مصيره السريع ومصرعه المنتظر حينما تبطش به إحدى تلك السلطات العاوية حواليه والتى هى أشبه شىء بحباب الماء تسمو واحدة وتفنى الأخرى .

ولد السلطان على بن عمر ببلدة بور وقد مهدت العبقرية الكثيرية السبيل لنيل نابغة مثله ما تصبو اليه نفسه من العظمة والسلطان ولم أعثر على تاريخ ميلاده غير أنه غادر بلدة بور سنة ٨١٤ هـ واتصل بالشيخ على بن عمر باعباد وغيره من رجال الصلاح وكانوا يعدونه بالاستيلاء على ظفار وجميع بلدان حضرموت فاشتد عزم على بن عمر بذلك وشرع يذلل العقبات ويزحزح الحواجز ويحارب ويغزو حتى استتب له الأمر وخضعت له الرقاب واستحق لقب سلطان .

فى سنة ٨١٦ هـ صعد السلطان على بن عمر إلى ظفار وقد بلغه أن ابن قسمان واليها قضى نحبه وأن ابن جسار أعاد الكرة عليها واتحد مع القرى فدهمهم السلطان على والتقى وإياهم تحت ظفار وتعددت المناوشات بين الطرفين ثم كانت منه البطشة الكبرى بهم فقتل فيهم وأسر واستولى على ظفار تماما .

ذكر نبذة عن تاريخ آل الحبوظى :

وظفار المذكورة هى ظفار الحديثة التى اختطها أحمد بن محمد الحبوظى سنة ٦٢٥ هـ وأمر أهل مرباط — وهى ظفار القديمة — بالانتقال اليها وكان أحمد الحبوظى المذكور سلطانا جوادا آشما حسن السيرة يحكى أن أهل مملكته ووجوه دولته نقموا عليه شيئا فى بعض السنين فاعتقلوه ونصبوا ابن أخيه مكانه فلم تكن سيرته مرضية فكتب أحمد المذكور إلى الوزير ووجوه دولته كتابا أودعه هذه الأبيات :

حاشاكم أن تقطعوا صلة الذى أو تصرفوا علم المعارف أحمدا
هو مبتدا نجباء أبنا جنسه والله يأبى رفع غير المبتدا
أغريتم الزمن المعاند باسمه وحذفتموه كأنه ياء الندا

فعزلوا ابن أخيه وأعادوا السلطان أحمد الى ولايته فلم يحدث إلى أحد منهم ولا ابن أخيه شيئاً يكرهونه

وأحمد الحبوظى هذا هو أول من ملك ظفار من الحبوظيين رسميا بعد

ولاية أبيه غير الرسمية لأن أباه محمدا بن أحمد الحبوظى كان فقط يتجر للسلطان محمد بن أحمد الأكحل صاحب مرباط المشهود له بالكرم والسخاء .

الأكحل وكرمه :

بلغ الأكحل المذكور من الكرم والسماحة ما لم يبلغه إلا الأفذاذ النوادر، وكان مما يؤثر عنه أن جماعة من أعيان حضرموت قصدوه بهدايا تليق بأحوالهم وصحبهم ففسير أديب فسمعهم يذكرون السلطان بالجود والكرم ويذكر كل منهم ما معه من الهدايا .. فاجتنى الأديب الفقير ضغثاً من عروق الأراك الذى يستاك به عددهن سبعة وجعلهن حزمة فلما وصلوا مرباط ودخلوا على الأكحل بهداياهم دخل الأديب معهم ووضع ما معه من الأراك بين يدى السلطان وأنشد :

جعلت هديتى لكم سواكا ولم أقصد به أحداً سواكا
بعثت اليك عوداً من أراك رجاء أن أعود وأن أراكا

فأمر أن تخلى لهم بيوت وللأديب مثلهم وأرسل للأديب بجاريتين ووصيف يخدمونه مدة إقامته وكذا كان يفعل لكل ضيف يصله فلما عزم الأديب على الرجوع أمرهم أن يعطوه من كل شىء فى خزائنه إن كان مما يوزن بالبهار كالحديد والقاز سبعة أبهرة وإن كان مما يوزن بالمن كالزعفران ونحوه سبعة أمنان وكذلك مما يكال أو يقاس سبعاً سبعاً بأكبر مقياس ! !

ولما مات محمد الأكحل هذا ولم يترك عقبا ولا فى أهله من يتأهل للملك من بعده تولى الملك بعده محمد الحبوظى المذكور آنفاً . وبعده تولى ابنه أحمد الذى ذكرنا أنه اختط ظفار ثم بعده ابنه محمد ثم ابنه إدريس ثم سالم بن إدريس الذى حدث بينه وبين المظفر ما ذكرناه فى المقدمة فكان ملك آل الحبوظى بظفار نحو ٧٥ سنة ثم انتقل الى اليمانيين واستمر بيدهم حتى انتزعها منهم آل كثير سنة ٨٠٧هـ وذهب واليها الى اليمن ولم يلبث راصع بن جسار وهو من أتباع راصد بن دويس أن نازعهم إياها فوقع الاتفاق بين الطرفين على أن تبقى ظفار بينهما أنصافا وفى سنة ٨٠٩هـ أبعد عنها ابن جسار واستبد بها آل كثير ولكن ابن قسمان سرعان ما أجلاهم عنها واحتلها . ثم كان ماذكرنا من وفاة ابن قسمان واستيلاء السلطان على بن عمر عليها تماما .

الامام صاحب مرباط :

ومرباط المذكورة إنما هى قرية على الساحل بينها وبين ظفار الجديدة مرحلتان الى جهة حاسك جهة الشرق وبها قبر الإمام الشيخ محمد بن على بن علوى بن محمد بن علوى بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى وكان الشيخ المذكور نبراساً مضيئاً وعلما مشهوراً وكان ينفق على خلق كثير بمرباط وبيت جبير بحضرموت قالوا إنه وفد عليه مرة جماعة من الصبيان فقال لأهله : اصنعوا لهم طعاما ، فقالوا : ما عندنا حب ولا دقيق فقال لهم : اجمعوا اليخامير واخبزوها وكانوا يبقون فى أوانى الرهى شيئا يسمونه اليخمور وجمعه يخامير ليخمروا الفطير الذى يصنعونه فيها قال فجمعوا اليخامير وخبزوها فملأت سبع جفان من الخبز وكان يربع[1] القوافل من بيت جبير إلى ظفار رحمه الله ونفعنا به .

مرباط أو ظفار القديمة :

وإنما سميت مرباط مرباطا لكثرة ما يربط فيها من الخيل . وكانت خصبة كثيرة الأعشاب — فالمطر ينزل عندهم طيلة شهور السنة ، ليلا ونهارا فى أيام الخريف هذا ماعدا الآبار القريبة المياه من سطح الأرض . وبها عيون كثيرة فكانت متجرا للخيول العربية ترد إليها طلابها من الهند والسند . وكان الفرس يباع بالمائتين والثلاثمائة ريالا وفى زمن السلطان بدر بن عبد الله الكثيرى حدث التحريج على الخيل وعلى اللبان والصيفة[2] فى ظفار وضواحيها لأسباب لم يكشفها التاريخ لنا بعد . فأثر ذلك فى تجارة البلاد وعمرانها وانقطعت عنها الإمدادات ثم أطلقت الصيفة واللبان وبقى التحريج على الخيل وهى التى تدر على البلاد بالفايدة والحركة التجارية ، وتجارة الخيل بظفار هى العنصر الأهم لعمرانها ، ولذلك تقطعت أسبابها بعد التحريج فبعد أن كان يرد إليها أهل المواسم التجارية من الهند والسند وعمان واليمن وتأتيها القوافل من حضرموت ومن جميع البلاد العربية وتروج بها كل البضائع والأمتعة وبعد أن كانت سوقا عاما أخذت فى التقهقر شيئا فشيئا فضعفت بها التجارة وعدم النقد وصفرت الأيدى وعطشت القلوب وانتقل أكثر أهلها عنها

(١) يربع القوافل : أى يجيرها . (٢) الصيفة : هى زيت السمك .

وصارت السفن تمر تجاهها ولا تلقى لها بالا ولا يرسو بميناها إلا ما يرميه الريح إليها اضطرارا . وها هى اليوم أصبحت كما قال الراجز :

وقرية ليس بها أنيس إلا اليعافير وإلا العيس

واستمرت ظفار فى يد الدولة الكثيرية الأولى إلى أن أفل نجم هذه الدولة منها سنة ١١٣٠هـ كما سيأتى .

الاضطرابات فى أيام على بن عمر :

ولم يسلم على بن عمر من الثورات والحركات العدائية ضده بل مرت حياته كلها وهو فى جهاد مستمر وكفاح صارم فى سبيل توطيد دعائم السلطنة التى لم تصل إليه إلا بعد أن دفعت فيها عشيرته أثمانا باهظة من الأموال والأرواح والمتاعب قرونا طويلة . ففى سنة ٨٢١هـ دعت بنو راصع بن دوس جماعة من عشائر القطر إلى القيام ضد هذا المتسلطن الجديد وتبودلت المفاوضات حول هذا المشروع حتى أسفرت على اتحاد هجومى بين بنى راصع وآل محمد وآل يعقل فبدأوا يشنون الغارة ويقتلون حوالى موشح فوافاهم على بن عمر بمن معه وكانت معركة عظيمة انهزم فيها المتحدون ولم يلووا على شىء وارتأى على بن عمر أن يحصن بعض البقاع ومنها الحسيسة فقد شاد فيها بناية وحصنها فى السنة المذكورة وخرج أهل شبام عليه سنة ٨٢٤هـ فحصرها وقطع خريفها (ثم نخلها) ثم أحضعها .

توفى السلطان على بن عمر رحمه الله سنة ٨٢٥هـ فيما يظهر لى وترك من الأولاد المعروفين ثلاثة عبد الله وبدرا ومحمدا .

٢ — السلطان عبد الله بن على

السلطان عبد الله بن على بن عمر بن جعفر بن بدر بن محمد بن على بن عمر ابن كثير تولى حضرموت وظفار بعد وفاة والده حوالى سنة ٨٢٥هـ .

هجوم ابن فارس على ظفار :

سمع ابن فارس بوفاة على بن عمر فأراد انتهاز الفرصة فى امتلاك ظفار فلم يتوقف ولم يتردد بل هجم فى الحال أى سنة ٨٢٥ هـ بعد أن جهز جيوشا كثيفة واتجه بها نحو ظفار وكان السلطان عبد الله بن على إذا ذاك بحضرموت

مشتغلا بتمهيد الأمور . . فبلغه الخبر بأن ابن فارس محاصر ظفار ومخيم بالجرحاء فشخص نحوه بجنوده من حضرموت ولكن ابن فارس لم يحر شيئا بل تقهقر حين بلغه خبر السلطان وانسحب من الميدان بجيوشه قبل وصول السلطان عبد الله إليه باثنى عشر يوما . ودخل السلطان المذكور ظفار وهدأت الأحوال بها وبحضرموت حتى سنة ٩٣٣ هـ .

انتقاض تريم :

انتقضت تريم فى ولاية دويس فأرسل إليها السلطان عبد الله أخاه محمداً ابن على ثم سار هو بنفسه إليها ومعه مائتا ألف فارس وخمسمائة راجل فأغار عليها ثم دخلها ودخل المسجد الجامع ولم يقصر دويس فى الدفاع فخرج إليهم هو ومن معه وتلاقى القوم فى الطرقات والشوارع وكثر القتل فى الأزقة وقتل جماعة من أكابر آل كثير منهم بدر بن على بن عمر أخو السلطان ومنهم شنفر ومنهم عمر بن عبد الله بن طوق وغيرهم .

ومكث السلطان عبد الله بحضرموت ثلاث سنوات وأمر بحفر بئر فى حصن شبام بين الغرف فحفرت واحتفل بنزح الماء منها ، وبلغه حينئذ أن سلطان اليمن أرسل جيوشه إلى ظفار وعسكر بها فشخص السلطان عبد الله إليها وذلك سنة ٨٣٦ هـ فوصلها وهزم الغاصبين .

وسنذكر عند ترجمة أخيه محمد بن على كيف غدر أهل ظفار بمحمد هذا وإنما نذكر هنا أن السلطان عبد الله بن على قتل منهم فى سنة ٨٣٧ هـ سبعين شخصا فى مقابل غدرهم بأخيه .

انتقاض تريم أيضاً :

وفى سنة ٨٤٢ هـ رفع دويس صاحب تريم راية التمرد والتحرش بالسلطان عبد الله بن على فخرج إليه السلطان من ظفار وحصر تريم — وتعددت المعارك تحت تريم وشاد السلطان عدة معاقل لتشديد الحصر على تريم منها حصن العز جنوبى تريم فوق القارة المسماة بقارة العز وطال حصار تريم وتوجهت بعض القوات إلى سيون لحصرها حتى استولت عليها فى هذه السنة نفسها .

وانحل حصار تريم ومرت سنتان والأمور تتقدم إلى التحسن لما أوتيه رجال السلطة من الحزم والعزم. وفى سنة ٨٤٤هـ أمر السلطان عبد الله بن على رجاله أن يتعقبوا عدواً لدوداً وخصما عنيدا هو عبد الله بن يمانى بن محمد ابن راصع وكان معه ذهب كثير وفضة من حلى النساء وغيره كان قد استصحبها ليجهز بها جيشا يقاتل به الدولة فأدركه رجال السلطان بوادى العين بالكسر فقتلوه وغنموا ما كان معه.

ولم أقف على تاريخ وفاة السلطان عبد الله بن على ولكننى لم أجد له ذكرا فى التاريخ بعد سنة ٨٤٤هـ وقد ترك من الأولاد خمسة هم محمد وجعفر وعلى وبدر ويمانى.

٣ — بدر بن علي بن عمر

بدر بن على بن عمر بن جعفر بن بدر بن محمد بن على بن عمر بن كثير.

قتل أيام حصار تريم فى يوم تصادمت فيه القوات المتحاربة فى الأزقة وفى مضائق البلاد وكبس جنود دويس رجال آل كثير فى زقاق من أزقة تريم يقال له مضيق بن يحيى فقتلوا من أعيانهم جماعة أشهرهم بدر بن على هذا وعمر بن عبد الله بن طوق وشنفر وغيرهم وذلك سنة ٨٣٣هـ كما مر قبل هذا.

٤ ــ السلطان محمد بن علي بن عمر

السلطان محمد بن على بن عمر بن جعفر بن بدر بن محمد بن على بن عمر بن كثير طالما تولى قيادة الجيوش لأخيه السلطان عبدالله ففى سنة ٨٢٥هـ أرسله إلى الكسر فأخضعها له ثم جعله أخوه المذكور سلطانا عليها ولما أن تعكرت الأجواء السياسية بين والى تريم دويس وبين الدولة الكثيرية سنة ٨٣٣ أشار السلطان عبدالله بن على وهو إذ ذاك بظفار على أخيه سلطان الكسر صاحب الترجمة أن يفتتح تريم ويخضعها فسار اليها بجيش لجب وحصرها وهم بأخذ ماحولها من غلال مزارع الشتاء فانحدر اليه السيد الشريف عمر بن عبدالرحمن العلوى الملقب بالمحضار وتشفع عنده فيها فقبل شفاعته ولم يغير منها شيئا

وفى سنة ٨٣٥ صعد السلطان محمد المذكور إلى ظفار وقضى بها بضعة شهور وبعد عيد الفطر انحدر منها إلى حضرموت بصحبة جماعة من أصحابه

واستخفر بجماعة من القرى والسحرا فلما وصل إلى موضع يسمى حمرا يسكنه كثير من القرى والسحرا خرج اليه رجالهم وقتلوه هو وأصحابه جميعا رحمهم الله

وبعد سنتين من هذه الواقعة انتقم منهم أخوه السلطان عبدالله بن على كما ذكرنا ذلك فى ترجمته

٥ — السلطان محمد بن عبدالله

السلطان محمد بن عبد الله بن على بن عمر . خلف أباه فى الملك وفى أيامه اضطربت حضرموت عليه كلها فثار آل يمانى وآل أحمد والصبرات وآل ثعلب وصاحب مريمه ومعهم بعض آل كثير كل هؤلاء خرجوا على الدولة الكثيرية ليسحقوها فحصروا الحصن الذى بنته بالغرفة وأتلفوا المزروعات وأقاموا تحت الحصن شهرين وفيه يمانى بن عبدالله بن على أخو السلطان محمد محصورا . وبنا آل بنى آل جميل (جفل) فى ذلك العهد بمساعدة الثوار وأتلفوا فى شبام نخيلا كثيرا ومزارع ثم استولوا على حصن الغرفة واخربوه وقطعوا فى موشح كمية وافرة من ثمر النخيل ونجا يمانى بنفسه ثم وقع الصلح بين الجميع إلى شهرين وذلك سنة ٨٤٥ هـ ولم تنته مدة الصلح إلا والسلطان مستعد لحصر تريم فحصرها وأخرج منها أولاد دويس بن راصع ثم حصر جفل وأخرج منها آل جميل وهدأت الأحوال بعض الهدوء نحو عشر سنوات .

تمرد الظلفان والمسفلة :

ثم ثارت الفتنة من جديد بين الظلفان وبين الدولة والأصل فى ذلك مع ما بقى من الحزازات القديمة التى بين الطرفين هو أن — سليمان بن عبدالله ابن عقيل الظلفى تعكر الصفو بينه وبين عمومته فاجتمعوا عليه يرأسهم مبارك ابن حيدرة وأولاد عقيل بن عمر وقرروا طرده وإبعاده عن البلاد فخرج والتجأ إلى السلطان محمد بن عبدالله الذى قبله وأقام عنده وأعاده إلى بلاده بعد حصرها أياما وذلك سنة ٨٥٤ هـ وانطلق الظلفان يهيجون الفتنة ضد الدولة فأثاروا أهل المسفلة وهم راصع بن يمانى وأولاد دوس والصبرات وفارس وأصحابه فتجمع كل هؤلاء وأرسل لهم السلطان محمد ابنه عليا ، ومعه سليمان

بن عبدالله بن عقيل الظلفى وحلفاء الدولة وعندما تهيأ الفريقان وبرز كل إلى الميدان . . تداخل المصلحون فقرروا بين الطرفين صلحاً إلى سنة وهدم الضرر اليسير الذى وقع بصوح ولكن هذا الصلح لم يتم إذ نشبت الحرب ثانية ووقع النكث من جانب المسفلة ولهذا غضب فارس وأصحابه وانحازوا إلى الدولة وصال رجال المسفلة ومعهم آل يمين وآل ثعلب على قرى الدولة مثل سيون وجفل والغرفة وغيرها وأزعجوا الأهالى فتصدت لهم الدولة بقتال صارم حتى أقصتهم وهزمتهم .

وفى سنة ٨٥٥هـ توفى السلطان محمد بن عبد الله فجأة وسرعان ما اغتنمت المسفلة الفرصة فأثارت الحرب من جديد على الدولة . وأقبل راصع بن يمانى وآل أحمد والصبرات ومن والاهم فصالوا على بور وقطعوا ثمار نخيلها وانتشروا يعيثون وينهبون كما سيأتى تمام ذلك فى حياة أخيه السلطان بدر وترك السلطان محمد من الأولاد ثلاثة علياً وبدراً وعمر .

٦ — السلطان بدر بن عبد الله بن على

السلطان بدر بن عبد الله بن على بن عمر — ولد سنة ٨٤٠هـ وتولى السلطنة بعد أخيه محمد سنة ٨٥٥ والفتنة قائمة فى البلاد على قدم وساق بين الدولة وقبائل المسفلة .

واقعة باجلحبان وصلح السكران :

لما تجمعت الأحزاب ضد السلطان بدر جهز عليهم جنداً قاده هو بنفسه وأقبل به نحو الثائرين فتلقته قبائل حضرموت الهائجة فى ميدان باجلحبان وكانت معركة فاصلة هزمهم فيها السلطان بدر وقتل منهم نحو المائة أشهرهم راصع بن دويس نفسه وراصع بن يمانى وعمر بن جسار ثم خرج إليهم السيد الشريف أبو بكر بن عبد الرحمن العلوى الملقب بالسكران فعقد بينهم الصلح المسمى بصلح الغدير لأنه قسم الغدير بطوله بينهم أثلاثاً .

صلح العيدروس :

وبعد مضى بضعة أشهر عقد أيضاً صلح بين السلطان بدر وبين سلطان

ابن دويس خاصة وجعل المصلح وهو السيد عبد الله بن أبى بكر العلوى لكل من الطرفين الحلال فى صوح وذلك سنة ٨٥٥ هـ كما ذكرنا .

مريمة والدولة :

وتعكر الجو ثانية بين صاحب مريمة والدولة فأرسلت جيشاً وحصرت البلدة ثم أمر السلطان بدر ببناء حصن فى قارة تسمى البيضا فوق النخل ثم عقد بينهم صلح على أن يخرب السلطان الحصن فخربه .

بدر وابن أخيه :

وأحس السلطان بدر بفخاخ ومكائد تنصب له من قبل ابن أخيه على بن محمد بن عبد الله بن على فأسرع بقتله فى سيون سنة ٨٥٨ هـ .

تريم أيضاً :

وعادت تريم أيضاً إلى التمرد سنة ٨٦٨ هـ فعزم السلطان بدر بن على على إخضاعها والاستيلاء عليها تماما فشخص إليها بجنوده وحصرها ثم وقعت معركة تحت تريم بين السلطان وآل راصع فقتل محمد بن راصع . ومكث السلطان محاصراً لتريم بضعة شهور ثم عاد أدراجه بدون طائل .

الشحر :

واستولى على الشحر سنة ٨٦٧ هـ إذ انتزعها من الطاهريين أهل عدن كما سيأتى . ثم عاد إلى حضرموت .

العودة إلى تريم :

ولم يطمئن له بال إلا بعد أن هاجم تريم وبذل فى الاستيلاء عليها كل جهد حتى وقعت فى يده فدخلها فى ٢٢ جمادى الآخرة سنة ٨٨٩ هـ .

وتوفى بشبام سنة ٨٩٤هـ ودفن فى جرب هيصم رحمة الله عليه .

٧ — السلطان جعفر

السلطان جعفر بن عبد الله بن على بن عمر . نشأ بعيداً عن المشاغبات

السياسية مشتغلا بالتجارة ومتصلا برجال الفضل والصلاح وناظراً من كثب إلى الماجريات السياسية التى تتناوب عشيرته وكان المتصلون به من رجال السادة العلويين كثيرا ما كانوا ينشطونه إلى القيام بنصرة قومه والتصدى لنيل السلطنة لما يعلمونه فيه من الرأى الثاقب والورع الحاجز . وقد ضمه يوما فى حوطة الشيخة سلطانة مجلس هو والشيخ عمر المحضار بن الشيخ عبد الرحمن السقاف العلوى فاقترح هـذا على السلطان جعفر أن يكون سلطانا فى بلد بور المستعصية وأكد له الإمام المذكور أن واليها قد تعب من ولايتها وأنه أى الإمام يستطيع أن يقنعه بالتنازل عن الولاية لجعفر وكان الأمر كذلك ففى يوم الجمعة التالى ذهب السلطان جعفر إلى بور وتولاها صفوا عفوا .

ولم يزل بها سلطانا حتى تآمر عليه الظلفان فقتلوه سنة ٩٠٥هـ رحمة الله عليه وترك من الأولاد عبد الله وبدراً وعمر .

٨ — السلطان عبد الله بن جعفر

السلطان عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن على بن عمر والد بدر بوطويرق تولى سلطنة حضرموت بعد عمه سنة ٨٩٤هـ فسلك السبيل الأقوم الذى يوطد مركزه ويخلق له مكانة مكينة فى قلوب كل طبقات الشعب فهو فى قلوب العتاة وذوى الإجرام سلطان شديد وجبار عنيد لا تطاق صولته ولا تقرب حظيرته وعند عامة الأمة أب عطوف ووديع أليف ، وعند الشخصيات البارزة فى العلم والفضل هو السلطان الحازم العادل خادم الشرع ونصير السنة .

أدبه مع الشرع :

حكى عنه صاحب النور السافر واقعة تدل على رجاحة عقله وعظيم حلمه قال : اشترى السلطان عبد الله بن جعفر حصانا من بعض الناس ثم بعد ذلك أراد رده وادعى أن فيه عيباً وامتنع من تسليم الثمن للبائع فاشتكى منه للقاضى العلامة الشيخ عبد الله بن محمد بن حسن بن عبسين فكتب إليه أن احضر للشرع الشريف فحضر ولم يراع السلطان ولا تساهل لأجله ولا حاباه بكلمة . . . وهذه الواقعة تدل على فضل السلطان والقاضى معا .

وقد حمد الناس قبل هذا تولية السلطان قضاء الشحر الشيخ ابن عبسين إمام العلم والورع .

إعجابه بالعيدروس :

قال باهارون فى تاريخه : تكلم شخص على الشريف الشيخ عبد الله العيدروس بحضرة السلطان العادل عبد الله جعفر الكثيرى فانتهره السلطان وقال له : كف عن الشيخ فإن الأسخياء سادات الدنيا ولا أعلم على وجه الأرض أسخى منه . ثم أنشد السلطان شعرا :

الشريف المنيف ذى تابع آثار جده من كرامته لو روحه براحته مده

شديد الوطأة :

والسلطان كما قلنا شديد الوطأة على من تطاول نحو حماه عظيم السطوة لمن يشم منه رائحة العصيان وقد بطش فى السنة الثانية من ولايته بأخويه بدر وعمر . وقتلهما قتلة كادت تورثه عارا لولا قدرته الفائقة على محو ذلك بما أوتيه من مكارم الخلال وحسن السلوك مع الخلق .

قال الشبلى العلوى فى السناء الباهر : كان للشيخ العلامة عبد الله بن محمد بن أحمد باجمال قبول تام عند السلطان عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن على بن عمر فلا ترد له شفاعة وكان يعتقده ويستشيره فى الأمور المهمة .

الظلفان أيضا :

وحدثت مشادة سياسية عظيمة بين السلطان عبد الله وبين والى هينن اتسعت هوتها وآلت إلى امتشاق الحسام وحرص الشيخ الكبير عبد الرحمن الأخضر باهرمز على حقن الدماء فتوسط فى الصلح بين الطرفين وقدم لهما شروطا لم ترق فى عين السلطان عبد الله الذى لم يزل جرحه فوارا من تلك الجريمة الشنيعة التى اقترفها الظلفان منذ خمس سنوات فى أبيه المغفور له . وتقهقر الشيخ الأخضر نفع الله به أمام عارضة السلطان القوية التى تؤيد نظريته فى عدم قبول شروط الصلح وترك الحكم فى ذلك للسيف غير أن السلطان لم تطل مدته بعد ذلك فقضى رحمه الله سنة ٩١٠هـ .

وفاته :

قال العيدروس فى النور السافر : فى يوم الأحد سلخ محرم سنة ٩١٠ هـ توفى السلطان العادل المشهور بأفعال الخير وإقامة الشرع عبد الله بن جعفر الكثيرى بالشحر وكانت سيرته فى رعيته سيرة حسنة محمودة رحمه الله : وتولى القضاء له الشيخ الإمام عبد الله بن عبسين ثم الشيخ الفقيه الصالح عبد الله ابن أحمد سروى ورثاه الإمام الشيخ الأخضر باهرمز فقال :

رحمة الله على من حل فى حصن سمعون
رحمة واسعة والعفو مرجو ومسنون

وخلف ولدين هما محمد وبدر أبو طويرق الشهير .

٩ — السلطان بدر الدين بن محمد

السلطان بدر بن محمد بن عبد الله بن على بن عمر : من فضلاء سلاطين الدولة الكثيرية وأعلمهم . ولوع بالمطالعة . غزير الاطلاع . محب لرجال العلم ومباحثتهم ونكاتهم ، شغوف بالأدب والشعر وقد عده صديقنا البحاثة عبد الله بن محمد السقاف فى كتابه من شعراء الحضرميين وأورد له بيتين نقلا عن السناء الباهر من قصيدة يمدح بها الشيخ معروف باجمال وهما قوله :

قف بالديار ديار ظبية حاجر متواضعا متوجها للزاهر
واطرح على ترب المنازل وجنة مصبوغة بدموع طرف حائر

ولد بمدينة بشبام وترعرع بها وقرأ العلم على جماعة من فضلائها وتنقل متنزها فى مدائن القطر الحضرمى بعد وفاة أبيه وهو إذ ذاك لم يبلغ الثلاثة عشر ربيعا من عمره واتصل بأدباء القطر وأخذ عنهم وحفظ الشعر وما لبث أن قاله وهو بين مشاغله السياسية وطموح همته إلى الولاية .

الشحر وأبو دجانة :

وما أن بلغ السلطان بدر العشرين من عمره حتى بدأ يرنو إلى الشحر ويود لو ينتزعها من صاحبها أبى دجانة محمد بن سعيد بن فارس الكندى

لأنها ثغر حضرموت الذى يتصل منه حبل التجارة ووسائل العمران . وتشاء الأقدار أن تحدث أبا دجانة نفسه بالاستيلاء على عدن وانتزاعها من الملك الظافر لأنها باب الشحر وسياجها . قال الكبسى فى تاريخه اللطائف وتجهز أبو دجانة محمد بن سعيد بن فارس صاحب الشحر إلى عدن فى عدة مراكب يريد الاستيلاء عليها . فتلقاه الملك الطاهر فخرج بعسكره من باب البر وأخذ أبا دجانة أسيرا ودخل به إلى عدن وأسر جماعة من أعوانه سنة ٨٦٢ هـ وفى سنة ٨٦٥ جاء الملك الظافر إلى لحج وجمع عسكرا كثير فدخل عدن وجهزهم فى البحر إلى الشحر .

قلت ولما أن وصلت إلى حضرموت أخبار استيلاء الطاهريين على الشحر تنفس السلطان الصعداء وطفق يتصل بالملك الطاهر ويكاتبه ويواده حتى تحصل على الإعجاب والثقة التامة من جانب الملك الطاهر فكتب له عهدا على الشحر سنة ٨٦٧ هـ وعزم على التوجه إليها من حضرموت ليباشر عمله . وإذا بعمه بدر بن عبد الله سادس سلاطين هذه الدولة يسبقه إليها ويستولى عليها باسم الدولة الكثيرية بدون تعب ولا نصب .

ولم يشأ المترجم له أن يحدث خصومة بينه وبين عمه ولا يزال نصب عينيه ما فعله بأخيه على بن محمد سنة ٨٥٨ كما ذكرنا ذلك فى حياته فمكث هادئا حتى عاد عمه وأمره بالشخوص إلى الشحر واليا عليها من قبله فسافر إليها واستمر بها واليا .

وكان أبو دجانة بعد خلاصه من أسر ابن طاهر أقام فى بلاده المسماة بالحريج يتحين الفرص لاسترداد الشحر من الكثيريين ففى سنة ٨٨٣ هـ جهز عليها برا وبحرا وامتلكها بعد أن انسل منها بدر إلى حضرموت ولم يمكث غير قليل ريثما استجمع قواه واستغفل خصمه ثم أعاد الكرة على الشحر فطرد منها أبا دجانة واحتلها .

وفى سنة ٨٨٧ جهز أبو دجانة فارس بن مبارك على الشحر فدخلها وفيها بدر بن محمد فخرج عليه بدر فى ثلة من العساكر والتقى الفريقان فى الشوارع وتقاتلوا بالسلاح الأبيض واستحر القتل فى الطرفين فقتل فارس نفسه وقتل محمد بن بدر أيضا وانهزم قوم بادجانه واستمر بها بدر حتى وافاه من حضرموت نعى عمه بدر بن عبد الله بن على فاضطرته الظروف إلى العودة إلى

حضرموت والجلوس على عرش آبائه سلاطين القطر بشبام وترك سلطنة الشحر لابن عمه عبد الله بن جعفر السلطان الثامن من سلاطين هذه الدولة وتفرغ هو لإدارة الشئون الحضرمية الداخلية .

سور تريم :

وكان سور تريم فى ذلك العهد يمتد إلى قارة العز فخربه السلطان بدر سنة ٨٩٥هـ وجدده ثم خربه والى تريم عبد الله بن راصع سنة ٩١٠هـ وأعاده محمد بن أحمد سنة ٩١٣هـ وأحكمه إحكاما متقناً إذ عمل له أبواباً عظيمة ثلاثة أحدها من جهة الجنوب بالقرب من بير كانوا يقولون لها بير عاسل وثانيها من جهة الشرق عند حارة كانت تسمى حارة آل باشريف وثالثها من جهة الشمال عند حارة القصارص .

توفى السلطان بدر بن محمد بن عبد الله بن على فى ٣ شوال سنة ٩١٥ بشبام وعمره ٧٣ سنة ودفن بجرب هيصم قريباً من قبر عمه بدر بن عبد الله رحم الله الجميع .

١٠ — السلطان محمد بن عبد الله

السلطان محمد بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن على بن عمر جد آل عبد الودود تولى السلطنة بعد أبيه سنة ٩١٠هـ وكان رجلا عبقريا غير أن عبقريته ضؤلت وكادت تلاشيها عبقرية أخيه بدر بوطويق .

وكان محمد هذا فى عهد أبيه قائد الجيوش وحليف الغزوات ورب المعامع

واقعة بريع :

وتحت قيادة السلطان محمد وقعت وقعة بريع الشهيرة بكثرة قتلاها . وبريع موضع شرقى تريم كانت قرية ثم خربت وكانت المعركة بين السلطان محمد ابن عبد الله بن جعفر وبين محمد بن أحمد والى تريم وقد قتل بهذه الموقعة أكثر من أربعين رجلا من الطرفين سنة ٨٩٥ وكانت الجبهة الجنوبية للحرب تحت قيادة السلطان بدر بن محمد بن عبد الله بن على السلطان التاسع المار ذكره قبل هذا . . . وفى هذه السنة نفسها خرب سور البلد الجنوبى كما ذكرنا ذلك فى ترجمته .

بين الشحر وظفار :

وقد شاءت الظروف للسلطان محمد هذا أن يشخص إلى الشحر ويتولى سلطنتها بعد أبيه وأخذ يتردد بينها وبين ظفار وحضرموت ويكد ويجتهد فى توطيد الملك وإخضاع العشائر .

البطش بالعوابثة :

وفى سنة ٩١٥هـ طفق العوابثة يعيثون بالأمن ويتحككون بالدولة ويهزءون بما يكتبه إليهم من نصح أو إنذار وفى يوم الخميس لعشر خلت من محرم سنة ٩١٦ قبض السلطان محمد على جماعة من أعيانهم عددهم ٣٢ عيناً من آل عمر باعمر وبعنس وآل بازور وأهل الحيق وفيهم أحمد ومحمد وأبو بكر أولاد عمر باعمر وبشر بن محمد بن عمر باعمر ثم سيرهم إلى ظفار إلا محمداً بن عمر اختفى ثم وجدوه فقتل فى الشحر والبقية قتلوا فى ظفار جميعهم ، وخلقت الهيبة فى صدور الناس بعد ذلك للسلطان محمد واتسع نفوذه وسلطانه .

الحوطة لا تضرب فيها الطبول :

قال باهارون فى تاريخه : جاء السلطان محمد بن عبد الله بن جعفر إلى بلدة روغة . وعمل له السيد محمد بن على باهارون ضيافة . ولما جاء صاحب الطبل والطاسة يضربون تحت السلطان — كعادتهم — خرج عليهم السيد عبد الله باهارون وطردهم وقال : روغة حوطة لا تضرب فيها الطبول . وسمع السلطان ذلك فأطل عليهم وأمرهم بالسكوت تعظيما للسيد وخرج إليه وسلم عليه واعتذر لأتباعه منه . وطلب منه الدعاء . رضى الله عن الجميع .

تريم أيضاً :

وحاول استخلاص تريم من واليها محمد بن أحمد فناوشه القتال تحتها والتقيا سنة ٩١٩ هـ وعاد السلطان محمد الكثيرى خائباً .

بين الأخوين :

ورأى السلطان محمد أن أخاه الأصغر بدر وهو أبو طويرق نبغ إذ ذاك نبوغاً عظيما وأشرق كوكب سعده حتى أعشى الأبصار فاغتبط السلطان محمد

بذلك وظهرت على ملامحه السرور وكتب بخطه نفسه إلى خطيب الشحر الشيخ أحمد بن محمد السبتى بأنه قد خلع الولاية على أخيه السلطان بدر بن عبد الله . وأمر الخطيب المذكور أن يسقط اسمه من الخطبة وأن يخطب لأخيه بدر فخطب له وذلك سنة ٩٢٧ هـ .

ومضت اثنتا عشرة سنة والأخوان متصافيان متحدان ثم بدأ الجو يتعكر بينهما. والوشايات على بعضهما تتسرب إلى أذهانهما فتعمل عملها فى جرف أكوام الثقة والوداد حتى اتسعت حفيرة الشقاق . ولم تعد الأهواء والنفوس قادرة على كتم ما بها من الضغائن فبدأت المشاكسات والمعاكسات تبدو وتنجم والمناوشات تلتها تنمو وتعظم ثم التهبت نيران الفتنة بينهما .

غزوة بغزوة :

فى سنة ٩٤٠ هـ جند السلطان محمد قوما من المهرة وغزا بهم الشحر وحصرها إبتداء من الرابع والعشرين من محرم وهؤلاء المهرة من بيت زياد وحلفائهم ولم يطل الحصر بل انصرف سريعاً وعاد إلى المشقاص بدون طائل ومعه من وجوه المهرة كثير . فحفظها لهم السلطان بدر وجند فى سنة ٩٤٢ هـ قوماً من أشراف الجوف يرأسهم الشريف ناصر ثم سار بهم إلى حريج جهة المشقاص واغتصبها من صاحبها أحمد بن محمد بادجانه الكندى وكان خروج السلطان من الشحر إلى المشقاص يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة مضت فى جمادى الآخرة وكان عدد فرسان الأشراف الذين يصحبونه اثنين وثلاثين فارسا . وبعد أن استولى على حريج انصرف راجعا إلى الشحر . ثم توجه إلى حضرموت واصطلح مع أخيه السلطان محمد وطلب هذا من أخيه السلطان بدر أن يرد حريج لأهلها فردها لهم إكراما لأخيه الأكبر .

عودة الشقاق بينهما :

ولم يطل الوئام بين الأخوين بل دب الشقاق ثانيا . ومن أسباب ذلك أن بدرا لما أسر جماعة من الأفرنج كما سنشرحه فى تاريخه أرسل لأخيه السلطان محمد منهم أحد عشر أسيرا فقتل هذا منهم ستة وأرسل الخمسة الباقين إلى الملك هرمز بعد أن زودهم وكساهم فشق ذلك على بدر وكان هذا من أسباب اختلافه مع أخيه للمرة الثانية .

وقال صديقنا السيد بافقيه العلوى فى تعليقاته : أن ظفار التى جعلها بدر لأخيه محمد وأشهد على نفسه بذلك لم تغن محمداً شيئاً فبقى يكاتب قبائل حضرموت ويغريهم على أخيه حتى استعمل بدر العقل وأرسل إليه أبا مدرك سفيراً ومصلحاً فطيب خاطره ، وقد وصل المشقاص عند الحموم وانتقل منها إلى غيل ابن يمين . إلى أن قال : وتم الصلح بين السلطانين على أن المسفلة (حدرى) مع ظفار لمحمد والمعلاه (علوى) من هينن والشحر لبدر .

غير أنه انتقضت هذه القسمة بشوش حصل بين الأخوين . فتدورك الأمر واتفقا على أن المملكة بينهما أنصافاً غير سيون فهى خالصة لمحمد ، وهينن خالصة لبدر .

هجوم فشل بهجوم نجاح :

واستمر الحال بينهما على ما ذكر إلى سنة ٩٤٧هـ إذ هجم السلطان بدر على القارة من أعمال ظفار وانتزعها من أخيه السلطان محمد فهاج هذا وكبر عليه الأمر ونهض فى أوائل شهر شعبان من السنة نفسها يحشد جمعاً كثيفاً من ظفار الغيظة وأخذ جميع أولاده ومحبيه واستنفر آل كثير من ظفار ودخل بهم قشن واستنجد بالمهرة للتجنيد مصمماً على إنقاذ القارة من أخيه بدر فلم يساعده أحد وبقى يصرف على العساكر المتجمعة إلى آخر رمضان ثم حدثت فتنة بين رجال المهرة وعسكر السلطان محمد أدت إلى القتال وحصلت للفريقين إصابات طفيفة فتفرقوا حينئذ ولم يتم للسلطان أمر .

وفاته :

وهجمت الشيخوخة بضعفها ووقارها وتجاريبها على السلطان محمد فنبذ السياسة جانباً واكتفى بولاية الشحر نائباً عن أخيه هادئاً ساكن البال حتى وافته المنية رحمة الله تعالى عليه تاركا فى هذا العالم الفانى ولدين هما بدر وعبد الله .

١١ – السلطان بدر بوطويرق

بدر بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن على بن عمر بوطويرق الخطير الشان ، الواسع السلطان ، الذى طاولت العيوق همته ، وناطحت السماء هامته ، وانطوت على أكبر دماغ حضرمى عمامته ، امتد سلطانه إلى العوالق غربا وسيحوت شرقا والسواحل الجنوبية جنوبا والرمال شمالا ، ولم يكن من أولئك السلاطين الذين تشملهم نشوة الانتصار ويتملكهم زهو الفتح . فيطمعون فيما لا مطمع فيه ، ويتعرضون لما لا قبل لهم به ، حتى ينثنوا وقد غشيهم الحور بعد الكور وساورتهم الندامة بعد السلامة بل كان يجرى فى حياته على بساط من الروية ، ودرع من الحزم وسياج من الجزم ، وسراج من الحكمة . وضوء من الحنكة . وكان يرد الموارد الخطيرة وقد أحرز مصادرها وضبط أواخرها فخرج منها إن لم يكن غانما كان سالما ، فهو من أولئك الأفذاذ الذين جمعوا بين الجندية والسياسة وبين التدبير والرئاسة . والبطولة والكياسة . وبين السيف والقلم . والعدل والكرم والسنان والبيان . وله حياة طافحة بالأعمال الجليلة . والفتوحات العظيمة ، ترجم له السيد عبد القادر العيدروس العلوى فى كتابه النور السافر . . فقال : السلطان الأعظم والملك الأكرم السلطان بدر بن السلطان عبدالله بن السلطان جعفر سلطان حضرموت وكان مولده سنة ٩٠٢هـ وولى السلطنة وهو شاب وكان حسن الأخلاق جواداً كثيرالانفاق وافر الصورة حتى قال فيه بعض الفضلاء : كان كاسمه بدراً منيراً أينما طلع سطع . وغيثا غزيرا كيفما وقع نفع . وكان فى زمنه بدر الصدور ، وصدر البدور . وكان لطيف المعاشرة ظريف المحاضرة شجاعاً مقداما وهزبرا ضرغاما . فكم أباد أحزاب الضلالة ومزقها ، وكم أزال فرق الفساد وفرقها وكان محظوظاً جداً حتى كان لا يقصد بابا مغلقا إلا انفتح ، ولا يقدم على أمر مبهم إلا اتضح ولا يتوجه إلى مطلب إلا نجح . وهو الذى دانت له البلاد . وخضعت له العباد . وأول من أظهر بحضرموت هيبة الملك بسعده . وأسس قواعد السلطنة ومهدها لمن بعده . وطالت دولته حتى لم يعلم أن أحداً من السلاطين مكث فى الملك هذه المدة . وكان يقال أن ثلاثة من السلاطين كانوا فى عصر

واحد . وكانوا متقاربين فى السن والولاية وكانوا رزقوا السعد والاقبال وطالت أيام ملكهم . أحدهم السلطان بدر صاحب الترجمة . والثانى الشريف أبو نمى بن بركات والثالث السلطان سليمان صاحب الروم .

وحكى أن جماعة نالوا من السلطان بدر بحضور بعض الصلحاء الكبار من السادة العلويين[1] فزجرهم عن ذلك . وقال أليس هو خير من الأروام وما يروى عنهم ولولاه لما سلمت حضرموت منهم . ولكانوا استحلوا فيها الحرام . وظلموا الأنام . وكان ذلك الإمام الكبير يدعو بطول بقاء السلطان بدر المذكور . وقد مدحه بعض العلماء الأعلام بهذه القصيدة البديعة :

أشيب ولكن فى المفاخر والمجد ... واصبوا ولكنى إلى طالع السعد
ولى طرب لكن إلى حضرة العلا ... ولى ظمأ لكن إلى الكوثر الورد
إلى حضرة العليا إلى منتهى المنى ... إلى المقعد الأسمى إلى جنة الخلد
إلى الأمجد المولى إلى ملك الورى ... إلى منبع الحسنى إلى الأسد الورد
إلى ذى العلا والفضل والفخر والحجا ... وذى النسب الوضاح والحظ والجد
إلى علم الأجواد صفوة جعفر ... أبى عمر المعطى المطهمة الجرد
فمدح ابن عبد الله أولى فإنه ... هو الملك الشهم السبوق إلى المجد
أخوهم جاوزن أبعـــد غاية ... وجزم وحزم يغنيان عن الحشد
فما جعفر ما المستعين وواثق ... ومستنصر والمستضىء وما المهدى

وبعد أن عدد جماعة من خلفاء بنى العباس قال :

فما هؤلا إلا كعقد منظم ... بدر وبدر الملك واسطة العقد
حوى كل فضل مجمل ومفصل ... وهذا الذى أبديت معشار ما عندي
فطاعته فرض وصحبته غنى ... وتكديره حرب وخصمته تردى
فسبحان من أعطاه ملكا على الورى ... وألزمهم فى أمره خدمة العبد
فلا زلت محروسا وقدرك ساميا ... وملكك محفوظاً وعيشك فى رغد
وسيفك منشوراً وعدلك شاملا ... وجودك مبسوطا على الشام والهند
يساعدك المقدور فيما تريده ... وتخدمك الأملاك فى القرب والبعد

انتهى ما قاله صاحب النور السافر . فى أخبار القرن العاشر .

---

(١) هو الشيخ أبو بكر بن سالم نفع الله به .

نسبه واهتمام العلويين به :

تصدى جماعة من السادة العلويين فى أوائل ظهوره للبحث والتنقيب عن عن سلسلة نسبه . ثم أسفرت نتائج بحوثهم عما يأتى :

هو بدر بن عبدالله بن جعفر بن عبد الله بن على بن عمر بن جعفر بن بدر بن محمد ابن على بن عمر بن كثير بن ظنة بن عبد الله بن حرام بن عمر بن سبأ الأكبر ثم ينتهى النسب إلى يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام .

هكذا جاء فى دشتة العلامة زين العابدين بن عبد الله بن شيخ العيدروس العلوى قال : ولما أن تحققوا صحة هذه النسبة ذهب سبعة منهم إلى ضريح النبى هود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام واعتكفوا هناك متضرعين إلى الله سبحانه أن يقيض هـذا السلطان لحفظ القطر كله . قال وظهرت آثار الإجابة فى السنة نفسها إذ طرق بدر جميع الجهة الحضرمية واستولى عليها من عين بامعبد غربا إلى ظفار شرقا وذلت له رقاب أهلها فى بضعة شهور ولم يبق بها إلا مواضع حقيرة استملكها فيما بعد كما سيأتى . ونصب موازين العدل وبسط فرش الاتصال وتمتع بملكه وسلطانه نحو الخمسين ربيعاً . أما بلاد مهرة فهى وإن لم تخضع له إسماً فهى خاضعة له معنى إذ كاتبه أهلهـا وأرسلوا له الهدايا وأظهروا له الطاعة وأقر بنو عبد الواحد والعوالق للسلطان بدر بالولاية عليهم مع الاذعان له . وتقديم الهدايا السنية إليه وقـد واتته الأمور وتذللت له العقبات وناداه الدهر متمثلا :

وإذا السعادة لاحظتك عيونها نم فالمخاوف كلهن أمان

عزل وزيره :

أول ما بدأ به عند ما أخـذ يدير أموره بنفسه هو عزل وزيرهم مطران ابن منصور وذلك سنة ٩٢٢ هـ حينما ظهرت له أغراض الرجـل ونواياه غير المحمودة . فما لبث بدر أن قبض عليه وزجه فى السجن وصادره فى ماله . ثم أطلقه سراً وولى الوزارة بعده عطيف بن على بن دحدح . وفى شهر رجب سنة ٩٢٨ أعيد مطران للوزارة وعزل عطيف .

تجنيد الأتراك :

رأى بدر فى أول أمره أن القوى التى لديه غير كافية لمكافحة المشاكل السياسية المحيطة به وان الثقة المتبادلة بينه وبين عسكره من الحضارم غير وطيدة والروح العسكرية بين جنده خامدة هامدة يشم منها ذفر العصيان وزهومة التكاسل . فصمم على أن يخلط بهم رجالا جبابرة ألفوا الحروب وألفتهم . ومارسوا الأهوال ومارستهم .

قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم طاروا إليه زرافات ووحدانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم للنائبات على ما قال برهانا

فكاتب السلطان بدر ضباطا من الأتراك الذين هم جبابرة ذلك العصر ورجال الحول والطول فى العالم حينذاك واتفق معهم على تجنيد جيش منهم له يخضع به حضرموت ويلقح بهمته وشجاعته أرواح رجاله فوردت إليه الجنود التركية وهو بالشحر تحت قيادة ضابط كبير يسمى رجب التركى فى شهر جمادى الآخرة سنة ٩٢٦ وفى شهر رجب أقبل بهم السلطان إلى حضرموت . وقد سبقته الأخبار وبالغ فيها المبالغون ولم يبق للناس حديث إلا رجب التركى صاحب الشوارب الطويلة ورجاله « شاربين المسكره » وعم الرعب أهالى حضرموت وكان آل محمد الشباميون قد استبدوا بالسلطة فى شبام فقدم إليهم كتابا ينذرهم وينصحهم بالتسليم فأجابوه بالرفض وصمموا على المقاومة غير أن مقاومتهم هذه لم تستمر غير ليلة واحدة ودخل بدر شبام .

ظهور البندق بحضرموت :

والذى زاد فى رعب أهل حضرموت هو ما يحمله جيش الأتراك مع بدر بأيديهم وعلى أكتافهم من الاختراع الغريب فى ذلك العهد وما يسمعه الناس من الصوت المزعج الذى يصم الآذان خارجاً من فم تلك الآلة القاتلة وهو اختراع جهنمى ليس لحضرموت عهد بمثله قبل قدوم جند الأتراك به . وذلك هو بندق (أبو فتيلة) فكان لظهوره دوى عظيم بين كل الطبقات أكثر بكثير من دوى حديث القنابل فى هاته الأيام وظهوره بأيدى الأتراك الذين كانوا يسمونهم الروم هو السبب فى تسميتهم البنادق العلوق ببنادق الروم .

سقوط تريم :

ثم فى شهر الحجة من هـذه السنة اتجه السلطان بدر وجنوده نحو تريم وبها محمد بن أحمد بن جردان وآل يمانى وآل عمر فتحصن أهلها وحصرها السلطان نحو عشرين يوما ثم رماها بعلوق « الروم » فاستسلموا وبذلوا الطاعة وسلموا البلاد وأجلى السلطان آل يمانى إلى اليمن وأبقى عبيدهم المسمين إلى الآن « عبيد يمانى » وكان ذلك سنة ٩٢٧هـ وهى أول دولة آل جعفر بتريم .

هينن :

وفى جمادى الأولى من سنة ٩٢٧ حول نظره نحو هينن وهى يومئذ مدينة مهمة وبينها وبين بنى جعفر بن عبدالله ذحول وضغائن قديمة فقصدها السلطان وحصرها وطال عليه حصارها حتى ضاق من ذلك . ولكنها أذعنت له فى شهر الحجة من السنة المذكورة ، ثم طفق السلطان يزحف بجيوشه على جميع حضرموت حتى استولى عليها كلها شرقا وغربا كما أشرنا إلى ذلك آنفاً

واتسع سلطان بدر وهابه الناس واستتب له الامر فلم يشأ أن يهمل تدوين الدواوين وإنشاء المحاكم وتنظيم الإدارات وأقبل إليه أخوه الأكبر محمد مغتبطا به متنازلا له عن الولاية كما ذكرناه فى ترجمته .

واستمر السلطان بدر يدير ملكه بحزم وعزم من دون منازع غير ما يقاسيه من الأتعاب فى مداراة اخوته وبنى عمومته ومدافعتهم بالحسنى وهم الذين قد استهواهم داء الحسد والنفاسة فيقعون فى حقه بما لا يرضى من القول ويكيدون له من المكايد ما لا يستطيع محاكمتهم عليها .

النقود :

وفى سنة ٩٣٧ أمر أن تضرب باسمه نقود فضية من فئة الريال وفئة النصف والربع ونقود نحاسية صغيرة وكبيرة [١].

ثورة الحموم :

وفى السنة نفسها عملت الدسائس عملها وساد سوء التفاهم بين السلطان بدر والحموم وكان الجفاء بين الطرفين مسبباً عن قضايا صغيرة جزئية لم يتدارك

(١) وفى سنة ٩٤٢ ضرب أيضاً عملة تسمى « بقشة » وهى رغماً عن تلاشيها بتاتاً فأهل حضرموت وما جاورها لا يزالون يستعملون لفظها إلى الآن فى محاسباتهم ويجعلونها وحدة من الوحدات

إصلاحها عقلاء القوم وقد يحدث من بعض الطائشين من مأمورى الدولة شىء من الغطرسة تنافى ماعليه السلطان من الحلم والرزانة فيزيد ذلك فى اتساع الهوة بين الدولة والحموم .

وطارت شرارة الثورة إذ قبض السلطان على جماعة من الحموم كانوا يتحرشون بالدولة فأعلنت عندئذ قبيلتهم العصيان والتمرد رسمياً . وطفقوا يصولون على الناس حوالى الشحر وأكثروا من النهب والغارة وقطعوا السبل وروعوا المارة وهرب الناس من ضواحى الشحر إليها .

وجهز السلطان بدر جيشه عليهم مع اشتغاله بمشا كل الإفرنج وكفاحهم وسار الجيش من الشحر لقمع الثورة فصار يتلقف من لقيه من الحموم وقليل ماهم حتى انتهى إلى غيل بن يمانى فاستولى عليها وذلك فى سنة ٩٣٦ كما ذكر ذلك العلامة القاضى عبد الله بن عمر بامخرمة .

وزاد هذا فى حماس الحموم وهياجهم فأغاروا على تبالة وقتلوا بها أشخاصاً ونهبوها وغنموا منها أموالا عظيمة كان الناس قد نقلوها إليها من الشحر خوفاً من الإفرنج وأصبح الناس بين نارين نار الحموم ونار الإفرنج أولئك من الخارج وهؤلاء من الداخل وأصبح أولئك الرجال الذين تنهش أكبادهم أفاعى الحسد للسلطان بدر لا يألون جهداً فى إيقاد نيران الشقاق وتزييد الحالة سوءا وحرجا .

خروج نهد :

وأهلت سنة ٩٣٨ والحال على ما وصفنا وجاء عصيان نهد ضغثا على أبالة وكتب أهل حضرموت الغربية إلى السلطان بدر يشكون إليه ما يلاقون من صيال نهد وتمردها : وكان محمد بن على بن فارس النهدى هو الذى يتولى كبر ذلك ويستهين بالسلطان بدر قولا وفعلا وهو الذى يستبيح الحمى ويتحكك بالدولة[1] وأمر السلطان بالتجهيز على نهد والقبض على محمد بن على ولم يكن ذلك بالأمر الهين لولا حنكة العساكر البدرية وطول مراسها للنزال والقتال فقد زحف الجيش على نهد والتحم القتال وسقط محمد بن على أسيراً .

(١) بينما كان بعض رجال نهد يرتجزون ذات يوم عيد إذ أعطاهم محمد بن على هذا الرجز :

سوارحنا فى المفجر رواتع ولا يخرس لنا فى الكسر مزرع
نقاتل بدر كسار المرافع نوطى هام رأسه حين يرفع

وعظم أمره على نهد فقامت غاضبة عن بكرة أبيها على قدم وساق وطفقت تعمل كل ما فى وسعها لمناوأة بدر وكياده وبقى محمد بن على أسيراً عند السلطان بدر حتى حكمت الظروف مرة بأن يصعد السلطان يريد دوعن فاعترضه من السور (موضع لنهد) مائة وستون فارساً غضبا لصاحبهم وتوسط المصلحون بين الطرفين ولم تقبل نهد كلاما حتى تم الأمر أولا بينهم على إطلاقه .

ولم تمت جمرات الحقد من قلوب الطرفين بل دامت المناوشات والاضطرابات تجرى تباعا حتى زحف ثابت بن على بن فارس النهدى على دوعن فاستولى على القرين سنة ٩٤٠ بعد حصار طويل وبعد إطلاق حجر العرادة على البلاد (آلة حربية أصغر من المنجنيق) .

وعز ذلك على السلطان بدر فضرب نهداً ضربة قاضية زحزحهم بها عما استولوا عليه ثم أزالهم من الكسر نفسه حتى أخذوا يستنجدون ببعض ولاة اليمن فتوسط هذا بينهم فى صلح يقضى بعودة نهد إلى مواضعهم .

وفود الأشراف :

وجرى صيت السلطان بدر جريان النسيم وخطبت وده كبار القبائل وزعماء العشائر وتوالت الوفود ببابه ولاذت برفيع جنابه وهو لا يقصر فى إسعاف الوافدين وإكرام الصادرين والواردين وفى سنة ٩٤١ وفد عليه جماعة من رؤساء أشراف الجوف مقدمهم الشريف ناصر بن أحمد بن محمد بن الحسين ومعهم نحو أربعين فارسا فنالوا من إكرامه وحبائه ماجعلهم من أنصاره وأعوانه وقد مر فى ترجمة أخيه محمد أنه فتح بهم المشقاص وانتزع بهم حريج من يد بادجانه الكندي ثم أرجعها إلى أهلها إكراما لأخيه .

تجهيز الإفرنج :

فى القرنين التاسع والعاشر للهجرة كان للبرتغال مكانة فى الشرق لا تضاهيها مكانة تجارة واكتشافا . وكانت هى الدولة الأوروبية الوحيدة التى تنزع إلى الشره الاستعمارى وكانت سفائنها وسفائن تجارها تمخر المحيط الهندى ذاهبة إلى الجزائر الأوقيانوسية الشرقية وآئبة منها وقد وطدت أقدامها فى تلك الجزائر وبعض بقاع الهند ولم تغفل عن أن ترنو إلى سواحل جزيرة العرب

الجنوبية وتؤمل امتلاكها حتى تصيرها حلقة مفرغة فى سلسلة مستعمراتها فهاجمت قشن وسيحوت وغيرهما من الموانى .

وكانت الأراجيف عن هؤلاء الناس منتشرة فى الأقطار الحضرمية فى ذلك الوقت ،والقيل والقال عنهم قد ملأ الخافقين،وكان المسافرون الواردون من البحر كثيراً ما يقولون إنهم شاهدوا سفائن حربية افرنجية تتجول فى مياه السواحل العربية . وفى صبيحة ذات يوم أقبلت سنابيك صيد السمك من عرض البحر مذعورة قائلة : إنها رأت عدداً من المراكب الغريبة مقبلة نحو البلاد ، وسرعان ما انتشر هذا الخبر المشئوم فى الشحر فأقبل الناس يهرعون نحو السيف (الميناء) وصعد النساء والكسالى على سطوح البيوت لينظروا ما ذكر ، وما لبثت السفائن أن تراءت للملأ متجهة نحو الشاطىء يبلغ عددها أربع عشر سفينة . فألقت مراسيها ، فكان ذلك صبيحة يوم الخميس لتسع خلت من ربيع الثانى سنة ٩٢٩ ولم يبلغنا نزول أحد منها ذلك اليوم ولا الليلة التى تلته ولا طلع إليها أحد ، ولكن لم يشعر أهل البلد عند فجر الجمعة إلا بالضوضاء والرطانة المزعجة تحت البيوت وفى الأزقة والطرقات ، وارتفع الضجيج وعلا صراخ الصارخين بالقتال ؛ وإذا بالإفرنج يتسورون الديار وينهبونها وإذا بهم يحرقون ويخربون ؛ وتصدى الناس لقتالهم واستحر القتل فى الفريقين وقتل من أعيان الشحر جماعة ، منهم الأمير مطران بن منصور ، والإمام العلامة الشيخ أحمد ابن عبد الرحمن بلحاج بافضل ، وكان هذا الإمام ممن قاتل قتال الأبطال وفعل الأفاعيل فى هجماته وأرسل رسلا مستعجلين برسائل مؤثرة إلى حضرموت يستنفرهم للجهاد ، وممن استشهد أيضاً الشيخان أحمد وفضل ابنا رضوان بافضل والفقيه العالم يعقوب بن صالح الحريضى وخلق كثيرون من المسلمين رحمهم الله وأثابهم بفضله آمين . ومكث الإفرنج هذه المرة بالشحر الجمعة والسبت والأحد ، ثم انسلوا ليلة الاثنين إلى سفائنهم وضربوا بها عرض البحر مقلعين بها نحو الهند . هذا كله صار والسلطان بدر فى أول أدوار سلطنته ، وتكرر بعد ذلك تحكك الإفرنج بالشحر غير أنهم لم يزالوا فى كل مرة يعودون راضين من الغنيمة بالإياب . أما فى سنة ٩٤٢ فقد أقبلوا بجمع عظيم من السفن الكبار والصغار وصادف هجومهم على الشحر وجود السلطان بها فأعد لهم العدة ، فلما نزل أبطالهم إلى البر أرسل إلى سفائنهم من يأسرها ومن فيها والتحم القتال بحراً

وبراً واختلط الحابل بالنابل فكثر الطعن والصراع كتفاً لكتف . وحضر ذلك أشراف الجوف بعد عودتهم من المشقاص كما ذكرنا آنفا . ورأى الإفرنج من حامية الشحر ما لم يعهدوا مثله قط فى الماضى من النزال والكفاح . وأصبح يوم الأحد الخمس فى رمضان والشوارع لا يخلو كل منها من قتيل فأكثر من الإفرنج ، وعلم الذين فى البر منهم بأن سفائنهم سقطت فى يد بدر وأن جنوده يسحبونها إلى السيف سحبا ورجالها أسارى يقادون بالأكبال فلم يسعهم وقد تأكدوا من الهلاك المحيط بهم إلا أن يطلبوا الأمان ويسلموا أنفسهم أسارى فأمنهم السلطان بدر ومنهم القبطان الأكبر وذلك عند حلول وقت الظهر . ثم فرقهم على ضباطه ، فجعل للأشراف عشرة أسارى وللعساكر الزيود عشرة ، وللعسكر من يافع عشرة ، وللعبيد النوبيين عشرة ، واستولى على أموالهم وعبيدهم وعروض تجارتهم ونقودهم وهو مال جزيل ، واستولى على خشبهم أربع عشرة خشبة كباراً ، وقد هرب منهم نحو مائة شخص وخشبة من خشبهم وعثرت جنود بدر على جماعة منهم فى البيوت مستخفين بعد هزيمتهم الساحقة . فكان جملة المأسورين منهم سبعين رجلا . ثم وصل جماعة منهم أيضاً من جهة سواحل أفريقيا الشرقية ومعهم مال ، فأخذ السلطان مالهم وقيدهم مع أصحابهم .

ثم بعد أن تم الأمر أرسل السلطان بدر رحمه الله خمسة وثلاثين رجلا منهم فى خشبة إلى السلطان العثمانى فسافروا بهم إلى جدة ، فلما وصلوا إلى مكان يقال له الثغر قريبا من جدة انطلق من القيود سبعة منهم وهجموا على رجال الخشبه وهموا بالبطش بهم ، فتألب عليهم رجال السفينة وأفنوا السبعة المذكورين بأكملهم وأرسلوا الباقين من جدة إلى السلطان فى غراب كبير[1] . وأرسل أيضا إلى ظفار أحد عشر شخصا من الافرنج قتل منهم ستة وأما الخمسة الباقون فأرسلهم السلطان محمد بن عبد الله أخو السلطان بدر وهو يومئذ والى ظفار إلى هرمز بعد أن زودهم وكساهم ، وهذا من جملة الأسباب التى أدت إلى اختلافه مع أخيه بدر .

وخطر للسلطان بدر أن يذهب فيصيف فى حضرموت فصعد إليها واستصحب معه ثلاثين شخصا من الافرنج الأسارى فى يوم الاثنين السابع عشر من ربيع الأول سنة ٩٤٢

---

(١) سفينة ضخمة ويقال لها غارب أيضاً .

وأعقب ذلك دوام الاتصال بين السلطان بدر والافرنج من حرب إلى صلح ومن صلح إلى حرب ، ومن قتل إلى أمان وكثر أسارى الافرنج عنده واختلط الأهالى بهم . وأنس السلطان ببعضهم فجعلهم من ندمائه ، وظهر له من بعض هؤلاء نوايا سيئة وخيانة فنكل به . وفى ذات ليلة وهو بالشحر تآمر القوم على قتله وكان هو وإياهم [1] يشربون فى بيت فأغلقوا عليه الأبواب وأسرعت إليه بعض الجوارى فأسرت إليه الخبر فلم يجد له مخرجا إلا من بيت الخلا فخرج منه وسلمه الله وأصبح ذلك اليوم متغيرا منهم ثم أمر بهم فقتلوا عن آخرهم وبعث برؤوسهم إلى السلطان سليمان .

ثم فى يوم السبت ٢١ شوال سنة ٩٤٤ وصل عبد الله بن أرقل من الهند فى خشبة غريبة وغراب أفرنجى فدخل بالصلح بين السلطان والافرنج فاصطلحوا حينئذ وفك أسراهم يوم الأحد ٢٢ شوال من السنة المذكورة .

بدر والدولة العلية :

وطمحت بالسلطان بدر همته العالية وثقافته السامية إلى الاتصال بأعظم عاهل على وجه البسيطة حينذاك وأقوى جبار بشرى فوق سطح هذه الكرة وهو السلطان سليمان القانونى الذى كان إذ ذاك ملك الدنيا ورب جبروتها ، ووحيد سطوتها ، وكانت الدولة العلية لذلك العهد فى أوج شرفها وكمال عظمتها وملوك الأرض قاطبة تنظر إليه فاغرة أفواهها دهشة وإعجابا .

وأخذ السلطان يكاتب عاهل الدولة العثمانية ويستنجده على البرتغال العائثين ويبذل له الطاعة . وللدولة العثمانية فى ذلك العصر طموحها إلى البحر الأحمر وسواحله وتطلعها إلى الهند وما جاورها فكان يغيظها ما تسمعه من بطولة البرتغال وقرصنتها فى تلك البحار فجهزت فى أوائل سنة ٩٤٤ جيشها اللجب تحت قيادة وزيرها بمصر سليمان باشا الألبانى ويقال له الطواشى لأنه فى الأصل من مماليك السلطان سليمان خان بن بايزيد العثمانى ، فأقبل سليمان باشا بجيش كثيف نحو أربعين ألف مقاتل ومعه سفائن عظيمة يسمونها غوارب أو غربانا تنيف عن الثمانين ، ونحو مائة سفينة من الصغار التى تسمى خشبا ، وتوجه قاصدا نحو الهند .

---

(١) عن النور السافر

وفى يوم السبت ١٨ ربيع الأول سنة ٩٤٤هـ وصل إلى ميناء الشحر غراب أو غاربة يقل ثلاثين تركيا فنزلوا إلى البر قاصدين إلى السلطان بدر بن عبدالله وهو إذ ذاك بالشحر فقابلهم بحفاوة عظيمة وإيناس لا يوصف ، وقدموا له عشية اليوم نفسه مرسومين وخلعتين شرفه بها السلطان سليمان بن سليم بصحبة الأمير سليمان الطواشى وهذا أرسلها فى الغراب المتقدم ذكره يحملها مملوكه الأمير فرحات شومای بمعية الثلاثين تركيا ، وقد عقد اجتماعا عاما بمسجد الجامع فكان محفلا مهيباً . قام فرحات أمام السلطان خطيبا عند تقديمه المرسومين ونوه بذكر التجريدة المرسلة من جهة السلطان سليمان لحرب الافرنج ، وأنه قد صدر الأمر الكريم بتجهيزها وهى واصلة إن شاء الله تعالى إلى بحر الهند عن قريب .

ثم قام القاضى العلامة الشيخ عبد الله بن عمر بامخرمه وقرأ المرسوم الشريف وبعد انتهائه منه تكلم السلطان بدر بما معناه أنه يرحب بالمرسوم ويرحب بأول رسول تركى ورد إلى الشحر ، وأنه سيأمر فى الجمعة القادمة بأن يخطب الخطباء فى مملكته للسلطان سليمان : وجاءت الجمعة المشار إليها فى ٢٤ ربيع الأول فكانت أول جمعة خطب فيها لسلطان آل عثمان بحضرموت وموانيها .

وغادر فرحات الشحر معززا مكرما وقد أرسل معه السلطان هدية للسلطان سليمان وهى فص من الألماس النادر الوجود وخمسمائة مثقال من العنبر الأصيل الفاخر ، وأعطى فرحات ومن معه ثلاثين بهارا من الفلفل .

وفى يوم السبت لثمان خلون من جمادى الأولى أرست فى الشحر سفينة تحمل مؤنا للتجريدة العثمانية المقبلة فأنزلت فى الشحر وأودعتها هناك ، منها بهار من البقسماط ومثلها من البصل ، وألف كيس من البر والشعير والفول ، وخمسون برميلا من الزيت وآلات كثيرة من المدافع وأنواع الأسلحة .

وتعوق سير التجريدة وأبطأ خبرها وذلك أنها لما وصلت بعض سفائنها إلى مياه جدة رأى السلطان سليمان أنها غير كافية للهجوم على الهند ، وأحب أخذ الحيطة من هذه المجازفة الخطرة ، فأمر سليمان باشا بالعودة إلى مصر ومضاعفة الاستعدادات ؛ وطفق السلطان بدر فى الشحر يكاتب سليمان باشا مستفهما عن الأحوال ، فجاءه (مرسوم) يوم الخميس ٢٠ محرم سنة ٩٤٥هـ من مصر جوابا على كتابه وفيه أن التجريدة المنصورة خرجت من الروم وأنها وصلت إلى السويس متجهزة لحروب الافرنج فى الهند .

وفى يوم الخميس ٢٦ ربيع الأول من هذه السنة ورد للسلطان بدر كتاب من الباشا سليمان الطواشى إعلاما بوصول التجريدة المنصورة إلى بندر عدن وأنه استولى على البلاد بدون قتال قال : وكان وصولهم عدن يوم السبت لسبع خلت من ربيع الأول .

وكانت الأخبار ترد إلى موانى حضرموت ثم إلى داخليتها بإكبار التجريدة والمبالغة فى وصفها وعظمتها ؛ وأن فيها من العدد والعدد شيئاً عظيما . ودخلت الأتراك عدن واستولوا عليها ليلة الاثنين لتسع فى ربيع الأول ، وقبضوا على الشيخ عامر بن داود آخر بنى طاهر وأميرها عبد الصمد والأمير الخلى وكان هذا ظلوماً غشوما فحكموا عليهم بالصلب وتركوهم مشنوقين بالجسارة قرب باب الساحل يومين كاملين ودفنوهم فى اليوم الثالث وخرج الباشا إلى عدن وطاف بها ونادى بالأمان للأهالى ثم اتجه هو والتجريدة إلى الهند وترك بعدن عاملا له يسمى بهرام ومعه خمسمائة رومى (تركى) .

ودخلت الجنود التركية الهند وكانت إقامتهم هناك نحو شهرين ثم رجعوا خائبين ووصلت التجريدة بندر الشحر يوم الأربعاء لأربع خلت من شهر رجب ، وخرجت العساكر الرومية إلى البلاد وباعوا واشتروا وأمنوا الناس ثم طلب الباشا وهو فى البحر لم يخرج إلى البر الافرنج المأسورين سابقا الذين أعطاهم السلطان بدر الأمان فأحضروا وأطلعوا إلى البحر وكذا طلب إحضار الفيتور البرتغالى الاسير بحصن عرف فأحضر هو وأصحابه فأطلعوا إلى البحر وسلموا للباشا .

ويوم الخميس طلع إلى البحر لمقابلة الباشا الأمير أحمد مطران وكان على الشحر أميراً من طرف السلطان بدر الذى كان إذ ذاك غائباً بحضرموت . وقصد الخشبة الكبيرة المزينة بالعلم التركى وكان فيها الباشا سليمان فقابله وتبادلا التحايا والمجاملات وخلع عليه الباشا وأظهر له أسفه لغياب السلطان وخرج الأمير أحمد من حضرة الباشا شاكرا مغتبطا .

وكان من جملة ماقاله الباشا للأمير أن الدولة العلية سترسل للسلطان بدر فرمانا بعقد الولاية له من باب عدن إلى مدينة ظفار وأنه صاحبنا وصديقنا ثم قدم الأمير أحمد هدايا فاخرة للباشا وقدم له مايحتاجون إليه من البر . وفى يوم الجمعة أرسلوا إلى حضرموت (مرسوما) للسلطان بدر خرج به الأمير

أحمد نفسه مع أربعة من أصحاب الباشا . وتوجه الباشا ومن معه إلى عدن لثمان خلت من رجب . وتركوا غرابا واحدا للأربعة الذين توجهوا إلى حضرموت لتنفيذ المرسوم وطلبوا منهم أن يلحقوهم إلى عدن . ورسم الباشا على صاحب الشحر عشرة آلاف أشرفى تسلم فى عين كل سنة فجرى ذلك وتم ففى كل سنة يصل قاصدهم لتناول المرتب المذكور وعزم الباشا بعد وصوله عدن إلى كمران ومنها إلى زبيد فأخذها بدون قتال وجعل لها أميرا وربط أمر عدن بزبيد .

وفاة مؤرخ :

وفى سنة ٩٤٧هـ توفى الفقيه العلامة المؤرخ صاحب التاريخ المفيد الشيخ القاضى الطيب بن عبد الله بامخرمه . وكانت وفاته غرة محرم بمدينة عدن .

رخية وشبوة :

وفى سنة ٩٤٨ بعد أن أخذ بدر القارة من أخيه كما ذكرنا فى ترجمته رأى أن يحصن رخية وشبوة وضواحيهما ويؤمن ما بينهما من سبل ومياه .

ولكن هذا كله لم يفد لأن تهور بدر وتسليطه قبائل الجوف على أهل حضرموت ولد له كراهية فى نفوس الأمة بدوا وحضرا . وتوالت المناوشات والوقائع بين عسكر بدر وأهل حضرموت حتى اصطلح مع نهد على أن يعطيهم حريضة واشترطوا عليه بأن يرجع عساكر القبلة إلى بلادهم فقبل .

انتقاض دوعن :

وانتقضت عمد والهجرين وقيدون فسار إليها السلطان بدر بنفسه ودخل عمد بعد أن قاتله أهلها قتالا شديدا وقبض على المتولى بها وهو فارس بن عبد الله ابن على العامرى وقتله ثم سار إلى الهجرين ودخلها بدون قتال من جانب منها بينما خرج ولاتها بنو عامر من الجانب الآخر وهم ثابت بن على وأولاد محمد ابن على بن فارس العامرى . ولتسع خلون من رمضان سنة ٩٤٨ دخل السلطان قيدون ونهبها ورجع إلى صيف ومنها إلى هين ومكث بها إلى بعد عيد الفطر

ما هو سبب الهياج ؟ :

قالوا : والسبب فى هذا الانتقاض هو حقد بدر على أولئك الذين شايعوا

عليه أخاه محمدا فأراد بدر النكاية بهم فأخذ الهجرين من آل عامر وآل على ابن فارس ونهب جميع أموالهم فالتجأ ابن فارس إلى الزيود ثم انصرف عنهم بدون طائل . وتعاهدت نهد والعمودى على بدر فهجم هذا على قيدون وفتك بأهلها فتكا ذريعا وفعل بها عسكره فعلا قبيحا بينما الشيخ عثمان العمودى غائبا فى بضه وإنما كان أخوه أحمد فى قيدون متحصنا فى حصنها الذى استولى عليه بدر وأخرج حاميته ثم حصنه بعد ذلك .

بدر والعمودى :

ودخلت سنة ٩٤٩ وبدر متورط فى حرب العمودى وغيره ولكنه ما لبث أن عالج المشاكل بحكمة ولطف فأمضى الصلح بينه وبين آل عامر وخاطب العمودى فى الصلح فأبى . فهاجمه بدر بالعبيد فلم يجد شيئا فجرد عليه حملة كثيفة فاستعصى عليه أيضا وقصد دوعن وارتد عنه خائبا من طريق أرض بلدوس . فهجم عليه من الخربة فلم يقدر على أخذها لأن العمودى شاد عليها حصنا منيعا فعاد السلطان بدر على بضه وأخرب ساقيتها وبنى عليها ثلاثة حصون وهو مع ذلك يرغب فى مصالحة العمودى . وغادر دوعن إلى حضرموت وترك العساكر تناوش القتال ، ولم يتم الصلح إلا سنة ٩٥١ ثم انتقض سنة ٩٥٥ كما سيأتى :

هياج عام :

وفى محرم سنة ٩٥١ هـ هاج أهل المسفلة (حدرى) بحضرموت فنقضت السلك والعجز وغيرهما عيد بدر وحصل القتال بينهم وبين عسكره وقتل من الطرفين جماعة . وهددوا تريم وبنى الثوار حصنا على مشطة أضرها ضررا جسيما . وكاتبوا عبدالله بن يمين بأن يخرب الساحل بالحموم ، فسعى فيهم وجمعهم وأهاجهم على بدر فهاجموا أطراف الشحر وضواحيها . وروعوا السكان وقطعوا السابلة حتى أدى الأمر إلى أن يأمر بدر جميع أهل قرى الشحر بأن يتحصنوا فى البلد من الحموم فدخل الأهالى وتركوا مزروعاتهم . وانتج ذلك غلاء فى الأسعار وقطعا للمسالك . واشتد الأمر على السلطان بدر . وانتهزت سيبان الفرصة فأقلقت راحة سكان روكب والغيل فابتنى السلطان بدر حصنا بروكب وحصنه بالعسكر خوفا من صيال سيبان .

ثورة المهرة :

وتجمعت مهرة على حرب السلطان بدر ومهاجمة الشحر ، فغضب بدر وجمع جيشا عرمرما ليغزوهم فى عقر ديارهم . فجهز فى ٢٠ رمضان حملة عظيمة من رجال نهد والشحابلة الزيود ويافع وبنى حسن ، وجعل على الجيش على بن عمر والأمير أحمد والفقيه محمد بن عمر بحرق . وتوجه معهم السلطان بدر نفسه واستصحب معه أخاه محمداً واستولت الحملة على قشن وبنى بدر بها حصنا وقفل راجعا بالجيش وبأخيه محمد وترك على قشن الأمير أحمد بن مطران والفقيه بحرق وذلك يوم السبت٢ ربيع الثانى .

انتقاضهم ثانيه :

ولم يكد السلطان بدر يستقر قدمه بالشحر حتى فجأه خبر فى ٢٢ منه بأن المهرة تمردوا على الأمير أحمد فقتلوه واستردوا بلادهم وحصروا الحصن . فاتهم السلطان أخاه محمدا بأن له أصبعا فى هذا الأمر ، وأنه هو الذى أغرى المهرة بقتل الأمير وبالتمرد .

فاعتقل أخاه وقيده فى حصن الشحر ، وعزم ثانية إلى المشقاص ، ولاقاه نجله محمد بن بدر من حضر موت فى جماعة من المقاريم وآل عامر ، ولما كانوا فى مسيلة الوادى باغتهم قوم من بادية المهرة ونالوا منهم مقتلا ونجا الباقون إلى حيث السلطان بدر فدخلوا معه قشن فى ١٧ جمادى الأولى واستولى عليها بعد أن قتل من مقاتليها مقتلة عظيمة وانثنى منصرفا إلى الشحر فوصلها فى ٢٢ جمادى الآخرة وأطلق أخاه محمداً من القيد .

بن عفرار يستنجد البرتغال :

وبقيت المهرة ترسف فى قيود بدر وتحت سيطرته حتى سنة ٩٥٥هـ حيث توجه سعيد ابن عفرار إلى الهند مستصرخاً بالأفرنج فجاء بهم إلى قشن وحصرها بهم ثم استولوا على الحصن يوم الأحد ٣٩ صفر ودخلوه عنوة وقتلوا جميع عساكر بدر . وبلغه الخبر وهو بحضرموت فشخص إلى الشحر وجهز على المهرة فى البحر جيشا ، فلما وصل إلى حريج جاءه سعيد بن عفرار معترفاً فقبله . ووقع الصلح على أن للمهرة بلادهم ليس لبدر فيها أقل تدخل وعلى المهرة ألا يتحرشوا بموانى بدر ولا بشىء من بلاده وعاد بعسكره وتجهيزاته من حريج .

سلسلة مشاكل :

لم يكد السلطان بدر يلقى عصاه بعودته من المهرة الا ووافاه كتاب من عامله على حضرموت الفقيه محمد بن عمر بحرق يخبره فيه أنه قبض على أولاد آل عامر فى الهجرين وآل مخاشن فى هينن . وكان عند بدر إذ ذاك بالشحر ثابت بن على بن فارس ، وريس بن محمد وجماعة من آل عامر فأمر السلطان بدر بأخذ خيلهم وفرقها على عسكره . فهرب آل عامر وكان ذلك سببا لانتقاضهم على بدر وموالاتهم ثانيا للعمودى .

وهب العمودى واتحد مع آل عامر وآل عبد العزيز والعوامر والشنافرة أجمعين ضد بدر وعاثوا فى البلاد وروعوا السكان واتسع الخرق واستولوا على بلدة بور وأغاروا على تريم وهينن وحاصر آل عامر شبوة . وانهزمت عساكر بدر ولم تقو على الوقوف أمام القبائل المتحدة الثائرة .

ولما أن بلغ خبر هذا الاضطراب والهزائم مسامع السلطان بدر عزم هو نفسه إلى حضرموت فى ١٩ رمضان وعيد عيد الفطر بسيون وتوجه إلى شبوة ودحر عنها آل عامر وثبت بها حكمه .

وجاءه وهو بشبوة ابن عبد الواحد صاحب حبان يستنجد به على ابن ثاقب صاحب يشبم فتوجه معه ونهبها وأحرق فيها ثم عاد إلى شبوة ومنها إلى هينن ومنها إلى الشحر بعد أن جعل على الكسر الأمير عنبر والفقيه محمد بحرق . وكان وصوله إلى الشحر ليلة الجمعة ٢٣ محرم سنة ٩٥٦ هـ .

ولم تشأ الأقدار أن تعود الأمور السياسية إلى مجراها الطبيعى بل ظلت الثورات قائمة على قدم وساق .

وظل السلطان بدر يتنقل من بقعة إلى أخرى لمعالجة المشاكل ولسان حاله يقول : كل ما داويت جرحاً سال جرح .

خروج على بن عمر :

والذى شغل قدراً كبيرا من تفكير بدر بن عبد الله هو خروج على بن عمر ابن جعفر بن عبد الله بن على بن عمر بن كثير الذى ستأتى ترجمة حياته فيما بعد فقد استبد بشبام وخلع طاعة بدر . وناصره جماعة من وجهاء حضرموت .

وكان لهذا الشاعر مسلك يستهوى ألباب رجال الدين وعلماء التصوف كما سترى عند ترجمته .. فجمع جمعاً عظيما وأعلن تمرده فى شهر رمضان وقبض على جماعة من أهالى شبام منهم الفقيه عبد الرحمن باصهى صاحب الصدقة وأخوه عبد الله وضيق عليهما ولم يطلقهما إلا بعد تغريمهما سبعمائة أوقية من الفضة . وحيث لم يكن بيدهما من ذلك شيء فقد ضمن فيهما رجل من آل باعباد .

ولما أن أطلق سراحهما تسللا إلى الشحر وبها السلطان بدر بن عبد الله فاسترفداه وحكيا له معاملة على بن عمر لهما ولغيرهما . فدفع لهما السلطان بدر ما ضمنه باعباد ووجه حينئذ همته لتأديب على بن عمر وانتزاع شبام منه فتابع عليه الهجمات ووالى نحوه الكتائب ولم يجده سهلا سائغاً بل علقما مراً صعب المراس قوى البأس فلم يزل به حتى ظفر به واستولى على شبام سنة ٩٥٨ هـ وقبض على على بن عمر وسجنه بحصن مريمة الذى صار فيما بعد مسجنا للمقبوض عليهم من سلاطين آل كثير .

الشيخ معروف وبدر :

الشيخ معروف بن عبد الله بن محمد باجمال شيخ كبير وقدوة شهير وإمام من أئمة الصلاح والولاية وقد استغل على بن عمر الخارج بشبام فى قيامه ضد بدر نفوذ هذا الإمام ولعل له ضلعاً مكيناً فى القوة الروحية التى سببت طول الفتنة وعززت جانب الثورة زمناً طويلا وقد قلنا أن علياً بن عمر استطاع أن يكون له مركزا ساميا بين ذوى الوجاهة الدينية وظل يظهر لدى الناس بمظهر الأبرار المقربين فكان الشيخ معروف وأضرابه ينظرون إليه كولى من أولياء الله الصالحين وإمام من الأئمة المصلحين ولهذا بذل الشيخ معروف كل مجهود فى تعضيد مبدأ على بن عمر وتأييده فكان ذلك من أسباب حقد السلطان بدر على معروف وظل يغيظه فرط اعتقاد الناس فيه فلما دخل شبام وقبض على على بن عمر قبض أيضا على الشيخ معروف وأهانه فأمر بأن يعلق فى عنقه حبل وأن يطاف به فى البلاد وينادى عليه هذا معبودكم يا أهل شبام .

قالوا ومن الغريب أن السلطان أمر بعض أمرائه أن يتولى فعل ذلك بنفسه . وكان ذلك الشخص من المعتقدين فيه أى الشيخ المذكور فتوقف عن ذلك فأرسل الشيخ معروف أن افعل ما أمرت به وأنا ضمينك على الله بالجنة .

ثم أمر بنفيه وجعل له الخيرة فى البلد الذى يختاره فينفى إليه فاختار دوعن واتصل هناك بالشيخ عثمان بن الشيخ أحمد العمودى فى بضة وكان هذا مشغول البال من جهة السلطان بدر وتحكمه به وكان العمودى قليل المال والرجال فسعى معروف فى إزالة ما يشغل خاطره واتسعت ولايته بعد ذلك ووالاه السلطان بدر .

بدر وعمر بامخرمة :

لم تكن العلاقات الودية بين السلطان بدر وبين الشيخ الكبير الصوفى عمر بامخرمة على ما يرام رغما عن المجاملات الظاهرة التى تصدر من كل منهما [1] عند ما تقتضى الظروف ذلك وكلا الرجلين عظيم فى عالمه وكانت مدينة الهجرين بلدة الشيخ بامخرمه هى نقطة افتراقهما فى الاتجاه السياسى فالشيخ عمر حريص على أن تبقى الهجرين حرة فى أيدى أهلها بعيدة عن السلطة الكثيرية ولكن السلطان بدراً كما ذكرنا آنفا لم يرد إلا الاستيلاء عليها .

واستمر الشيخ عمر حانقا . وربما لفظ كلمات فى بعض المجالس تمس بكرامة بدر فيحفظها عليه ثم يضطر فينفيه إلى الساحل ثم يأذن له فى العودة ليطفىء بذلك شعلة حفيظته فإذا الرجل لايزال واجدا حانقا فينفيه ثانيا وثالثا . ثم رأى أن يضعه تحت مراقبته وعنايته بسيون فيستجلبه إليها وأقام الشيخ عمر بها مجالا معززا حتى وافاه الحمام نفع الله به .

ومن كلامه رضى الله عنه فى بدر :

يا الله اطلع على دنوس روس الصناديد
قل لبدر ابن عبد الله عزيز المواجيد
قل لبدر الذى ما عاد يوجد معه جيد نجم سعده طلع ما بين خيله وعيديد

وله فيه مدائح أخرى رحمهما الله تعالى .

بدر وعبد الله امخرمه :

أما الشيخ عبد الله بن عمر بامخرمة علامة زمانه وفقيه آوانه والمسمى بالشافعى

---

(١) يقول الشيخ عمر بامخرمه فى بعض قصايده :
خذول آل جعفر لآصل وأهل المعرفة ترعى الأصول ما أنسى فضائلهم ولو بى من فعايلهم غلول

الصغير فهو من أخص خواص السلطان بدر . وقد تولى له قضاء الشحر غير مرة وكان له أيضا بمثابة كاتم السر يستشيره فى شئونه الخارجية ويفوض إليه قراءة الأوراق الرسمية والجواب عنها وقد ذكرنا عنه فيما سبق أنه هو الذى قرأ فرمان السلطان سليمان للجمهور بجامع بندر الشحر .

بدر والسيد باجحدب :

قال باهارون فى تاريخه : جاء السلطان بدر بن عبد الله إلى تريم . ثم أنه نوى زيارة الولى الصالح أحمد بن علوى باجحدب . فقال لجماعته : مرادنا نزور السيد الشريف أحمد ولا نزعجه أو ننكد عليه وذلك لما علمه من أن السيد يستوحش من أهل الدنيا فقالوا له جماعته إذا كان ولا بد تروح إليه فى قليل من جماعتك . وتلحقه فى بيت بامحسون نخرج إليه فما أدركه هناك . فجاء إليه مرة ثانية إلى بيت باقرين بعد صلاة العشاء . فلما دق عليهم الباب خرج إليه أحمد باقرين . فقال له السلطان أخبر السيد أحمد أننا جئنا زائرين له . فلما علم السيد أحمد قال لا حول ولا قوة إلا بالله وإيش لنا حاجة بمجيئه . وقال له : قل له نحن نخرج إليه . ثم أخذ ملحفته وغطى بها جسده ويديه . فقال له : تلميذه نشعل سراجا ؟ فقال : لا حاجة للسراج . فلما تواجهوا أخذ السلطان يد السيد وسلم عليها وبقى واقفا . وقال له السيد : الله الله فى العدل فقد كان والدك طيبا مع الناس . وأنت الله الله فيهم . ثم قال السلطان قد جئنا بشىء من الذهب والفضة باسم الفقراء تفرقونه على من شئتم من جماعتكم . فقال السيد لا حاجة لذلك وأنتم عليكم مصاريف كبيرة فقال السلطان أقبلوا منا شيئا من البن والعود . فقال عندنا البن والعود لا نحتاج لشىء منهما . ثم استودع منه . ولما رجع السلطان قال لجماعته : الحمد لله الذى جعل فى ولايتى مثل هذا السيد . انتهى . وقد توفى السيد أحمد بن علوى يوم الثلاثاء ١٨ رمضان سنة ٩٧٣ هـ .

وقعة الجرب :

بعد أن انقرضت دولة آل يمانى بتريم تفرق عبيدهم ومواليهم وصنائعهم فى البلاد وأخذوا يعيثون بالأمن ويروعون المارة ويغيظون السلطان ثم كونوا لأنفسهم عصبية قوية وصاروا يتجمعون ويغيرون وأطلق الناس عليهم اسم

« عبيد يمانى » وطال على الناس عنتهم وأذاهم حتى بطش بهم بدر فى الجرب بكسر الجيم بطشة لم تقم لهم بعدها قائمة : قال صاحب النور السافر : — وفى سنة ٩٥٨ كانت واقعة الجرب بجيم موحدة وراء ساكنة هى الوقعة المشهورة وذلك أن جماعة من القبائل مفتنون يقال لهم عبيد يمانى وكان السلطان لايقدر عليهم لكثرتهم ولشجاعتهم ولشيعتهم فاتفق ان اجتمعوا كلهم فى قرية تسمى الجرب بأسفل حضرموت فأخبر السلطان بدر بذلك فجهز إليهم عسكرا وحاصرهم فى تلك البلدة حتى أضر بهم الجوع والتعب من شدة الحصار وأكلوا الجلود والميتة ودخل عليهم العسكر فقتلوهم عن آخرهم وكانوا خمسمائة رجل وصار قتلهم تاريخا مشهورا عند أهل حضرموت إذ يقال سنة وقعة الجرب هـ .

وقد بقى منهم بقية عمدوا إلى تريم فاستوطنوها ولم يزالوا حتى الآن يطلق عليهم الاسم المذكور وقد تسند إليهم السفارة غالبا بين دولة تلك البلاد وبين القبائل المجاورة بل وبين القبائل مع بعضهم . وهم يحترفون السمسرة غالباً .

المدرسة السلطانية :

لم تشغل بدراً أبا طويرق مشاغله السياسية عن الالتفات إلى الناحية العلمية بنشر العلم والأدب فقد بث الدعاة والمعلمين فى البلاد ، وأجرى رواتب غير قليلة لرجال العلم وأرباب التعليم وأسس بالشحر مدرسة جليلة سارت بفضلها الركبان قصدها طلاب المعارف من كل صوب واختار لها من الأساتذة والنظار من يشار إليه بالبنان علماً وفضلا قال فى السناء الباهر . وقد بذل السلطان بدر جهده حتى تحصل على الشيخ الإمام نور الدين على بن على بايزيد فولاه مدرسته السلطانية بالشحر ولما امتنع بادىء بدء قال له ماأرى لها وللتدريس بها أهلا غيرك ، فأقام بها يدرس ويفتى قال صاحب النور السافر : وكان تأسيس المدرسة السلطانية البدرية ببندر الشحر سنة ٩٥٩ هـ . وقد جعل السلطان بدر عليها وقفاً معلوماً قال الفقيه أحمد الجابرى برد الله مضجعه مؤرخا :

شاده البدر مسجدا قد تعالى بعلاه على النجوم المضيه
رب من قال ارخوه فقلنا مسجدا شيدوه للشافعية

القبض على بدر :

ما بلغ السلطان بدر خمساً وسبعين سنة إلا وقد ضاقت حوصلة ابنه عبد الله عن أن تسعه وتسع تصرفاته واتجاهاته . ولا ريب أنها كانت بينهما معاكسات ومشاكسات خفية وغير خفية لم يظهرها لنا التاريخ بعد . وما راع الناس فى يوم من أيام صفر سنة ٩٧٦هـ إلا وقد سرى بينهم خبر أسود يتهامس به المتهامسون مفاده القبض على مدوخ حضر موت السلطان بدر أبي طويرق ثم ظهر الخبر وشاع وجوهر به والناس بين مصدق ومكذب ولكنه الحقيقة الواقعة إذ دخل عبد الله بن بدر ومعه بضعة أشخاص على أبيه بحصن سيون وألقى القبض عليه وكأن السلطان بدر أدرك أن المعارضة لا تفيده فاستسلم استسلاماً تاماً فأخذ وحبس فى بعض حجرات القصر أياماً ، ثم نقل إلى حصن مريمة على ماذكره الحبيب عمر بن سقاف العلوى صاحب تفريح القلوب .

وفاة السلطان بدر :

ومكث محبوساً نحو سنة ونصف ثم ثقل عليه المرض تعضده الشيخوخة فأعيد من مريمة إلى سيون وهناك أدركته الوفاة فى العشر الأواخر من شعبان سنة ٩٧٧هـ وسنه إذ ذاك ٧٥ عاماً ودفن بمقبرة السلاطين وقبره غربى قبر الشيخ عمر بامخرمه رحمة الله على الجميع .

١٢ — السلطان على بن عمر

السلطان على بن عمر بن جعفر بن عبد الله بن على بن عمر بن كثير فحل من فحول سلاطين الدولة الكثيرية علما وفضلا وهمة ونشاطا ودراية وحماسا لم يفت فى عضد بدر أبى طويرق غيره ولم يقلق مضجعه سواه وقد أشرنا إلى شىء من ذلك فى ترجمة أبى طويرق ويعتقد العامة وكثير من الخاصة بأن عليا هذا من أجلة أولياء الله تعالى وأنه من خواص الأبرار . ولم يكن اعتقادهم هذا فى غير محله فالرجل رحمه الله قد ساعدته مواهبه الطبيعية على التحلى بما يتحلى به الكمل من الرجال معرفة وتقوى وخلقا صالحا وسمتا ووقارا وجلالا قال عنه صاحب السناء الباهر :

هو الشيخ الصالح الولى على بن عمر بن جعفر الكثيرى ولد سنة ٩٠٦ﻫ وحفظ القرآن واشتغل بتحصيل العلم وحصل طرفا صالحا منه وحج وزار وصحب الأخيار وتولى سلطنة حضرموت وكانت أيام ولايته أيام أمن ورضى وكان شجاعا اشتهر فى وقائع هائلة ثم زهد فى منصب الولاية ورغب فى الانقطاع إلى الله تعالى ولازم الشيخ معروفا باجمال إلى مدة طويلة وامتحنه الشيخ بامتحانات حتى كان يحمل السمك من السوق نفسه وقد يعمل مع البنائين فى الطين ثم حصلت له إشارات بالعود إلى السلطنة فعاد وباشرها على كراهة لها وحصل بينه وبين ابن عمه بدر حروب كثيرة آخرها حرب الجرب سنة ٩٥٨ وقتل من الفريقين نحو ستين رجلا ثم حاصره بدر إلى أن قبضه وحبسه فى حصن مريمة واستمر إلى سنة ٩٧٧ فأخرجه السلطان عبد الله بن بدر . قال : ورأى فى المنام جماعة من الأشراف بنى علوى النبى صلى الله عليه وسلم يمسح على رأس على بن عمر ويقول له أنت من الفائزين وكان الشيخ معروف يقول أنه من أخص الخواص وأثنى عليه كثيرون من الأولياء والصالحين ومدحه جماعة من الأدباء بقصائد كثيرة طويلة وكان له ذوق فى علم الحقائق ومشاركة فى فنون كثيرة . وكان له معرفة بعلم الأوفاق والأسماء تركها بعد بالكلية وسببها أنه أراد مرة أن يضع له وفقا فسمع هاتفا يقول . ليس هذا من التوحيد فتركه . وله كلام حسن فى السلوك والرقائق وله نظم حسن . ولننقل هنا ما كتبه برمته عنه صديقنا البحاثة عبد الله بن محمد بن حامد السقاف العلوى فى كتابه تاريخ الشعراء الحضرميين فإنا نجد ذلك من أحسن ماسجل فى ترجمة الرجل : قال :

نسبه :

على بن عمر بن جعفر بن عبد الله بن على بن كثير الكثيرى ذو صفات سامية وعواطف رحيمة وأخلاق فاضلة وشهامة .

مولده بمدينة شبام عام ٩٠٦ من الهجرة وفى شذوذ النشأة والتربية العلمية سطع ذا معلومات علمية باهرة وتصوف غامق حافظا للقرآن الحكيم متباعدا عن الحياة السياسية حتى قال فى السناء الباهر أنه من الأولياء وتوقظه الأيام وهو فى غمار حياته الصوفية بهجوم ابن عمه السلطان بدر أبى طويرق ابن عبد الله بن جعفر الكثيرى على شبام واستيلائه عليها فى ١٦ شعبان سنة ٩٢٩ﻫ

ومن المعلوم أن يهرب من شبام بعشيرته كغيره من أمراء الأسرة السلطانية وفى مقدمتهم السلطان محمد بن بدر بن محمد بن عبد الله بن على الكثيرى وقد عجز عن الدفاع عن عاصمة سلطنته متخذا من مدينة هينن موئلاً .

ولا ريب أن يسوء أهل شبام تشتيت سلاطينهم واستعمار بلادهم وتتجه أنظارهم إلى صاحب الترجمة وبعد محادثات ومواثيق قبل مبايعتهم بالسلطنة على شبام .

وفى جمادى الأولى سنة ٩٤٣ هجم عليها بقوة حربية عظيمة واستولى عليها واتخذ شيخه العلامة الشيخ معروف بن عبد الله باجمال مستشارا لايبرم أمرا بدون موافقته .

ومن مزاياه أنه لم يأخذ معشرات ولا ضرائب من الرعية لتموين خزينة الدولة اكتفاء بتموينها من حاصلات مزارعه ونخيله الخاصة .

ومن غير شك أن يقض مضجع السلطان بدر خروج شبام عن سلطته وعجز حمايته عن الدفاع عنها . ويدفعه الغيظ المضطرم إلى مهاجمتها واسترجاعها فى ذى الحجة من نفس العام ولكن مثل السلطان على بن عمر تأبى نفسه أن يعيش مخذولا مشردا عن وطنه وملكه فيجهز بقوة حربية ويستولى عليها عنوة .

ولما كان السلطان بدر مبعثر القوى الحربية فى نواحى شتى وقد تألبت عليه خصومه فقد ارتأى أن يصالح صاحب الترجمة ويزيل كل أثر نفسى أحدثه النضال على شبام وانتهى مؤتمر الصلح على الاعتراف بسلطنته على شبام على أنه قد بادر بالسفر عقب الصلح إلى مدينة الشحر لمقابلة السلطان بدر بها للدلالة على زوال كل أثر من جانبه فيجد من السلطان بدر مقابلة طيبة وإكراماً يفوق الوصف .

ويستديم الجو السيامى بينهما صافياً وأواصر القربى فى أروع مظاهرها حتى كان المترجم له قائد الحملة الكبرى التى وجهها السلطان بدر إلى المشقاص لاخضاع المهرة فى رمضان سنة ٩٥٣ — ولكننا لانعلم أسباب الشقاق الذى انفجر بينهما واستحال إلى خصومة جامحة تدفع السلطان بدر إلى كثرة الحملات على شبام حتى تميز غيظاً من انكسار قواه فى كل محاولة وارتدادها إلى سيون منهزمة بقتلاها وجرحاها فيزحف بنفسه سنة ٩٥٨ على رأس جيش لجب وتعجز شبام عن الدفاع وعن المقاومة والصدام فيدخلها عنوة ويبادر بالقبض على

السلطان على بن عمر ويسجنه فى حصن مريمة ويجلى الشيخ معروفاً باجمال عن شبام بعد اهانته والمنادى ينادى هذا معبودكم يا أهل شبام كما يروى النور السافر . وهل نتحدث عن بقاء صاحب الترجمة مسجوناً حتى أطلق سراحه السلطان عبد الله بن بدر أبى طويرق الكثيرى سنة ٩٧٧ من الهجرة بعد أن أخذ عليه العهد بعدم التعرض للشئون السياسية أو محاولة الطموح إلى السلطنة .

وقد أقام بمنزله بشبام بعد اطلاق سراحه من السجن مقبلا على طاعة الله وتدبير شئونه الخاصة حتى انقضى أجله سنة ٩٨١ هجرية وقبره معروف بجرب هيصم أشهر مقابر شبام ولا نكر إذا أكثر الشعراء من رثائه .

يتحدث السناء الباهر أن له قصائد ومقطوعات كثيرة يقول فى قصيدة مطولة تبلغ سبعين بيتاً يمدح بها شيخه العلامة الشيخ معروفاً باجمال متوسلا به إلى الله أن يطلقه من اعتقاله وقد أمر ابنه الأمير محمداً أن يتلوها عند ضريح الشيخ معروف .

سلام على من كان للعين نورها ... ومن كان للنفس المنى وسرورها
سلام على دعد التى فى الحشا لها ... مكانة إجلال تفوح زهورها
ومازلت أسأل عن مساكنها التى ... لها فى الملا صيت وقد بان نورها
ومن عجب أن يطلب الوصل عاشق ... وفى قلبه أطنابها وخدورها
وما أحجبت لكن من شدة الضيا ... اختفاء ومثل الشمس باد ظهورها

انتهى ماقاله صاحب تاريخ الشعراء الحضرميين .

١٣ ــ السلطان عبد الله بن جعفر بن عمر

هو السلطان عبد الله بن جعفر بن عمر بن محمد بن عبد الله بن على بن عمر لم أقف على تاريخ ولادته ولا تاريخ وفاته ولا على ترجمة عنه قاطعة للصدى غير أنى علمت أنه تولى ظفار وعدل بها وأحبه الناس وأولعوا فى محبته وإجلاله وتعظيمه وكان على جانب من العلم والصلاح يعضده اعتقاد العامة فيه بأنه عالم من العلماء وولى من الأولياء وله فى عالم التأليف رسالة أسماها « الدلائل والأخبار فى خصائص ظفار » .

١٤ — السلطان محمد بن على بن عمر بن جعفر

السلطان محمد بن على بن عمر بن جعفر بن عبد الله بن على بن عمر، أديب متفنن شاعر ناثر خفيف الروح حسن المحاضرة حلو الشمائل متفانى فى حب الصالحين ورجال التقوى .

ولد بشبام سنة ٩٤٢هـ وتربى فى حجر أبيه حجر المجد والفضل وتخرج عليه متأدباً بآدابه متشبثاً بأهدابه قرأ عليه العلم وتلقى عنه الأخلاق الفاضلة وارتضع منه أفاويق التقوى ولم يشتغل والده عن تهذيبه وتأديبه بحروبه مع بدر وكفاحه عن وطنه شبام . بل كرس له وقتا صالحا للأخذ بيده إلى معالى الأمور ومكارم الأخلاق ولما استولى بدر أبو طويرق على شبام كان عمر المترجم يومئذ ستة عشرة سنة فلم يبلغنا عن بدر أنه قبض عليه فيمن قبض .

نزوعه إلى التصوف :

ومع ميله الكثير إلى الأدب والأدباء ومساجلاته الأدبية معهم فإن له أيضا نزعة خاصة إلى التصوف ورجاله هبت عليه نسماتها من تربية والده له وممن اتصل بهم فى صباه من أبطال هذا العلم كالشيخ معروف باجمال وأضرابه من شخصيات التصوف البارزة فى القطر الحضرمى .

وحكى لنا السيد الخرد العلوى فى كتابه الغرر عن هذا السلطان حكاية تدلنا على ما ذكرناه أيضا من نزعاته الصوفية قال : سافر محمد بن على بن عمر الكثيرى من ظفار وهو سلطانها إذ ذاك يريد حضرموت فورد فى طريقه بعض موارد الماء البعيدة الذى يبعد عن بقية الموارد ثمانية أيام من كل جانب فبينما هم على ذلك الماء إذ طلع عليهم بعض السياحين وليس معه سقاء ولا زاد ولا راحلة غير عصا بيده قال السلطان محمد فلما رأيت ذلك السائح عرفت فى نفسى أنه ولى لله فقمت إليه وصافحته وقلت له فيما قلت يا سيدى نحن بدو ما نعرف وعندنا مشايخ وعندنا فقراء ما تعرف من نحترم منهم أو نهاب ومن لا نحترم أخبرنا بمن نهابه منهم فقال هابوا الرجل القصير القامة الصبيح الوجه الكبير الرأس القصير العضدين : قال السلطان وكان فى والدى شىء من ذلك الوصف فقلت فى نفسى لعله والدى إن الناس يقولون أن فيه بركة فكأن السائح تفرس

ما يجول بخاطرى فصاح على وقال بأعلى صوته إنه صاحب عرف إنه عمر بن عبد الرحمن .

ويظهر لنا من كلام السيد الخرد أيضاً أن محمد بن على هذا قد تولى سلطنة ظفار رغما عما نعلمه عنه من كثرة الأسفار والولع بالرحلات والسياحة .

شعره :

وأورد صاحب تاريخ الشعراء الحضرميين من شعر السلطان محمد بن على قوله من قصيدة يمدح بها الشيخ الكبير أبا بكر بن سالم نفع الله به :

إن جئت عينات فحى ثراها واستنشق العرفان من رياها
والصق جبينك بالتراب مقبلا شكرا لمن أولاك لثم ثراها
بلد أقام بها الكمال وحبذا بلد غدى الغوث العظيم حماها
واستقبل الشيخ المعظم خاشعا فى ذل نفس كى تنال مناها
ياليت شعرى كيف ضاع حجاه من ترك الرشاد ونفسه أشقاها
لكنه الله المهيمن هكذا يقضى على الحالات فى مجراها

ومن مطولة يرثى بها العلامة الشيخ معروفا بن عبد الله باجمال :

ضرم الفؤاد بمضرم النيران عند انتقال العارف الصمدانى
يبكى عليه العارفون وأنه تبكى عليه السبع والثقلان

توفى بشبام سنة ٩٥٥ هـ ودفن بجرب هيصم تغمده الله برحمته .

١٥ ، ١٦ — المحمدان

هما الأمير محمد بن بدر بن محمد بن عبد الله بن على بن عمر والأمير محمد ابن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن على بن عمر : خرجا معا على السلطان بدر بوطويرق وتبعهما خلق كثير كيادا لبدر وتشفيا منه وكانا ينقمان من السلطان بدر استبداده وجشعه وتطاوله إلى ما ليس له وزاد اغتياظهما منه ما يريانه من نبوغه وتفوقه ، وكانا لا يعدمان هنات وهفوات تصدر عنه غير مرضية يتذرع بها شانئوه إلى الحط من شأنه وتأليب الناس عليه .

ثورتهما ضد بدر :

وقد كان سقوط شبام فى يد بدر بجيش الأتراك سنة ٩٢٧ هو الذى أثار

حفيظة العائلة الكثيرية المالكة التى تشتت شملها واتجه كل من أفرادها إلى جهة فاختار الأمير محمد بن بدر وعائلته بلدة هينن مقرا له وطفق منذ ذلك الحين وهو يناوئ السلطان بدرا ويهاجم شبام بمن يستميلهم معه من الناس وفى مقدمة هؤلاء ابن عمه محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن على . ولكن بدرا سرعان ما استولى على هينن ورجح أن لا يقبض عليهما بل يدعهما طليقين لعلهما يؤوبان إلى رشدهما ويذكران لذلك يداً له تردعهما عن الاسترسال فى تمردهما ضده .

القبض عليهما :

غير أن حفيظة الشابين كانت أغزر من أن تصل إلى قرارتها هذه النعمة الممنونة فاستمرا فى تهييج الأفكار وتعكير المياه فاضطر السلطان بدر إلى القبض عليهما واعتقالهما فى حصن مريمة وذلك سنة ٩٣٠ فمكثا فيه إلى رمضان سنة ٩٤٦ أى نحو ستة عشر عاما حيث توفى الأمير محمد بن بدر وظل بعده ابن عمه محمد بن عبد الله معتقلا سنتين أيضا فأطلق السلطان بدر سراحه بعد أن مكث مسجونا ثمانية عشر عاما وسافر إلى مكة هو وابنه بدر بن محمد رحمة الله على الجميع .

١٧ — السلطان عبد الله بن بدر أبى طويرق

هو السلطان عبد الله بن بدر بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن على ابن عمر أبوه بدر أبو طويرق . شارك أباه فى الحكم ثم أخذ يتضايق من خلال تصدر من أبيه يعتبرها عبد الله ضارة بالسلطنة وسياستها وأمورا أخرى رأى فيها من شيخوخة أبيه ضعفا وتخريفا يخشى منها على تلك الدعائم التى أقامها فى شبابه وكهولته أن تتداعى ولم يطق عبد الله صبرا فوق ذلك فتمالأ مع رجال من خواصه وهجم على والده بجرأة عظيمة . فاعتقله فى شهر صفر سنة ٩٧٦ هـ بحصن سيون ثم نقله إلى مريمة ونادى بنفسه سلطانا فى بور .

كان السلطان عبد الله هذا طيب القلب رحيما بالفقراء والمساكين محبا لهم حسن الاعتقاد فى الأولياء والصالحين . لم يوافق أباه على حبس على بن عمر ولهذا لم يكد يدفن أباه حتى أسرع إلى إطلاقه بعد أن أخذ عليه العهد بأن لا يتعرض للشئون السياسية .

تعظيمه لرجال العلم :

وللسلطان عبد الله تعظيم حميد لأساطين العلم وأرباب الفضل والتفات خاص بهم . كان حسن الاختيار فى توظيفهم الوظائف الشريفة اللائقة بمقامهم فمنح رتبة قاضى القضاة من وادى يبحر شرقاً إلى وادى عمد غرباً للشيخ العلامة محمد بن عبد الرحمن بن سراج الدين باجمال . قال صاحب السناء الباهر : وطلب الفقيه الصالح العلامة محمد بن عبد الرحيم با جابر من بلدة بروم إلى الشحر ليوليه تدريس مدرسة أبيه السلطان بدر وألزمه بذلك ففعل وانتفع بتدريسه الأنام ، واستنارت بذلك وجوه الليالى والأيام ، وما أحسن ما قاله السيد الشريف الفاضل وجيه الدين عبد الرحمن بن أحمد البيض العلوى رحمه الله فى ذلك :

شمس الهدى طلعت وغاب رقيبها ونجوم نحس الجهل آن مغيبها
بظهور مولانا ومالك عصرنا نجل الخلافة فخلها ونجيبها
عبد الله السلطان منصور اللوا مردى العداة بكفه تعذيبها
لما أتى للشحر يصلح أمرها وجميع داعية الفساد يذيبها
ودعا إمام العصر فرد زمانه شيخ العلوم فقيهها وأديبها
ذاك الفقيه محمد بن مزاحم سباق غايات الكرام خطيبها

الأزمات السياسية :

وباغتته الأزمات السياسية منذ اقتعد العرش فقد كان أخوه جعفر فى الشحر حينما بلغه قبض السلطان عبد الله على أبيه فتمرد وأعلن العصيان فنهض إليه السلطان وتوجه إلى الشحر وحصرها برا وما لبث أن استولى عليها وأخرج أخاه منها ونفاه إلى قشن .

جعفر يثير المهرة :

وأخذ جعفر بن بدر فى قشن يثير المهرة ويجمعهم لقتال أخيه عبد الله وفى أواخر جمادى الآخرة هجم على الشحر برا وبحرا ودخلها وعالج الحصن ولكنه استعصى عليه وأطلق من فيه رصاص المدفع على المحاصرين الذين تقهقروا إلى حيث أتوا .

وقعة الوادى :

وفى شهر صفر سنة ٩٧٧ هـ توجه السلطان عبد الله من الشحر بجيوش كثيفة لغزو المهرة واخضاعهم ومهاجمة أخيه جعفر فى حريج واستصحب مع الجيش مدفعا ولما بلغ الخبر جعفراً تحول مع من معه إلى الوادى ومعه قوم من المهرة يقودهم الأمير ناصر وعمر بن طوعرى واقتفاهم عبد الله إلى الوادى وقد كمنوا له وحصل القتال يوم الثلاثاء ١٨ صفر وكانت الدائرة على السلطان عبد الله وقتل من عسكره خلق كثير وغنم المهرة المدفع .

وانهزم السلطان وعسكره وركبت المهرة أكتافهم وسلكت طريق البحر وراءهم إلى الريدة .

توالى حملاته على المهرة :

وطفق السلطان عبد الله يوالى حملاته على المهرة ولكنه لا يعود إلا بالفشل فكلت منه تدابيره وأعيته الحيلة فيهم .

وفى سنة ٩٧٨ قام محمد بن كعشم النهالى فسعى فى صلح وطيد بين السلطان وهو إذ ذاك بحضر موت وبين المهرة واستمر الصلح سائدا إلى سنة ٩٨٢ هـ حيث عادت المناوشات كعادتها ولكن فى سنة ٩٨٤ أبرم الصلح نهائيا .

قبضه على أخيه عمر:

وبلغ السلطان عبد الله عن أخيه عمر ما يسوءه فقبض عليه وزجه فى السجن وبقى به حتى مات عبد الله .

وفاته :

وفى يوم الأربعا ٢٤ ربيع الأول سنة ٩٨٥هـ توفى رحمة الله عليه ودفن بسيون

١٨ — السلطان جعفر بن عبد الله

السلطان جعفر بن عبد الله بن بدر أبى طويرق بن عبد الله بن جعفر تولى الملك بعد أبيه ومكث به نحو ست سنوات ثم قتل سنة ٩٩٠ هـ .

١٩ ـ السلطان العادل عمر بن بدر أبى طويرق

السلطان عمر بن بدر بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن على بن عمر من أوضح الشخصيات السلطانية الكثيرية بروزا وأهمها شأنا . اشتهر بالعدل والعقل والفضل . ترجم له الشبلى العلوى فى تاريخه ونقل عنه المحبى فى كتابه خلاصة الأثر فقال : السلطان عمر بن بدر بن عبد الله بن جعفر الكثيرى سلطان حضرموت بالشحر ذكره الشبلى وقال فى ترجمته كان حسن الشمائل وافر العقل كثير العدل . وكانت سيرته مرضية وله التفات تام إلى الرعايا حسن السياسة صادق الفراسة صاحب أخلاق حميدة قل أن ورد عليه أحد من الغرباء الا وصدر يثنى عليه الثناء الجميل وكان شجاعا مقداما ولعبد الصمد با كثير فيه عدة مدائح .

كلمة العيدروس منه :

وترجمه العيدروس العلوى فى النور السافر فقال : السلطان العادل . والملك الكامل . السلطان عمر بن السلطان بدر سلطان العصر . وأعجوبة الدهر . جم الفضائل . حسن الشمائل . وافر العقل ، كثير العدل . ذو سيرة مرضية وسلوك حسن مع البرية صاحب أخلاق الطف من النسيم . وأبهج من الدر النظيم . قل إن وفد إلى ساحته وافد إلا وانصرف يشكر ما أسداه من البر الجزيل .

ثناء جميل منك يثنى معطر ... ووفرك مبذول وعرضك سالم
وسعت الورى علما وحلما بهيبة ... وبذلك للمعروف والثغر باسم
بصدر رحيب واسع قد وسعتهم ... وجود حكاه الوابل المتراكم
دماثة أخلاق سماحة حاتم ... وأصل كريم جللته المكارم
جمعت خصالا يا ابن بدر حميدة ... بواحدها يسمو الفتى ويسامى
حياء ومعروفا وجودا بشاشة ... وعلما وحلما جل من هو قاسم

اتصاله بالشيخ أبى بكر :

قلنا عند ذكر أخيه عبد الله أنه قبض عليه وزجه فى السجن مضيقا عليه ومكث كذلك مدة ولاية أخيه . وأرسل إليه الشيخ أبو بكر بن سالم العلوى وهو فى ضيق من الحبس يسليه ويبشره بالفرج والولاية فكان كذلك .

ونجم بذلك تعلق السلطان عمر بن بدر وأنجاله بالشيخ أبى بكر وأنجاله منذ ذلك الوقت واشتد الاتصال بين العائلتين ولم يقصر السلطان عمر مدة سلطنته فى قبول شفاعات العائلة البكرية والعفو عمن استجار بأحد أفرادها .

وحدث مرة أن قتل رجل من آل كثير قاتل والده وخاف من السلطان عمر بن بدر أن يقتله به فاستجار بالسيد أحمد ابن الشيخ أبى بكر بن سالم وهرب إلى داره . فأمر السلطان عمر بإخراجه من دار الشيخ فهجم العسكر على الدار وفتشوا جميع المنازل فلم يظفروا به ثم أخرجه ليلا والعسكر محيطة بالدار ونجا .

إكرامه لأهل الفضل :

وجبل السلطان عمر على إكرام أهل الفضل ومنحهم المنح الجزيلة والأخذ بأيدى من عثر به الدهر منهم . قال معاصرنا السيد عبد الله السقاف العلوى فى تاريخ الشعراء الحضرميين عند ذكر الشيخ عبد الصمد با كثير أنه كان قد عاش أكثر عمره بائسا عاثر الحظ . وما تحسنت حالته المالية إلا بعد اتصاله بخدمة الدولة الكثيرية كسكرتير ومنشىء الرسائل فى عهد السلطان عمر بن بدر أبى طويرق وعهد ابنه السلطان عبد الله بن جعفر حتى كان فى معيتهما حضراً وسفرا وصارت الشحر موطنا له ثانيا من كثرة تردده إليها وإقامته المدد الطويلة متزوجا ومذريا بها .

شعر عبد الصمد :

وقصائد عبد الصمد العمريات تسمعك السحر الفاتن . وتريك المناظر الخلابة . وتطير بك فى عوالم من الخيال تذهل فيها الألباب . ويسيل منها اللعاب فما تنزع عنها إلا وقد اختصر لك الوقت اختصاراً . وانطلق عنك الزمن فرارا . فترى الساعة قد مرت كدقيقة . والدقيقة كثانية . ولا أخالك ياصديقى القارىء إلا راغبا فى أن تترشف قطرة من تلك القهوة . وتتفوق ذرة من تلك النشوة . فإن كنت كذلك فإليك نفحة من المدائح العمرية وهى مما نقله صاحب تاريخ الشعراء الحضرميين وقال إن اسم الممدوح يعلم من أوائل كلمات هذه القصيدة الواقعة فى أوائل الأشطار الثانية ، ثم من أوائل الكلمات فى

الأشطار الأولى معكوسة وإذا تأملتها تجدها هكذا : عمر بن بدر بن عبد الله ابن جعفر عز نصره ودام عزه قال عبد الصمد :

هل لى إلى من قد هويت سبيل عطفاً فقلبى واله مذهول

قلت : يقول عيل الصبر وعدمت الحيلة وجاشت النفس بسؤال البائس اليائس حيث تجيبها الأقدار بالسلب . فتخور قواها ، ويظم بلاها ، وتحسب أن فى الاستعطاف خلاصها ومنجاها . فتستغيث ولا مغيث ، وتسترحم ولاراحم ، وتصرخ معلنة ذهول القلب ووله . شاكية بما لا يجدى عند من لا يسمع .

زاد اشتياقى والتجلد قد وهى مذحل بالألف القطين رحيل

عج حيث ما نزلوا فدمعى بعدهم رذم على محن الخدود يسيل

يقول . رحلوا فرحل بصحبتهم السرور والصفا والجلد والنهى وبقى الشوق المؤلم . والضعف المسقم . يطغى سيله ويتمطى بجوزه ليله . فهلم بنا إلى منازلهم . التى كانت مراتع غزلانهم ، ومطالع اقمارهم . لنكرع من رحيق الذكريات الماضية ما لعله يثلج الفؤاد ، ويبل الأكباد ، ولنمرغ بها هذه الخدود التى أصبحت من بعدهم مسيلا فائضا للدموع الغزيرة والنبوع المتفجرة فلعنا نروى تلك الربوع بوسمى الدموع :

ما غردت قمرية فى أيكة ألا تبلبل قلبى المشغول

دوما أردد زفرتى وتلهفى بين المرابع والفؤاد عليل

دمعى وسهدى مسعد ومخالف نمت الصبابة والفراق بليل

والشوق يقلق والمتيم لم يزل باكى العيون من الصدود ضئيل

هيهات أن يسلوه صب هائم دنف يميل به الهوى فيميل

رقصت به الأشواق وجدا مثلما رقصت عياهيم لهن زميل

ما هو حال من تقطع أحشاءه الزفرات ، وتفتت كبده الحسرات ويبلبل قلبه تغريد البلابل ، ونياح القمارى . إن شكى أو بكى ، أو أفهم أو استفهم فإنما يزيد النار وقوداً والأشواق نموا والأشجار غلظة . يتململ بالسلو . فإذا بينه وبينه بعد المشرقين . ويتلمس قلبه ولبه فإذا هو قد ضل بين الخافقين فلترتقص به الأشواق ، وليودى به الفراق ، فالسفر بعيد والأمر شديد والحب سلطان لا يغالب ،

صبرت على شق التنائف وانتحت أرضا بها من لا يزال ينيل

يحس بألم الشوق وهو يزعزع نياط القلب ، ويدوس هام الأمل . فيفتح له الخيال كوة يبصر بها تلكم اليعملات الرواقل مهتزة أسنمتها . مرتقصة أخفافها . تشق به الفيافى الشاسعة الأطراف . المترامية الأكناف . ينهكها الوجا ويدميها الحفا . حتى تصل إلى البلاد بها منية الراغب وأنشودة الطالب .

هذا هو لعمرى الخيال الوثاب الذى يهيم بربه فى كل واد ويذهب به كل مذهب ويقفز به من مهاوى اليؤس والشقاء إلى معارج السعادة والهناء . ومن حضيض اليأس إلى أوج الرجا ، فيحلق فى فضاء سعيد تائها بين أخلاق حميدة وخلال سامية ودهر موات . وهبات سنية تدفق عليه تدفقا . وتغمر كيانه غمرا .

نعم اطمأنت فى حمى عمر الذى بنداه عفوا للوفود كفيل
زادت به رتب الخلافة رفعة نجم السعود لتاجها اكليل
عمر بن بدر فى الملوك كأنه علم له التعظيم والتبجيل

إلى آخر ما قاله : توفى السلطان عمر بيندر الشحر سنة ١٠٢١هـ وأرخ عبدالصمد وفاته بقوله : رضاك . ومن مراثى عبد الصمد فيه قوله :

هوى من سماء المجد كوكبها القطب فأظلم فى أقطارنا الشرق والغرب
تضعضع طود المجد وانهد ركنه فيالك ركن قد تضمنه الترب
ثوى عمر الخيرات أكرم من سعت إلى سوحه تطوى سباسبها النجب
لقد كان للعافين ظلا وملجأ وللغربا منه البشاشة والقرب
وللمشتكى الأعدام من جوده الغنى وللجاهل الاغضاء والصفح والعتب
ومقترف ذنبا أقال عثاره فأصبح فى أمن كأن لم يكن ذنب

إلى أن قال :

أرانى وحيد الهم هل من مشارك حشاه كاحشائى يمزقها الكرب
وهل عبرة مسفوحة مثل عبرتى أجل كل عين من مدامعها صب
فيا لوعتى نام الخلى ولم أنم وياحسرتى أسعى وليس معى قلب
ويالك نعش يحمل المجد والندى يكاد بمن فيه يميل به العجب

٢٠ — السلطان عبد الله بن عمر

السلطان عبد الله بن عمر بن بدر بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن علي ابن عمر . تولى بعد أبيه سنة ١٠٢١ هـ قال فى خلاصة الأثر عن الشبلى : أنه كان حسن الخلق والخلق مهاب المنظر آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر . ولى الملك فأحسن القيام به وأظهر السطوة وقهر البادية وغيرهم فهابته النفوس وأمنت البلاد ثم حصلت له جذبة ربانية فلم يرض إلا بالدرجة العليا وخرج عن أهله وماله وقصد الحرم الشريف وأعرض عن الملك وأقام بمكة إلى أن توفى . هـ

تخليه عن الملك وانقطاعه للعبادة :

وما ذكره الشبلى عن الجذبة الربانية إشارة إلى ما حصل للسلطان عبد الله من التجرد بغتة عن ملكه وأبهته والتوجه إلى التوبة والاقلاع عن الغفلة وعن الاشتغال بالخلق وقد التجأ فى سلوكه هذا إلى الشيخ الإمام الحسين بن أبى بكر بن سالم العلوى ليجعله خريتا فى طريقه الموصل إلى الغاية المقصودة وذلك سنة ١٠٢٤ أى بعد أن مكث فى السلطنة نحو ثلاث سنوات . فقد ساورته هذه الخواطر الشريفة أسابيع حتى جزم ذات ليلة على تنفيذها بقوة إرادة عظيمة فأصبح متسللا من مقر ملكه متجها نحو عينات بملابس درويش مستصحبا معه رجلا يقال له معضلى . وكان السلطان يتمنى أن لو اتفقت له الخلوة بالإمام الحسين وبحضور نجله أحمد لديهما . ولندع الكلام الآن فى إتمام قصته ودخوله على الحسين للشيخ المؤرخ عبد الرحمن بن أحمد باوزير فقد نقلنا حديثه هذا عن سفينته بنصه وفصه من دون زيادة ولا نقصان . قال : ولما قرب السلطان من عينات أعطى معضلى حجل فضة ثم زار قبر الشيخ أبى بكر بن سالم وأتى إلى المسجد الشرقى وهو مغطى بدنه الجميع . فاتفق بعبودان [1] وخابره أنه درويش من دمشق وأن قصده زيارة الحسين ثم قال لعبودان ادع لى الحبيب أحمد بن الحسين يطلع بى إلى أبيه . فقال له الخادم : والله لو كنت السلطان عبد الله بن عمر ما خرج لك الحبيب أحمد والأولى ندعو لك سلمان باصبيع [2]

(١) عبودان الخادم الخاص للحسين . (٢) وكيل قصر الحسين .

فجاء سلمان وأطلعه وكان حين دخل الدار هناك جماعة بقرب الدار من عيال الحبيب الحسين فرأوا هـذا الدرويش وقد غطى جميع بدنه بحيث لا يرى منه إلا حدقتاه . فتعجبوا منه فقال السيد على بن الحسين إن صدقت فراستى فهذا هو السلطان عبد الله بن عمر قال : فطلع السلطان فلما دخل باب المحضرة وإذا بالحبيب الحسين وعنده ابنه أحمد وكان هذا هو ما يتمناه السلطان فالتفت إلى باصبيع وقال له ارجع وأوصد الباب وخلع ثيابه وأقبل على الحبيب باكيا منتحبا فنهض الحسين وابنه أحمد ذاهلين. وقالوا ما هذا الحال ياسلطان هل جننت فزاد فى البكاء والحبيب الحسين يتلطف به. ثم قال السلطان : قد جئت إليك فقيراً مختلعا وتركت الولاية بين يديك تمضى وتحكم فى حضرموت بما أردت فقال له إن الولاية على الناس لا نرضى بها حتى لخادمنا الذى يجر الماء ولا نوليها عيالنا . بل نوليها صنوك بدراً لكونه صاحب فضيلة وعدل . فقال له السلطان عبدالله أطلب منك أن تدعو الله لى بثلاث خصال : الأولى أن يغفر لى ذنوبى . والثانية أن أموت بمكة أو المدينة أو بعينات . والثالثة أن أكون معك فى الجنة .

فقال الحبيب الحسين : أما الأولى فلا سبيل إليها لأنك وليت أمر الناس سنوات وحقوق العباد ما تترك ولا تسامح إلا بردها. وأما الموت فكل يعود إلى طينته وامر ذلك إلى الله تعالى قال سبحانه : « وما تدرى نفس بأى أرض تموت » وكذلك الجنة إلا برحمة الله وما يدريك أن نكون نحن فى النار . قال السلطان لا بد من ذلك ولا أعذرك قط وأريد معك إلى الجنة أو إلى النار .

فقال الحبيب أحمد مخاطبا أباه الحسين : فضل الله واسع ورحمته واسعة وقد أتاكم الرجل منطرحا كسير القلب مختلعا من الولاية ومن الدنيا وما فيها فاقبلوه بما فيه فقبله رحم الله الجميع وأقام بعينات ثم توجه إلى الحرمين الشريفين ومات بمكة سنة ١٠٤٥ هـ ودفن بالشبيكة هذا هو المشهور . وقرأت عن بعضهم أنه عاد من الحرمين وتوفى بعينات ودفن بالسور عند الشيخ على بن أبى بكر بن سالم نفع الله بهم ولم أجد هذا القول لغير هذا البعض .

وإلى عبد الله بن عمر هذا تنسب دولة آل عبدالله لا إلى عبد الله بن جعفر كما توهمه بعضهم .

٢١ — السلطان بدر بن عمر

هو السلطان بدر بن عمر بن بدر أبى طويرق بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن على بن عمر : كان سلطانا عادلا وهماما فاضلا وكان آية فى الجود والسخاء يحب الخير وأهله ويكره الشر وأهله . وكان قد أقام للشرع الشريف بحضرموت محاكم عديدة مضبوطة وبنى عدة مساجد منها مسجد الحصن الذى بسيون . ومسجد السلطان الذى هو شمالى حصن الزناد بتريم ووقف عليها أوقافاً كثيرة كافية .

وبدر بن عمر هذا جد آل عيسى بن بدر أصحاب العقاد وجماعة منصور ابن عمر الآتى ذكره .

بينه وبين أخيه :

تولى السلطنة بإشارة سيدنا الحسين بن الشيخ أبى بكر بن سالم العلوى سنة ١٠٢٤ هـ بعد أن خلعها أخوه عبد الله. وهذا أكبر دليل على صدق الوجهة التى انتحاها عبد الله . وإلا فإن له أولادا كان حريصاً على أن يرثوا الملك عنه من بعده وقد طالما حدثت بينه وبين أخيه بدر هذا هنات وأمور ولدت الحقد فى قلب كل منهما بل وفى قلوب أولادهما من بعدهما حتى أدى ذلك إلى التداخل الأجنبى وضياع السلطنة الكثيرية كما سيأتى .

الشرارة المحرقة :

ولم تكد تستقر قدما السلطان بدر بن عمر فى الولاية حتى تصدى له ابن أخيه وهو بدر بن عبد الله بن عمر بالأذى وإذكاء المكائد حوله وأحس السلطان بدر بن عمر بالشر فلجأ إلى موالاة أئمة اليمن وأخذ يكاتبهم ويستنجد بهم . وأشيع عنه اعتناقه للمذهب الزيدى فازدادت الهوة اتساعاً والحالة حرجا وأخذ الشعب الحضرمى ينفر عنه ويعضد بدر بن عبد الله وقد عرف هذا كيف يستغل هذه المواقف .

القبض على بدر بن عمر :

وفى سنة ١٠٥٨ هـ وثب بدر بن عبد الله بن عمر على عمه بدر بن عمر بحصن سيون وقبض عليه وعلى ابنه محمد المردوف وضيق عليهما ثم أرسلهما مكبلين بالأغلال إلى حصن مريمة حيث سجنهم هناك مع التضييق الشديد ثم نقلهم من مريمة إلى تريس . أما الأمير عنبر وكان من أكبر أنصارهما فقد توثق لنفسه فى الحال بالعسكر من يافع الذين ربعوه (أى أجاروه) وعزم تواً إلى عينات مجملا لم يتغير عليه شيء وبقى هو وأولاده فى كنف الشيخ الحسين وأولاده .

تداخل الإمام :

وبلغ الخبر إلى الإمام بالقبض على بدر بن عمر وأنه لم ينله مانالهمن الأذى إلا لموالاته أئمة اليمن فتغير خاطر الإمام على السلطان بدر بن عبد الله . وطفق يوفد إليه الرسل ويكاتبه مطالباً إياه باطلاق سراح عمه وتوليته ظفار. وكانت لهجة المكاتبات بين الإمام والسلطان لاتعدو حد المجاملات والمواربات. وكان السلطان بدر بن عبد الله يراوغ ويماطل ويظهر الطاعة للامام ويتبطن غير ذلك، حتى أوفد إليه الإمام الأمير صالح بن حسين فألح عليه فى اطلاق عمه بدر بن عمر وفى وضع حد لهذه المداجاة والمداهنة والطاعة الكاذبة فلم يسع السلطان بدر بن عبد الله إلا أن أطلق عمه ووكل إليه ولاية ظفار .

انتقاض الأمور :

ولم تكد الصلات الودية بين الإمام والسلطان بدر بن عبد الله تستمر زمناً يسيراً حتى انتقضت الأمور وحدث مالم يكن فى الحساب . وذلك على ماحكاه الجرموزى فى تاريخه أن أخاً للسلطان بدر بن عبد الله يسمى جعفراً وكان إليه شيء من البلاد . قال له أخوه السلطان بدر بن عبد الله أن الإمام قد انتزع منا ظفار وجعلها لعمنا فلم يبق لنا من البلاد مايسع عوائدنا ووقع الاختلاف بين الأخوين .

فشخص جعفر إلى الإمام شاكيا من أخيه وطالبا من الإمام أن يفرض له بلادا . فلم ير الإمام ذلك لما يحدثه من الفتنة بينهم وقد أحسن إليه الإمام

كثيرا وأكرم ضيافته غير أنه طال على جعفر المذكور المقام فى حضرة الأمام واشتاق إلى بلده فتقرب إلى الإمام بحسن الطاعة ، وإنه لايريد بلادا وإنما يريد الاتفاق مع أخيه السلطان بدر . فكتب له الإمام توصية إلى السلطان وأرسله كما يحب . فلما وصل إلى عند السلطان بدر بن عبد الله اتحد أمرهما وصلح حالهما فاستراب منهما عمهما بدر بن عمر صاحب ظفار وأرسل ولديه محمدا وعليا إلى الإمام عن طريق البحر وبلاد المهرى ليوقع فى نفس السلطان بدر بن عبد الله هيبة الإمام رجاء أن لايتجاسر على فعل شىء مما يتوقعه منه . وفوق ذلك طلب الرباعة من آل كثير احتياطا وهى ضمانة من له يد أو شوكة . فلم ينفعه كل ذلك بل توجه السلطان جعفر سرا إلى ظفار بينما المكاتبة بين السلطان بدر ابن عبد الله وعمه صاحب ظفار يشملها الاتحاد والمجاملة فى الظاهر . وقد أظهر لعمه أن جعفراً ذهب إلى الهند وجهات النعمان وكلها تعمية على عمهما . وجمع جعفر أوباشا من الناس . وأقبل على ظفار وقد استراب منه عمه وكتب جعفر إلى عمه أنه سيصله من طريق هى المعهودة . فخرج السلطان فيمن أجابه للقائه إلى ذلك المحل فلم يجده ، وقد سلك طريقا أخرى غير معهودة وهو ذو خبرة بالبلد وأهلها فقتل ابن عمه وملك ظفار واستولى على الحصن ولجأ بدر بن عمر إلى بعض البدو ثم انسل على أيديهم واتصل بالبحر وركب إلى بلاد المهرى ثم إلى عدن .

وكان قد أرسل إلى الأمام ولديه محمدا وعليا كما سبق فاستوثق من الأمام النصرة وأنه يخاف غدر أبناء أخيه ولما وصل إلى عدن تلقاه واليها من قبل الصفى بالاحسان والاعظام وكتب إلى الامام وعاد الجواب بأشخاصه من طريق الجند وجهازه بكل ما يحتاجه . ولما بلغ الامام وصوله «محروسة ذمار» أمر ولديه محمدا وعليا المار ذكرهما بلقائه وأرسل رسلا غيرهم بالأكسية الفاخرة والخيل المحلية والنقود الكثيرة وأظهر الامام أن ما وقع فيه من الظلم والعدوان إنما هو بسبب انحيازه إلى جانبه المحمى .

ولما وصل إلى الحصين أمر الامام أنجاله الكرماء ومن بحضرته من العلماء أن يتلقوه بالجنود ، وعظمه وخلع عليه وعلى أولاده وأصحابه وأنزلهم منازل الكرامة وتابع لهم الانعام وبعد ذلك كتب الامام إلى السلطان بدر بن عبد الله بما معناه أن السلطان بدر بن عمر منا وإلينا وأن الواقع فيه من الجنايات إنما هو فينا .

مراوغة ومداجاة :

وكثرت الأشاعات والأرجافات بأن السلطان بدر بن عبد الله هو الفاعل الحقيق للغدر بعمه وأن جعفرا لا يقدر على أن يصل بكل هذا وطفقت رسل الامام تترى فى هذا الشأن وكذلك رسل السلطان بدر بن عبد الله الذى لاينفك يتنصل من المسئولية والتبعة ويبعث بالبراءة تلو البراءة من جعفر وكان يظهر الأنس إلى عز الإسلام محمد بن الحسن ويكاتبه .

ولما كان فى شهر رمضان وصل الشيخ محمد بن شيبان من صوفية حضرموت ومتكلميها . وكانوا كثيرا ما يوسطونه فى مهماتهم لميلهم إليه ومعتقدهم فيه فوصل بكتاب من السلطان إلى الصفى ولكن الصفى أجابه بأن هذا كتابى وبعده سيفى وركابى واراه السيف وقال له طالما غششنا الامام بهذه المخادعات التى هى ترهات لا محالة .

النفير :

ونادى الامام بالنفير من غير تأخير وجمعت الجيوش من جميع الجهات وقامت الخطباء والدعاة إلى الجهاد فى صنعاء وجهاتها وخرج الجيش من الغراس المحروس يوم الخميس ١٨ شوال سنة ١٠٦٩ هـ انتهى كلام الجرموزى . وهنا ننقل ما كتبه سيدى الحبيب على بن حسن العطاس العلوى فى كتابه سفينة البضائع عن هذا الموضوع . قال :

رحلة جيش الامام :

وكان خروج الامام أحمد بن حسن ووصوله إلى حضرموت آخر شهر رجب سنة ١٠٧٠ ومعه السلطان بدر بن عمر بن بدر الكثيرى وكان مخرجهم على العوالق وابن عبد الواحد . وكذلك الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله العمودى تلقاهم إلى نحو جردان وسار الامام بالجيش عن طريق حجر .

وطلعوا عقبة المدلاة على الصوط وخرجوا عقبة فى الجزع تسمى بعقبة باعقبه ونصبوا خيامهم بجد فرة بيضان . وأقاموا يومين ورحلوا إلى ضمر عشير يوم الخميس . وخاف أهل الهجرين منهم خوفا عظيما .

وفى الهجرين رتبة متقاربة حتى أن جماعة من الرتبة خرجوا إلى محطة السلطان

بدر بن عبد الله وهو محط بأسفل بحران . وخرج أيضا عليهم رجل من ذيابنة حريضة إلى النقيب أحمد بن سالم بن زيد بحصن المنيظرة .

وبعد ذلك أهل الهجرين خرجوا إلى عند ابن الامام وطلبوا أماناً منهم لأهل الهجرين ونواحيها حتى صيخ . وكان ذلك بعد صلاة الجمعة وخرجت شرذمة من تلك القوم إلى أسفل متنصتين . ولما وصلوا تحت المنيظرة ضربوهم العسكر الذى بها حتى طلعوا البلاد ونهبوها وقتلوا فى الحصن نحو احدى عشر رجلا منهم النقيب أحمد بن سالم بن زيد . أما الهجرين فسلمت من الهتك إلا أن جماعة من عسكر الامام طلعوها رتبة نحو مائتين أو ثلاث ولم يرزأوا أهل البلاد شيئا إلا أقواتهم فقط وكان وقوفهم فى عشير وفى البلاد الجمعة والسبت والأحد والاثنين والثلاثاء ورحلوا نهار الأربعاء إلى مراوح ومغارهم يوم الخميس على السلطان بدر بن عبدالله ومعه قوم كثير . وعندما وقعت الغارة تفالتت وانهزمت جميع القوم التى معه قبل أن يتواصلوا . فما ثبت إلا هو واناس قليلون . وحين رأى ذلك السلطان فر بنفسه هارباً إلى عند آل كثير وفى رواية أن هربه كان إلى حى العوامر أخواله ونهبت قوم أحمد بن حسن حورة وسدبة . وتقدم أحمد بن حسن وقومه إلى حضرموت وسلمت له مصنعة هين بغير قتال ثم خضعت له جميع مصانع حضرموت وقابله أهلها .

وكتب له السيد عمر بن عبد الرحمن العطاس العلوى كتابا أوفده مع ولديه حسين وسالم فقابلهما الامام بكل تجلة وتبجيل . وقال لهما أرى عليكما سيماء الخلافة ومخائل النجابة . وقرأ فى كتاب الحبيب قوله انظر إلى أهل حضرموت بعين الرحمة ينظر الله بها إليك . قال : إنى لما نظرت هذا طرح الله الرحمة العامة فى قلبى لأهل حضر موت . انتهى .

الزيدية بحضرموت :

ومنعت الزيدية راتب الحداد ونودى بأن يزاد فى الأذان حى على خير العمل ولم يقدر أحد على المخالفة إلا عبد الله بن عمر بارضوان بافضل المؤذن فى باعلوى فإنه استمر على الأذان العادى من أول خلافة الزيدى إلى آخرها وكلما هددوه بأنهم سيفعلون ويفعلون به سكت ولم يجب على أحد وسلمه الله من معاقبتهم .

تلاشى السلطنة الكثيرية :

وبدخول جيوش الامام إلى حضرموت انتهت السلطنة الكثيرية تماما وأصبح السلطان عديم القوة والشوكة واستبدت يافع بالأدارة واستولت على أملاك الدولة وقسمتها بين عشائرها فصارت سيون لآل الضبي وتريم لآل اللبعوس والشحر لآل بريك .

وفاة السلطان بدر بن عمر :

وعاد الصفي من حضرموت إلى صنعاء بعد أن أخذ البيعة من أهل حضرموت السلطان بدر بن عمر فأقام هذا بها سلطانا نحو سنتين ثم عزم على الحج وزار بعد الحج النبي صلى الله عليه وسلم ومات بالمدينة المنورة سنة ١٠٧٣ هـ .

٢٢ — بدر بن عبد الله

هو بدر بن عبد الله بن عمر بن بدر أبي طويرق سلطان عظيم القدر ، دمث الأخلاق . له دراية عظيمة في استجلاب القلوب . وجذب الأرواح . وله دراية كاملة بالكيفيات التي تحمل العامة بل والخاصة على حبه ونصرته فقد استطاع أن يستميل فضلاء عصره من العلويين وغيرهم إلى صفه ضد عمه بدر بن عمر واستغل جنوحه إلى إمام اليمن فحمل الجمهور بذلك على بغضه ومقته والنفرة منه .

ولم نسمع عنه من منصفي المؤرخين ملابسة أو تحليا بشيء من العيوب الأخلاقية غير ماينتقصه به بعض مؤرخي اليمن الذين لم ترق في أعينهم مضادته لعمه الذي والى الإمام . فراج عندهم ما يسوقه عنه أضداده من المكر والنفاق والخبث الخ . ولعل بعض المؤرخين من الحضارمة نقل عنهم ما نقله من دون فحص ولا تروى .

تولى السلطنة اغتصابا بعد أن قبض على عمه بدر بن عمر المار ذكره وذلك في سنة ١٠٥٨ هـ فكان له في الأوساط العالية مكانة رفيعة اكتسبها بحلمه وأخلاقه الفاضلة وإجلاله لمن يحق له الإجلال ، ومداراته لمن تليق به المداراة وكان يتقصد أعلام التقوى والولاية ، ويزورهم ويستشيرهم ويحترمهم ويتحمل ما يبدر منهم من كلمة عتب أو نصيحة قارصة أو غير ذلك .

زيارة السلطان للحبيب العطاس :

فمما يدل على مكارم أخلاقه ما جرى له فى زيارته للحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس العلوى وقد حكى ذلك الفقيه عبد الله بن عمر باعباد وهو شاهد عيان أن السلطان بدر بن عبد الله بن عمر الكثيرى أتى إلى سيدنا عمر رضى الله عنه زائرا له قاصدا قرية حريضة . وقدم له رسولا يستأذنه فى الدخول إلى بلده المذكورة . وكان السلطان وجنده نازلين بمكان قريب من البلد وكان معه جند عظيم وأتباع فقال سيدنا عمر للرسول قل للسلطان نحن نأتيه إلى المكان الذى هو نازل فيه ولا يأتى هو إلينا أبداً . لأنا أحق بذلك ولأنه إذا قدم البلد يكلف أهلها أشياء كثيرة شاقة ونكون نحن سبباً فى ذلك بل قل له يقف مكانه حتى نأتيه . فأتى الرسول فأعلمه بما قاله السيد وأنه سوف يأتيه إلى منزله فقال السلطان السمع والطاعة لمن ذكر. ثم أنه أى السيد خرج بعد أن أمر بعض الخدم يعمل له قهوة على عادة الجهة وحمل الخادم القهوة وأمره أيضاً أن يستصحب المجمرة بنارها للبخور بعد القهوة فقيل له أن النار توجد عند السلطان فى المحطة فقال نحن لا نستعمل نار السلطان أبداً . قال وبعد أن وصل السيد المذكور إلى السلطان حصلت بينهما محاورة فى الكلام . وصدرت من السيد له نصائح ومواعظ وإرشادات وإشارات فى دينه ودنياه . وشربوا القهوة التى من الحبيب عمر .

ثم إن السلطان أمر بعض غلمانه أن يعمل قهوة عسل إكراما للسيد وحيلة لطول المجلس المبارك . فامتثل الغلام إشارة السلطان وبادر لذلك وقرب طشتاً كبيراً ونشط فيه قربة ماء وجعل فيه عسلا كثيرا وحقبة من البن وجعل يوقد عليه فأبطأ الفور . وندب إليه السلطان رسولا أن هات مامعك فنظر فى الوعاء فلم يجد فيه شيئاً من الماء والعسل بل تبخر كله فقام مبهوتاً وأعلم السلطان بذلك فعرف ماعند ذلك الإمام من الورع وقال للسيد يا سبحان الله تتورعون حتى من قهوتنا ونارنا فقال له : لو لم نكن هكذا ما كنا هكذا . فافهم هذه الإشارة .

ونحن إنما نقلنا هذا الخبر بفصه ونصه لما شمله من العبر المتعددة ولما يفيدنا به من تصوير الحالة الاجتماعية فى ذلك الزمان . وربما يوجد فى قرائنا من

لايتناسب مع ذوقه سوق هذا الخبر وأمثاله فى تاريخنا لما فيه من الاشارة إلى الكرامة التى أصبح ذكرها وصمة شائنة لدى من ينتحل التمدن العصرى المادى . ونحن إنما نجعل تاريخنا هذا مرآة صادقة تجلو لنا بعض وقائع الماضى والحاضر فى ظلال الدولة الكثيرية بصرف النظر عن ملائمتها أو عدم ملائمتها لأذواق القراء .

ثروة السلطان بدر :

كان السلطان بدر بن عبد الله من أغنياء سلاطين آل كثير ومثريهم فقد كان يملك فى ظفار غابات من اللبان يستثمرها . وله معامل واسعة النطاق تصفيه ثم تشحنه فى سفائن له خاصة فتبحر به إلى الثغور المجاورة وقد امتلك فى حضر موت غيل تاربة الذى يساوى عشرات الألوف من الريالات والذى يدر عليه أموالا وافرة .

كيف قبض على عمه فى رواية الجرموزى :

وقد حكى لنا المؤرخ الجرموزى فى كتابه نزهة الأسماع والأبصار حكاية فى كيفية القبض على السلطان بدر بن عمر يعلم الله صحتها قال — : لما حج السلطان عبد الله بن عمر سنة ١٠٤٠ واستخلف أخاه بدراً كاتب هذا الإمام . وكان ميل كبراء آل كثير مع أولاد أخيه عبد الله . فاحتال أولاد السلطان عبد الله على عمهم بالغدر . وذلك أنهم وجهوا له بلسان من يقبل قوله إنهم سيزوجونه بامرأة ممن يتعلق بهم وهيأوها له . وفى ليلة الدخول ألبسوا معها رجالا فى لباس جوارى ، ثم هجموا على عمهم وقبضوا عليه وقتلوا كل من دافع عنه . ثم قبضوا على أولاده واستولوا على جميع مايملكه ، واعتقلوه فى حصن لهم . ثم بايعوا الناس لأخيهم السلطان بدر بن عبد الله بن عمر . فساس البلاد وأهلها وله ملابسة للسياسة ومراعاة لأسباب الرياسة . فكان أكمل من عمه وأنهض فأحبه أهل تلك الجهات وخاصة لعدم موالاته الامام .

كيف قبض على عمه فى رواية السيد بافقيه العلوى :

ذكر السيد عبد القادر بافقيه العلوى فى تعليقاته رواية أخرى للقبض على بدر بن عمر ونراها فى نظرنا أوجه من رواية الجرموزى . قال السيد : عزم

بدر بن عمر على زواج بعض ذويه وأقام وليمة دعا إليها كثيرا من الوجهاء والأعيان ورؤساء القبائل وكانت سيون إذ ذاك مملوءة بالمدعوين . وفى هذا الوقت الذى كان بدر بن عمر يتسلى فيه بذبح الأغنام وإعداد العدة لوليمة غداء كان بدر بن عبد الله بن عمر يجمع آل كثير والشنافر ويعقد المؤامرات السرية ضد عمه بدر بن عمر ويهول الأمر فى موالاته للزيدية وأنه سيملكهم حضر موت . فنتج عن هذه المؤامرات أن اجتمع نحو أربعين شخصاً من أحرارهم وعشرة من العبيد . فدخلوا على بدر بن عمر إلى حصن سيون بصفة أنهم مدعوون .

ولما فتح لهم الباب دخلوا بعنف وفتكوا بمن يقاومهم فحدثت ضجة عظيمة فى الحصن وارتاع أهله وأقبل سعيدالنقيب وسعيدبراوى حارس السدة العليا ففتكوا بهما ولم يصدهم أحد بعد ذلك حتى دخلوا على بدر بن عمر فاستسلم بدون مقاومة . وبدأ ولده محمد المردوف يحاول المقاومة فانتهره أبوه وأمره بالاستسلام فقيدوهما معاً . وتسور جماعة من غوغاء العسكر إلى الحصن من موضع فيه نقبوه فاطلعوا على جلية الأمر فاذا هو سلطانهم مغلول فسقط فى أيديهم وأمرهم هو أن لايخالفوا ابن أخيه بدرا بن عبد الله .

بدر بن عمر يخلع نفسه :

وطلب بدر بن عبد الله من عمه بدر بن عمر أن يخلع نفسه من السلطنة بحضور الشنافرة وغيرهم وأن يكتب بخطه وثيقة بأنه خلع السلطنة ومنحها لابن أخيه راضيا مختارا .

تداخل الامام :

قال الجرموزى : وبلغ الامام أن السلطان بدر بن عبدالله هذا أخذ عمه بدر ابن عمر بجريرة موالاة الأئمة فكاتب الامام السلطان بدر بن عبد الله فى شأن عمه بدر بن عمر المذكور . وأرسل إليه السيد الأفضل محمد بن عبد الله بن محمد المؤيدى ومعه جماعة فأحسن لقياهم وأظهر الطاعة . وعمه حينئذ معتقل . وبقى السلطان يجيب الامام بتلون ومداجاة وفى سنة ١٠٦٤ هـ عاوده الامام بالمكاتبة

بإطلاق عمه والإجابة الصحيحة . فكان الجواب من نحو ما تقدم . وعرف الامام أنه قد لحق جانبه المصون وصم ونقص وهضم . وان السلطان بدر بن عمر أخذ بجريرة موالاته ظلما .

الحاح الامام :

قال : وقد طالت المكاتبة بين الامام المتوكل على الله اسماعيل وبين سلطان حضرموت مما يدل على دهاء فى هذا السلطان وبعد غور وبعض كمال فى دنياه حاصلها التلون والمداجاة .

قلت : وكانت المكاتبات التى نقلها الجرموزى طويلة مسجعة ومملة وكلها تدور حول طلب الامام من السلطان بدر بن عبد الله أن يطلق عمه بدراً بن عمر ويوليه ظفار وحول بذل الطاعة من السلطان للامام .

قال : وكان بدر بن عبد الله قد حبس عمه بدر بن عمر فى محبس ضيق شديد وأوفد الامام إلى بدر بن عبد الله الأمير صالح بن حسين يلح عليه فى اطلاق عمه . ولما لم يقبل الأمير من السلطان بدر بن عبد الله كتابا ولا هدية ولا كراما إلا باطلاق عمه أو المعصية . ويعود الأمير كما جاء . ولا يحمل كتابا لم يكن فيه إطلاقه وحل وثاقه عظم ذلك جدا على بدر بن عبد الله وبكى وانتحب ثم أحضر عمه وأمر حدادا يحل الحديد . وأخذ المحبوس أيضا يبكى فرحاً ويكثر من الشهادتين ولما مد الأمير يده لمصافحته قال لا أصافحك حتى اغتسل ثم اغتسل وقد صار كالشن البالى وصلى ركعات ثم وصل وصافحه .

اعتذار السلطان :

والسلطان بدر بن عبد الله يقول فى اعتذاره عن حبس عمه أن أبانا لما استخلفه محله وجعله نائبا علينا وعلى جميع ذريته وأهله وجعله أمينا على الرعايا وأوصاه بالرفق بنا وبهم والإحسان إلينا وإليهم خدمناه غاية الخدمة وقمنا بما يجب له علينا من التوقير والحرمة ولكنه قتر علينا فى المعاش وزاد وأخش علينا فى التقتير حتى نالنا من الضيق والضنك ما يهون علينا مقاساة الموت دون مقاساته . وصبرنا على ذلك حتى عيل منا الصبر ولما خشينا على أنفسنا الهلاك قدمنا على العم بدر وأولاده وما ظننا أننا نسلم قبل ذلك . ولما ضممناهم قمنا بهم وبمكالفهم ومن يلوذ بهم وكفلناهم وقمنا بالواجب لهم من

النفقات وغيرها . وقد كانت عادة أهلنا من قبلنا أنه من قام منهم بالأمر مع وجود من قبله ضمه وجعل عليه حراسا ليأمن بوادر سطواته وفعله . وقد كان جدنا بدر بن عبد الله أسيرا من ابنه عبد الله لما ولى الأمر وبقى أسيرا حتى صار إلى القبر . ثم جدنا عمر بن بدر بقى أسيرا من أخيه عبد الله حتى انتقل عبد الله . وما كان سبب طلوعنا على العم بدر إلا خوفنا على أنفسنا . إلى أن قال : وربما أن أعداءنا وحسادنا رفعوا إليكم بأن لا سبب لثورتنا على العم إلا لقيامه بطاعتكم . فلا والله العظيم . ما كان ذلك السبب . وإنما السبب هو ما أوضحنا فى هذا المكتوب انتهى كلام الجرموزى .

عهد الولاء :

وبعد أن أطلق السلطان بدر بن عبد الله عمه وولاه ظفار تحسنت العلائق بينه وبين الإمام وتبودلت بينهما الهدايا والصلات واستمرت المواصلات وصار السلطان يرسل المفروض عليه من الزكاة للإمام .

قال الجرموزى: وفى سنة ١٠٦٧هـ أرسل الإمام إلى السلطان بدر بن عبد الله القاضى العلامة شرف الإسلام الحسن بن أحمد الحيمى ليقيم الشريعة بحضرموت وقد صادف القاضى السلطان ببلدة هينن وقابله مقابلة حسنة شكره عليها القاضى فقد كتب إلى الإمام ما يأتى بعد الديباجة .

وبعد فقد صدرت الأحرف من حضرة السلطان الأعظم الأفخم بدر بن عبد الله بن عمر الكثيرى أسعده الله . من مدينة هينن وصلنا إليها سابع جمادى الأولى سنة ١٠٦٧ الأخبار شارحة . والأحوال بمن الله تعالى وبركاته صالحة . كان وصولنا إلى السلطان رعاه الله وصولا شهيراً . وعظمنا تعظيماً كثيراً وطلب إلى حضرته للقائنا أعيان أهل جهته وعشيرته . ولم يترك من التعظيم وجهاً إلا فعله . ولا من الإكرام نوعاً إلا أتاه . وكان فى يوم ثانى الوصول طلبنا الاتفاق به . لاطلاعه على كتبكم وتسليم تلك الكسوة المباركة إليه . فاجتمعنا به واستوفينا أخباره الخاصة ، وقرأ تلك الكتب وتأملها . ثم قرأ العهد كذلك وفى اليوم الثالث من وصولنا أمر من يقرأ العهد على من بحضرته ، والناس قد صدروا من حضرته لم يبق إلا من تعلق به فقط . فقلنا له الصواب أن تكون قراءته فى سيون فأن الحضرة هناك جامعة لأعيان الناس

من أهلكم ومن غيرهم . وليحضر هناك رجال العلم وغيرهم . فقال لا بأس بذلك وحال صدور هذه الأحرف والسلطان متوجه إلى سيون لأن هذه البلدة المسماة هينن هى طرف البلاد . وإنما يقف السلطان بها أيام المحاربة . وأحوال هذه الجهة سديدة وقد اتصل بنا بعض فقهائهاممن له بصيرة ، وفقه ناضج نافع . ولهم عناية بإحياء المساجد بذكر الله عز وجل . ودرس القرآن الكريم . وتعلم الصبيان . وبعد وصولنا إلى حضرموت يأتيكم التحقيق . وببركتكم تصلح أمور المسلمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . ولا حول ولا قوة إلا بالله وصلى الله على سيدنا محمد واله فى تاريخ ١٠ جمادى الأولى سنة ١٠٦٧ هـ .

محسوبكم الحسن بن أحمد الحيمى

وقد أجاب السلطان الإمام عن كتابه جوابا فصيحا بليغا أثبته الجرموزى برمته . ولو لا طوله لأثبتناه نحن ولنا عذرنا وهو أن الذى أعارنا كتاب الجرموزى لم يجعل لنا فى الإعارة مدة كافية لنقل كل ما نريد .

وكان الإمام قد كلف القاضى الصلح بين السلطان والعمودى فتم ذلك ، وذكره السلطان فى كتابه للإمام . وكذلك كتب الإمام يطلب من السلطان بدر أن يؤمن أخاه جعفراً بن عبد الله فأجابه إلى طلبه .

هدايا ومفروضات :

وذكر الجرموزى كتابا آخر من السلطان بدر بن عبد الله للإمام جاء فيه بعد الديباجة ما نصه :

الصادر إلى حضرتكم الشريفة العلية الإمامية المحمدية من الخيل الكرام باسم الهدية ثلاثة روس . فمنهن فرس نعامة صفراء مليحة ، ومنهن فرس كحيلة حمراء جيدة ، والثالث من الروس سميطان أصفر ، تفضلوا بقبول تلك الهدية وإن كانت تافهة غير سنية .

وكذلك الصادر من الخيل الجياد فى مقابلة ما تقرر علينا لبيت المال من الزكاة والفطرة ثمانية رؤوس حسبما ذكرناها لكم فى كتاب مفرد بيد القاضى الجليل . ثم قبيل ما تقرر لكم من محصول بندر الشحر المحروس من الرسم الهندى وما تقرر مما رسم على البانيان فى مدة ثلاثة شهور ٢٢٠ و ٣٠٠ حرف و ١٥ ذهب أحمر . الذهب الأحمر محسوب بستمائة وثلاثين قرشاً . والذى من

الموسم الهندى سنة ١٠٦٧ وكذا الذى على البانيان ٨٥٠ .

ومرسل إليكم هدية باسم محمد ابن الإمام رأسان من الخيل ولأخيه صفى الدين رأسان أيضا وإليه من ولدنا عبد الله رأس من الخيل وحلية لفرسه هدية ولأخيه حسام الدين حصان . والسلام فى ١٥ رمضان سنة ١٠٦٧ هـ .

النفير إلى حضرموت :

نكتفى بما قد نقلناه فى ترجمة السلطان بدر بن عمر من سبب انتقاض ما بين السلطان بدر بن عبد الله والإمام . وهو استيلاء آل عبد الله بن عمر على ظفار وقتل ابن عمهما والتجاء بدر بن عمر إلى الإمام . واستغاثته به . ونضيف إلى ذلك هنا ما كتبه الكبسى بهذا الصدد فى تاريخه المسجع قال :

وفى سنة ١٠٦٨ هـ غدر صاحب حضرموت بدر بن عبد الله بعمه بدر بن عمر وأخرجه من ظفار فوصل إلى الإمام للانتصار فأكرمه الامام ، وأوعده ببلوغ المرام ، وبقى فى الحضرة مكرماً حتى كان فى شهر جمادى الأولى من سنة تسعة وستين برز الإمام فى المنشية وضرب فيها الوطاق ووصله إليها عز الإسلام محمد بن الحسن بن المنصور ، فأجمعا على اصطفاء الصفى لفتح حضرموت والشحر المشهور أحمد بن حسن بن المنصور . وفى الخامس تهيأ وسار إلى وادى السر بمخلاف خولان ثم منه إلى مخوان . ثم إلى رعوان . ثم سار إلى مأرب وبيحان ثم دخل أطراف بلاد العولقى ، فوصل بلدة واسط ثم صار إلى وادى حجر ، ثم تجرد من حجر تجرد الحسام وقد كان سلطان حضرموت قدم عسكراً إلى أعلى عقبة حجر لمنع أحمد بن حسن عن صعودها فطلع عليهم العقبة ففروا عن مراكزهم ، وانهزم فقدم السلطان ومهد لمن بعده هذه الفعال وصنعوا صنعه حذو النعال بالنعال .

واستولى الصفى على خزائنه وأزواده وذخيرته وأمداده . وهذا المحل يقال له ريدة بامسدوس . وعند ذلك طلعت على الصفى طلائع الانتصار . وتواردت إليه قبائل تلك البلاد . ثم تقدم إلى بلاد الهجرين ولم يبق إلى محل السلطان بدر غير مسافة يومين . فتلقاه الحضارم ركبانا ورجاله ، وقاتلوا عن منصب سلطانهم ولا محاله ، فأطلقت عليهم الرصاص المذابة ووجه إليهم الردى أسبابه فقتلوا فى الأودية والشعوب وجروا على أذقان الجنوب . فانهزم السلطان من

هينن إلى شبام وقد طرأ عليه بساط الأحكام ودخل الصفى هينن واغتنم ذخائر السلطان ثم عطف على شبام . وأخذها سلام بسلام . وهى عين مدائن الاسلام فاستولى الصفى على منازل ذلك البدر ، ولما سقط فى يد السلطان عاد إلى الطاعة بعد العصيان . وصلحت الأحوال ورجع الصفى فى أنعم بال وأطيب حال . وأرسل الصفى بالسلطان بدر بن عبد الله إلى حضرة الامام ، فاستبقاه الأمام أياماً . ثم فسح له إلى دياره ، وتوفى بجهته بعد عودته إليها . انتهى كلام الكبسى نقله لنا معاصرنا المؤرخ الأمير أحمد فضل العبدلى فى كتابه هدية الزمن جزى خيرا .

سيل ليل :

أول من شبه جيوش أحمد بن حسن غازى حضرموت بسيل الليل هو الحبيب الشيخ عمر بن عبد الرحمن العطاس العلوى نفع الله به وذلك أنه عندما وصلت الأراجيف إلى حضرموت بقدوم الزيدية تهيأ السلطان بدر بن عبد الله بن عمر بن بدر لقتالهم . وأرسل إلى الحبيب عمر يستشيره فى ذلك فأرسل إليه الحبيب أن لا تفعل . وقال هذا سيل ليل ما تقعده المطاولة بالمرابش فأبى السلطان إلا قتالهم . ثم وصل بنفسه إلى حضرة الحبيب عمر يستشيره أيضاً . وكان بصحبته عبد الله بن عبد الرحمن العمودى (الملقب بالبوست) ومن أتباعه قبائل دوعن وبلفنيه والدين والمشاجر . وجاء معه بجملة مكاتيب وصلت إليه من مناصب حضرموت ملء زمالة أكثرها فيها منهم الحث للسلطان بدر على قتال الزيدية . فقال له سيدنا عمر : هل تشاورنا وتمتثل رأينا أم تلقى لنا مثل النساء شاوروهن وأعصوهن . فقال بل نشاورك ونمتثل رأيك . ظنا منه أنه سيشير عليه بقتالهم كما أشار عليه بذلك جماعة من مناصب الجهة إلا القليل . فقال له السيد عمر : إن كنت ممتثلا لرأينا فلا تقاتلهم . فإن هذا الأمر لا يفيدك معه القتال . وكان مع السلطان بدر بعض وزرائه من أهل الفصاحة ورواية الشعر . فقال ذلك الوزير : ياحبيب عمر أن الفقيه عمر بامخرمه يقول :

ولا علينا من الرومى ولا من إمام

فقال له الحبيب : ومادا قال بعده ؟ فقال : الله ثم أنتم أعلم . فقال : أنه قال بعده :

إلا أن قضى الأمر والقدرة لها الاحتكام

فخرج السلطان بدر مظهراً للإمتثال مضمراً للقتال .

السلطان يطلب الأمان :

قال الجرموزى : ولما انتهت الجنود الأمامية إلى حضرموت وصل خطاب من السلطان بدر بن عبد الله يطلب الأمان لنفسه . وأما إخوته وأولاده فقد تقدم أمانهم تكرما من غير شرط . وجعل عليهم الصفى ثقاة أصحابه يحفظونهم من معرة الجيش فلم يقرع لهم باب ولا لحقتهم معرة من أحد . ولما طلب السلطان الأمان قبض الصفى من ذخائره وبيت ماله ما رآه غنيمة . ثم وصل السلطان إلى الصفى يوم الجمعة لليلتين خلتا من شعبان فعظمه كثيراً وخلع عليه وعلى ولده ومن فى صحبته بكل بما يليق وأمره بالإنضمام إلى أولاده .

وفى رمضان طلب السلطان المذكور من الصفى أن يجهزه إلى الإمام فوجهه إليه فوصل فى ٢٨ رمضان فأمر الإمام ولده علياً أمير المؤمنين المتوكل على الله وأمر أهل حضرته بلقائه وتعظيمه وإعطائه ومن معه من الخلع السنية . والخيل النجيبة المحلية والنقود الوافرة والضيافات الهنية . وأفرغ له داراً وأجرى عليه وعلى أصحابه النفقات الواسعة والنعم المتتابعة .

رجوع بدر إلى حضرموت ووفاته .

واشتاق بدر بن عبد الله إلى وطنه فى ولاية ابن عمه السلطان محمد بن بدر فاستاذن من الإمام فى العودة إلى سيون فعاد وأقام بها حتى توفى سنة ١٠٧٥ هـ رحمة الله عليه وترك من الأولاد عبد الله وعليا وجعفرا .

٢٣ — الأمير طالب بن عبد الله

هو طالب بن عبد الله بن عمر بن بدر أبى طويرق كان أميراً على الشحر ومحبوبا جداً من أهلها . ولما ورد إليها السلطان على بن بدر بن عمر ليتولاها بنظر والده مستصحبا معه الفقيه محمد السيرانى لم يرض أهل الشحر بذلك فثاروا وثار معهم الحموم . ولكن السيرانى قبض بالحزم والجزم وأخضع البلاد أما الحموم فقد ذاق منهم الأمرين .

وخرج رجل من عسكر السيرانى إلى تبالة ليشترى شيئاً فقتله الحموم . وخرج صاحباه يطلبانه فقتلا أيضاً . وخرج غيرهم فعثروا على القتلى فدفنوهم وعادوا . والحموم ثائرون يقطعون السبيل ويروعون المارة إلى أن تغلب عليهم السيرانى بالقوة فأخضعهم . أما الأمير طالب فقد اعتزل الولاية حتى مات رحمة الله تعالى عليه .

٢٤ — الأمير جعفر بن عبد الله

هو جعفر بن عبد الله بن عمر بن بدر أبى طويرق كان قبل حدوث فتنة الزيدية قد حبسه عمه بدر بن عمر فى حصن تريس .

ولما تولى السلطنة أخوه بدر بن عبد الله أطلقه من حبس تريس ، وولاه ظفار ، ولما انتزعها منه الإمام لبدر بن عمر ثارت حفيظته وصار منه ما صار من الغدر بعمه والاستيلاء ثانية على ظفار كما مر .

٢٥ — الأمير على بن عبد الله

هو على بن عبد الله بن عمر بن بدر أبى طويرق كان قد قدم على الأمام قبل أخيه بدر فأقام عنده مبجلا . وهو جد آل عمر بن جعفر بن على وآل على ابن جعفر أهل العجلانية وحورة وحاجز وآل محسن بن عمر آل بحيرة .

٢٦ ـ السلطان محمد المردوف

هو السلطان محمد بن بدر بن عمر بن بدر أبي طويرق الملقب بالمردوف خلف أباه بحضرموت عند ما توجه إلى الحرمين . ثم تولى السلطنة بعد وفاة والده بأمر الإمام اسمعيل سنة ١٠٧٣ هـ وكان محمد المردوف هذا حازما صارما شديد الوطأة على العشائر المتسلحة . مغرما بأنصاف المظلوم وأذلال الظالمة ويظهر أنه كان يضمر البغضاء والحقد للشنافرة لقيامهم مع السلطان بدر ابن عبد الله ضد أبيه . فقد أعمل فيهم بطشه وتنكيله بأقل حق وأدنى سبيل . ويقول التاريخ الحديث أنه أخذ منهم زكاة أموالهم حتما وأنه نزع ما لديهم من شوكة حتى ألحقهم بمستوى العزل من السلاح ولم يستطع منهم أحد أن يرفع رأسه .

عقله وحكمته :

ومع ذلك فالمردوف عظيم العقل . وافر الحكمة . أمضى مدة ولايته فى هدوء وأمن وسلم ومداراة لبنى عمومته . ولم يثر السلطان حسن إلا بعد وفاة المردوف . ولم تنتقض عليه بلدة ولا تذمرت منه بقعة . ولم يك لصوقاً بالإمام ولا نفوراً عنه . ولم يك مقامه بين يافع ذات الحول والطول كمقام ذلك الخليفة بين وصيف وبغا بل درى الدراية التامة من أين تؤكل الكتف غير أن أيامه لسوء الحظ لم تطل ولم تتسع لتنفيذ ما يرمى إليه من الخطط والغايات .

حسن نيته :

ولم يكن السلطان محمد المردوف من أولئك الفريق الذين يرون أن قوة العقيدة فى التبرك بأولياء الله ومحبيه وحسن النية فيهم هما من نتائج الخبال فى العقل . والضعف فى الرأى والقصور فى العلم . كلا بل كان كثيراً ما يغشاهم فى زواياهم ، ويستضىء بآرائهم واشاراتهم ، ويستمد منهم بركاتهم ودعواتهم وقد اتصل بعدد من كبار صالحى ذلك العصر . والتزم معهم حسن الأدب ، وكمال الحشمة رغماً عن سلطانه وجبروته .

قصته مع الحبيب عمر العطاس :

صعد السلطان محمد بن بدر إلى وادى عمد ومر على الحبيب عمر العطاس العلوى بحريضة زائراً له وحده ومعه شخص واحد أو إثنان . أما حاشيته فعبرها طريق زاهر . ولما وصلوا إلى بيت السيد عمر وكان وقت غداء ولم يكن مع السيد شيء من المآكل فى بيته إلا الحتى وهو دقيق النبق فقال للسلطان بعد أن أمر أن تعمل له قهوة قشر وسكر معنا لكم غداء . الموجود . فقال السلطان : هاتوه . فقرب ذلك إليهم ، فحصلت للسلطان نية حسنة فى أكل ذلك الحتى ونوى أنه سيكون دواء له من علة كانت فى باطنه شديدة لم يدرك لها دواء . ولما فرغ من أكله أتاه على بن خولان السعدى وقال للسيد : يا سيدى معنا للسلطان غداء إذا أشرتم عليه يمر ببيتنا فقال السيد نعم قم يا سلطان أجبر خاطر على بن خولان . وكان قد استعد لهم بغداء كبش وبر . فقال للسلطان لا والله لا يدخل على عيشكم فى بطنى عيش أبداً . فقا له : لا بد أن تجبروا خاطر على بن خولان ولو بدحق البيت فعبروا إلى بيته . وجلس السلطان ولم يأكل شيئاً بل جلس عندهم حتى فرغوا من الأكل ثم سار إلى زاهر وأمسى بها ولم يأكل شيئاً أبداً . وآلى على نفسه أن لايدخل بطنه شيء ما دام ذلك الحتى فيه . فلما وصلوا بلدة عتق خرج من باطنه شيء هائل من لحم ودم عبيط كثير جداً . وشفى من العلة التى كان يشتكيها من قبل .

ومكث السلطان محمد فى السلطنة سبع سنوات وتوفاه الله سنة ١٠٨٠ هـ تغمده الله برحمته .

٢٧ ـ السلطان عيسى بن بدر

هو عيسى بن بدر بن عمر بن بدر أبى طويرق . تولى السلطنة بعد أخيه محمد المردوف . وهو جد آل عيسى بن بدر . ولم يمكث فى الولاية سوى سنة واحدة ومات رحمه الله سنة ١٠٨١ هـ .

٢٨ ـ السطان على بن بدر

السلطان على بن بدر بن عمر بن بدر أبى طويرق تولى بعد أخيه عيسى بن بدر بأمر الإمام . وخرج من اليمن إلى حضر موت وبصحبته سالم بن محمد

ابن ناصر بن وثاب . رجل تصدر الدولة عن رأيه وبمشورته ، وتهابه ، وله فهم خارق ونظر فى سياسة القبائل ، وتقريبهم إلى السلطان لينفعوه ويسلم الناس من شرهم . وقد وقعت له مع الدول المعاصرة له وقائع كثيرة . وحضر قتلة الشهيد الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن العمودى فى مصنعة صيف وخرج بنفسه وكاد يموت .

عجز السلطان السياسى :

وتنقص السلطان على بن بدر الكياسة فى الآراء السياسية فهو مع شفقته على الرعية . وحبه لها كثيراً مايفشل فى المجارى السياسية ، ويعجز عن معالجة مشاكلها رغماً عما يمده به ابن وثاب أولا والسيرانى ثانياً من الارشادات التى يضرب بها عرض الحائط .

حملته الفاشلة على القرا :

كان القرا فى ظفار تتغلب على طباعهم حرية البداوة وكانوا غير خاضعين تماماً لسلطة ظفار . فكان ولاة ظفار كثيراً مايصرفون النظر عن بعض تمردهم ويلجأون إلى مداراتهم والتلطف بهم .

ولكن السلطان على بن بدر أراد إخضاعهم وقهرهم وإذلالهم . فلم يسعده الحظ بما أراد . وحدثت مصادمات عادت الدائرة فيها عليه واضطر إلى طلب النجدات والغوث . وأخيراً صالحهم على مافى تمنياتهم . ولم يستقر لولاة آل كثير بعد ذلك قدم فى ظفار .

بينه وبين السلطان حسن :

كان السلطان حسن بن عبد الله بن عمر متولياً على الشحر بأمر الإمام . فنزعت نفسه إلى الاستقلال ، وخلع طاعة الإمام . فتوجه إليه السلطان على من حضر موت بجيش كثيف وهجم على الشحر براً . وأخرج منها حسناً كما سيأتى خبره وبقى الاسم للامام .

ملكته فى قرض الشعر :

وللسلطان على ملكة قوية فى قرض الشعر الحميني وهو الشعر الجارى باللغة الدارجة على أوزان غير أوزان الخليل . وقد تلاعبت أيدى الضياع — كما

يقال — بالكثير من شعره . ويؤسفنا أن لاننشد قراءنا من شعره سوى أربعة أبيات أبقتهما لنا الذاكرة الخوانة من افتتاح قصيدة له حماسية . قال :

يقول أبو عيسى كريم الليلة البارق يلوح
يلوح من فوق المصبح لى على وادى شحوح
بيت يخيله القحوم النمر عساف الميوح
على بن البدر المعيا مروى أذ لاق الرموح

إعادة راتب الحداد :

كنا أشرنا إلى أن الزيدية منعوا قراءة راتب القطب الحداد فى المساجد وبقى ممنوعاً حتى أعاد قراءته السلطان على .

وفاته :

توفى السلطان على بن بدر ببندر الشحر سنة ١١٠٧ هـ ألف ومائة وسبع ودفن بمقبرته فيها رحمة الله تعالى عليه .

٢٩ — السلطان حسن بن عبد الله

السلطان حسن بن عبد الله بن عمر بن بدر أبى طويرق . سامى الهمة ، جليل القدر . من نوابغ أولاد عبد الله بن عمر . كان عاملا للامام على الشحر سنة ١٠٩٣ هـ . ثم خرج على الإمام فنهض واستقل بالشئون ، وتابعه الناس على نهوضه فبث فيهم روح العصبية الوطنية والمذهبية ولكن الإمام جهز إليه علياً بن بدر بن عمر . فأقبل إليه بجيوش كثيفة إلى بندر الشحر وأخرجه منها وشتت شمله . غير أن مبدأه الحر شاع وذاع ؛ وقبلته الطباع ؛ واضمحلت سلطة الإمام من حضر موت والشحر وظفار شيئاً فشيئاً . حتى لم يبق له نفوذ فى عزل ولا ولاية ، ولم يبق له سوى الخطبة باسمه فى جميع الجوامع . وأصبح الناس بحضر موت يجاملون من يرد إليهم من رسل الإمام وسفرائه من دون أن ينفذوا أمره فى تولية أو عزل . ويميل أكثر الناس إلى يافع وإلى من يرد منهم .

٣٠ – السلطان بدر بن محمد المردوف

السلطان بدر بن محمد المردوف ابن بدر بن عمر بن بدر أبى طويرق . كانت ولايته بعد السلطان على بن بدر التاسع والعشرين غير أن أيامه كانت أيام محنة عصبية ودسائس طوائفية . وقد تغلبت السلطة اليافعية على الدولة الكثيرية الإمامية . ولم يبق مع السلطان قوة غير قوة يافع التى هو نفسه تحت إشارتها . وانتقضت البلاد كلها على السلطان بدر وظهر من بنى عمومته آل على ابن عبد الله من يناويه ويعترض شجا فى حلقه . وحفت به النوازل من كل ناحية فرأى أن يستجلب أيضا أقواما من جبل يافع يستعين بهم على تذليل المناوئين على حد قول النابغة .

وكأساً شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها

انقسام الدهماء :

وكانت الدهماء فى ذلك العصر المؤسف منقسمة سياسياً ومذهبياً فمن الناس من يجنح إلى الزيدية وهم أتباع آل على بن عبد الله الذين يفضلون سلطة الأئمة على سلطة يافع الشوافع التى يعضدها السلطان بدر بن محمد وتعضده .

آل الشيخ أبى بكر ويافع :

والاتصال الروحى بين يافع والسادة آل الشيخ أبى بكر بن سالم العلويين لا ينكره أحد منذ عصر الشيخ الإمام العلامة أبى بكر بن سالم نفع الله به حتى الآن .

وفى تلك الأيام ، أيام تنازع السلطتين كان للسادة آل الشيخ أبى بكر مواقف عظيمة ذات بال فى تهدئة الهياج . وإصلاح الأحوال . لنفوذهم القوى على اليوافع . ودخلت سنة ١١١٣ هـ وحضرموت تموج موجا بالأحقاد والأضغان بين الزيديين واليافعين . ووصل فى تلك الآونة الشيخ الشجاع عمر بن صالح ابن هرهرة إلى حضرموت لزيارة الحبيب على بن أحمد بن الشيخ أبى بكر بن سالم ومعه نحو الخمسين شخصا من يافع . ومروا بشبام حيث أقاموا بها يوما واحدا تناولوا فيها طعام الغداء ، ثم رحلوا منها إلى الغرفة وباتوا بها فى دار

المنصب الشيخ أحمد بن عمر باعبـاد . وفى الصباح بكروا إلى سيون وتلقاهم السلطان عيسى بن بدر بن على بن عبد الله الثانى والثلاثون الآتى ذكره لاعيسى ابن بدر السابع والعشرون ورحب بهم . وكان الاحتفاء والاحتفال بأولئك الأضياف بالغا أقصاه . فأقاموا بسيون أياما كاما أعياد ومسرات .

ثم توجهوا إلى تريم وبها السلطان بدر بن محمـد المردوف فتلقاهم بموكب عظيم دقت فيه الطبول . والطيـالة الرسمية . وخرج للقائهم من بتريم من يافع ينشدون أراجيزهم ويطلقون بنادقهم فى الفضاء . وقصدوا منزل السلطان أولا ثم حولهم إلى بيت خصصه لهم . ومن تريم توجهوا فى اليوم الثانى إلى عينات ، وهناك ألقوا عصا تسيارهم ، وأقاموا بها مدة طويلة .

الشيخ عمر بن هرهرة :

والشيخ عمر بن صالح هذا ، ويقال له السلطان عمر . هو عمر بن صالح بن أحمـد بن على بن هرهرة من أشرف بيوتات يافع ، وأعزها مكانة ، وأعلاها محتدا ، ومن سلالة مجد وصلاح ، وتقوى وأدب . قال معاصرنا الأمير أحمد فضل العبدلى فى كتابه هدية الزمن : يحكى أن العلامة ولى الله السيد الشيخ أبا بكر بن سـالم مولى عينات قبل أن تدركه الوفاة سنة ٩٩٢ هجرية نصب العلامة الشيخ على هرهرة مصلحاً ومرشدا دينيا فى يافع العليا ثم لما مات الشيخ على خلفه ابنه الصالح أحمد بن على ، ولما توفى أحمد بن على خلفه ابنه الشيخ الصالح صالح بن أحمد إلى آخر ما قال .

زيارة روحية سياسية :

ولم تك زيارة السلطان عمر بن صالح لحضرة الشيخ أبى بكر بن سالم هى زيارة روحية خالصة كلا بل أن الحالة السياسية بحضرموت إذ ذاك والذحول والأضغان المتأججة بين بنى مالك والزيدية ، وانتصار أولئك على هؤلاء فى الغرب كل هذا حمل يافع على مضاعفة جهودهم فى تعقب الأماميين فى كل بقعة خلق لهم فيها نفوذ .

فكان لهذه الزيارة الهامة أثرها الجليل فى زيادة الدعاية اليافعية وتهافت السلاطين المتناحرين على جلب عسكر من يافع لتعزيز مبادئهم والفتك بخصومهم .

حتى أن السلطان عمر بن جعفر الثالث والثلاثون الآتى ذكره وهو أكبر أنصار المبدأ الإمامى على الإطلاق لم يسعه إلا أن يستعين بالحبيب على بن أحمد ابن الشيخ أبى بكر بن سالم على جلب عسكر له من يافع أيضاً .

شخوص بدر إلى يافع :

وعظم الأمر على السلطان بدر بن محمد المردوف إذ رأى النوائب محيطة به من كل جانب . فصمم على الشخوص إلى جبل يافع لجلب قوة كبيرة من هناك يخضع بها الأقليم بأسره ولا يبعد أن يكون قد استصحب معه مكتوباً من الحبيب على بمثابة توصية له . فقد قال أحمد فضل فى الهدية : أن يافع إنما ساروا إلى حضرموت لإنقاذ من بها من أهل السنة (أى الشوافع) عند ما استصرخهم ولى الله السيد على بن أحمد بن على بن سالم بن أحمد بن حسين بن الشيخ أبى بكر بن سالم مولى عينات عام ١١١٦ هجرية لمحاربة السلطان عمر بن جعفر الكثيرى الذى انتحل مذهب الزيدية وعظم شعائرهم فى حضرموت وأرسل بدر بن طويرق (أى بدر بن محمد من سلالة أبى طويرق) بعقائر إلى يافع ، فتوجه معه السلطان عمر بن صالح شقيق السلطان ناصر بستة آلاف مقاتل من يافع واستولى على جميع حضرموت . وأزال بدعة الكثيرى ، ورجع إلى يافع عام ١١١٩ هجرية حتى قال : وما زال فى حضرموت أقوام من يافع تحت حكم السلطان عمر بن عوض القعيطى اليافعى وأهل حضرموت الآن يذكرون قول شاعرهم :

رامى ضرب من حنة المدافع كله السبب من بدر جاب يافع . ه

والشعر المذكور هو للشيخ سعد بامذحج وسيأتى ذكره فيما بعد لهذه المناسبة .

رجوعه إلى حضرموت بجيش منهم :

فى ثلاث خلت من ذى الحجة سنة ١١١٥ وصل مكتب (رسول مستعجل) من صالح بن منصر العولقى أعلاماً بوصول السلطان بدر بن محمد وبصحبته يافع . وصلوا إلى عتق . فاضطربت البلاد . وتطاولت الأعناق لتلقى الأخبار ، وذهب بعض الأمراء إلى عينات لأمور سرية .

وجمع السلطان عمر بن جعفر عساكره يوم الجمعة وتكلم فيهم قائلا — :

أن عمر بن صالح ويافع ومعهم الصنو بدر بن محمد واصلون . ونحن سنلاقيهم ونصدهم سواء جاءوا لخير أو لشر . وأجابته العساكر بأنهم فى الطاعة . ثم وزع المراكيب من جمال وخيل على العسكر . وحضرت الطبول ودقت بعد فجر السبت . وزحف الجيش بعد طلوع الشمس يرأسه عمر بن على بن عبد الله . ومعه فرقة الفرسان وجماعة من تميم المجاورين لتريم ، وتلاحقت العساكر ، وتواعدوا إلى شبام .

وفى اليوم السادس عشر من ذي الحجة سارت الحملة من شبام بعد صلاة الصبح وفيها غالب العسكر الرسميين ؛ وغالب الشنافر ؛ ومن تطوع من بنى تميم ؛ وأشراف الجوف ؛ ومع الحملة ياقوت عبد الإمام يرأس الجميع عمر بن على وتوجه أيضاً السلطان عمر بن جعفر نفسه يحيط به أعيان العسكر ورؤساء القبائل وكان فى ضميره أن يقيم صلحاً بينه وبين العمودى ويستجلبه إلى نصرته أو على الأقل إلى الحياد . ولكنه لم ينجح فى شىء من ذلك — وتواردت الأخبار إلى مسفلة حضرموت بوصول السلطان عمر ومن معه إلى بحران . وأن أخاه محمد أو نجله قد وصلا إلى عقبة حول الهجرين تجاه محطة يافع والسلطان محمد .

وبعد أيام جاء فارس من الشنافر يخبر أن جيش السلطان عمر بن جعفر التقى مع جيش بدر بن محمد والتحم الحرب بين الفريقين واشتد إطلاق الرصاص . واستحر القتل فى أصحاب السلطان عمر ، وعددهم ألف وخمسمائة راجل ومائة فارس فقط . ولما رأوا أن رجال يافع يتغلبون عليهم انهزموا ؛ وفر السلطان عمر بن جعفر عابراً الطريق السفلى تحت مدينة سيون هو ومن معه وتناولوا عشاءهم بتاربه ، ونفذوا ليلا إلى الجانب الشرقى . وبعد هذا الانكسار أمر الأميران منصور ومائق بايعاز من يافع والسلطان محمد بأن ينادى فى طول حضرموت وعرضها بأن الناس فى أمان الله ثم فى أمان الشيخ أبى بكر بن سالم والسلطان بدر بن محمد . فهدأ الناس واطمأنوا .

استيلاؤه على حضرموت :

ولم تدخل سنة ١١١٧ إلا وقد استولى بدر بهم على جميع حضرموت غربا وشرقا . غير أنهم استبدوا بالحكم دونه ولم يستطع كبح جماحهم فى شىء .

ولم تستفد حضرموت شيئاً من استيلائهم عليها لا من حيث الأمن ولا من حيث العدل فقد ظلت البلاد سائرة فى بحر من الفوضى على غير هدى . . والمناوشات بين الكثيريين واليافعيين يتلو بعضها بعضا وبنو جعفر بن على لم تخبأ لهم نار فى معاكسة يافع ومحاولة القضاء على سلطتهم ولكنها نار ضئيلة للغاية وحركة لم تكن إلا حركة مذبوح .

طغيان الجور :

وفى سنة ١١١٩ هـ طغى طوفان الجور والضرر من طغام العسكر وسفهائهم فى تريم . ولم يقدر عقلاء يافع وسراتها على صد هذا الطغيان . وتعب السلطان بدر بن محمد من سوء الحال وصمت أذناه من صراخ الصارخين ، ولم يكن يستطيع العمل على ما يخفف هذه الويلات والمفاسد . وذهب إلى عينات مستغيثا بالحبيب على بن أحمد بن الشيخ أبى بكر فكتب هذا إلى كافة يافع بتريم براءة منهم أن لم يرتدعوا عن ما ضج الناس منه وأن هم لم يمتثلوا أمر السلطان بدر . وقرئت البراءة فى جمع عظيم من عقلائهم وسفهائهم وتعددت منهم الاجتماعات . ثم كتبوا بينهم عهدا على عدم الأضرار بالناس وعلى رد الأمر إلى السلطان بدر ، وأجابوا الحبيب علياً بما يطمئن باله .

شعر السوينى :

الشيخ سعد بن عبد الله مذحج الملقب بالسوينى وهو الذى تمثل آنفاً أحمد فضل ببيته : راسى ضرب الخ . صالح من كبار الصالحين . وإمام من الأئمة المرشدين . عاصر السقاف ثم ابنه السكران . ثم ابنه العيدروس . ثم إبنه العدنى وله معهم وقائع وغرائب تجدها فى محالها من كتب التراجم . وله شعر غريب فى بابه يرتجزه الرجل ارتجازاً على الفن الحميني إلا أنه يحتوى على معارف ورموز وملاحم ومكاشفات يندر وجودها فى شعر غيره .

وقد نقل الإمام ابن ظهيره : إن لله كنزاً تحت العرش لا يطلع عليه نبى مرسل ولا ملك مقرب يجريه على ألسن الشعراء . أهل الخير للخير ، وأهل الشر للشر .

والسوينى من رجال القرن الثامن ولكن له تنبؤات كثيرة فى رجزه عن

الملاحم التى تقع بعده سنأتى على بعضها فى محلها . ومما جاء من تنبؤه فيما نحن بصدده قوله وهو أيضاً دليل على ما عنده من التحيز الوطنى والشعبى :

رامى ضرب من حنة المدافع لاحل لبـــدر يوم جابيافع
وجا بيحيـاهم وجا بشـاجع ذو لا لغتهم تشبه الضفادع
فى وقتهم صار الذليـل شاجع

كأنه يشير إلى شاجع بن أبى بكر بن هرهرة . وإلى يحيى بن عمر بن هرهرة وقوله :

ترى السحاب فوق النعير طلع · تريم ماحد منهـا تورع
وعاد يافع ينقلب يفعفع

وقوله :

حميّد البارح سريت مسرى عارضت يافع نافذين حدرا
علقت أنا فى شوك ماتبرا

وفاة السلطان بدر :

توفى السلطان بدر بن محمد المردوف حوالى سنة ١١٢٠ . وترك ولده محمداً سلطاناً صورياً مغلول الأيدى عن كل أمر ونهى وتوقيع . ومنها انتزعت السلطنة من آل بدر بن عمر وبقى أثرها الأسمى فى آل علي بن عبد الله كما سيأتى .

٣١ ــ السلطان بدر بن على بن عبد الله

هو بدر بن على بن عبد الله بن عمر بن بدر أبى طويرق . من المتحمسين الهائجين ضد سيطرة يافع والمشائعين لابن أخيه السلطان عمر بن جعفر الذى يرى أنه لا يهدأ له بال ، ولا يقر له قرار مالم يقضى على السلطة اليافعية من جميع وجوهها .

٣٢ ــ السلطان عيسى بن بدر

هو عيسى بن بدر بن على بن عبد الله بن عمر بن بدر أبى طويرق .

سلطان عاثر المجد ، سيء الحظ ، جاء فى وقت عصيب ، يحتاج إلى تدبير أعمق من تدبيره ، وسياسة أحزم من سياسته . وإرادة أقوى من إرادته ، جاء فى وقت تتصادم فيه القوى الجبارة ، وتتطاحن به الفوضى اليافعية مع الفوضى الشنفرية ، وتتلاعب فيه أساليب الداهيتين بدر بن محمد . وعمر بن جعفر ، بالعقليات البارزة فى ذلك العصر . وتتحكم فى الاتجاهات العسكرية تحكماً ليس بعده غاية .

جاء عيسى بن بدر والأول يستنجد بيافع والثانى يستغيث بالزيدية . والعمودى يتحرش بكل سلطان ينتسب إلى الدولة الكثيرية . والبلاد تتماوج بالمظالم والمفاسد تماوجاً يضيق منه الخناق — وتتفطر منه القلوب — والسلطان عيسى بن بدر بسيون يحكم حكما غير قائم على أساس متين من القوة وقد كان لقيامه بإكرام الشيخ عمر بن صالح بن هرهرة اليافعى الذى ذكرنا زيارته لحضرموت أيام السلطان بدر المردوف أثر سيء لدى سفهاء الشنافر . زادهم مقتاً له وبعداً عنه وجرأة عليه حتى أخذوا يكيدون له جهاراً . ويتخطفون من يخرج من أهالى سيون بدون خفير منهم « أى من الشنافر » .

السلطان عيسى والعمودى :

وأراد السلطان عيسى بن بدر أن يصلح شيئا من مركزه ، ويمحو من الأذهان ما لعله علق بها من أثر تلك الزيارة التى لم ترق لدى رجال الشنافر . فتصدى لمحاربة الشيخ محمد بن مطهر العمودى الذى لم يزل يتحكك بالمناطق الكثيرية ، ويفتك بمن يقاومه . وصادف فى سنة ١١١٥هـ أن أغار على القزة وهى من مناطق نفوذ الكثيرى . وبلغ خبره إلى السلطان عيسى بن بدر فجمع عساكره وجهز على العمودى تحت قيادة نجله الأمير جعفر . ولما رأى العمودى الجيش تقهقر وترك له كمينا وانطلقت عساكر الدولة تجرى وراء المتقهقرين وإذا بالكمين يركب أكتافهم من ورائهم فقتل فيهم مقتلة عظيمة ، وانسحب الأمير جعفر بالبقية إلى الهجرين وأرسل إلى أبيه بالخبر ، وبطلب بقية العسكر . ولكن الشيخ سعيد بن عبد الله باوزير . تداخل فى الأمر . . وأقام صلحا بين الطرفين أربعة أشهر . قال السيد بافقيه فى تعليقاته : وتسمى هذه الواقعة بوقعة مسره . قال الراجز :

يامن بغا العز يقعد تحت عقبة مسه سبعه وميتين غلبوا سبع تعشر ميه

بين عيسى وعمر :

وفى السنة نفسها فترت بينه وبين ابن أخيه عمر بن جعفر . الآتى ذكره العلاقات وتوترت . فتوجه السلطان عيسى غاضبا إلى عينات بجوار السادة آل الشيخ أبى بكر وأخذ معه أولاده وخواصه واقام هناك نحو الشهر . ثم سعى المصلحون بينهما . وقدم السلطان عمر إلى عينات وبمعيته أربعمائة راجل وخمسون فارسا . ونزل دار السيد الحبيب على وتناولوا عشاءهم عنده . وفى غدها تناولوا غداءهم عند السيد سالم بن عمر بن الحامد . ثم تعاهدوا وتحالفوا « تبادوا » أى عمر وعيسى المذكوران على ضريح أبى بكر بن سالم بأن لايبدو من كل منهما على الآخر أذى .

ثم قصد السلطان عمر إلى سيون ونفذ السلطان عيسى ومعه خدمه وحشمه وأولاده وحاشيته إلى تريم . ولم تثمر هذه المعاهدة إذ غادر عيسى البلاد الحضرمية غاضباً سنة ١١١٦ هـ إلى اليمن ، وترك الميدان للعاهلين بدر بن محمد وعمر بن جعفر وكانت وفاته بالمخا رحمه الله تعالى .

٣٣ ـ السلطان عمر بن جعفر

هو عمر بن جعفر بن على بن عبدالله بن عمر بن بدر أبى طويرق . كله شهم وأباء وحماس ، نشأ منذ نعومه أظفاره هائجا ساخطا على المتغلبين على دولة آبائه وأجداده ، ناقما على أولئك الذين يوالونهم من بنى بدر بن عمر ، ويرمون بأنفسهم فى أحضانهم يتلاعبون بهم كما ينقل اللاعبون بيادق الشطرنج .

وشب عمر بن جعفر ، وشبت ضغائنه وأحقاده ، ولم يلبث أن كشر عن أنيابه ، وأخذ يركب الصعب والذلول ويبذل كل مجهود فى استرجاع تراث سلفه ومحو تلك السلطة الغاصبة فى نظره . غير أنها صخرة الوادى لا تزاحم بالمناكب ولا تدفع بالأكف . ولا يزحزحها إلا تطاول الأزمنة وتتابع الفيضانات . أو قوة طاغية تكتسح كل ما على الحزن والسهل من شاخص .

تقربه من الإمام :

واقتضت سياسة عمر بن جعفر أن يدنو من أئمة صنعاء ويستنجد بهم ويجلب منهم جيشا زيديا يكافح اليوافع مكافحة صادقة لما بينه وبينهم من الضغائن والثارات ، فسلك مسلك بدر بن عمر وأوغل فى الموالاة حتى أشيع عنه اعتناقه للمذهب الزيدى الأمر الذى أغضب عليه كثيراً من العامة .

ولم تكن الظروف والأوساط التى جرى فيها بدر بن عمر هى هذه الظروف والأوساط المحيطة بعمر بن جعفر حتى يظفر هذا بما ظفر به ذاك . ولكن السلطان عمر جاء فى وقت كانت فيه الدولة الإمامية تتلكأ فى محيط مكفهر قاتم ، وجو ملبد بالغيوم السياسية التى تنذر بالخطر الداثم ، فلم يتح له أن يتمتع بما تمتع به سلفه الذى قرع باب اليمن والإمامة فى أوج شرفها واكتمال إقبالها .

عينات ملجأ السلاطين :

وعينات حوطة الشيخ أبى بكر بن سالم العلوى أصبحت كعبة مقصودة للمفاوضات السياسية ، وملجأ هاماً يلجأ إليه السلاطين والأمراء والعسكر وغيرهم عند ما يتورط أحدهم فى مشكلة يعجز عن الخروج منها . ونفوذ السادة آل الشيخ أبى بكر على يافع هو نفوذ عظيم ، لا يستهان به . استغله السادة المذكورون فى تسوية المشاكل وإصلاح الأحوال وإغاثة الملهوفين فكثر الواردون والصادرون إلى عينات من جميع الطبقات إما للاستشارة أو للاستعانة .

حياد السادة آل الشيخ أبى بكر :

ومع المحبة المتمكنة ، والاتصال الروحى الأكيد بين السادة آل الشيخ أبى بكر ويافع فإن ذلك لم يحل دون فضيلة الانصاف والحياد التى التزمها السادة المذكورون فى إدارة دفة الإصلاح . ولا دون بذل النصيحة والإرشادات والمساعدات لكل من الأحزاب المتنازعة على السواء وكثيرا ما كانوا يتوسطون بتسديد القضايا بين السلاطين المناوئين للمبادىء اليافعية ، وكثيرا ما يستعين بهم هؤلاء فى جلب قوة لهم من بلاد يافع ليتمكنوا بها من تقوية السلطة الكثيرية . فلم يتأخر السادة عن إجابة ملتمسهم حفظا للحياد ونظرا للمصلحة العامة .

وصول شاجع بن هرهرة :

قالوا : وفى سنة ١١١٣ هـ وصل مكتب (رسول مستعجل) من شاجع بن أبى بكر بن هرهرة أعلاما بوصوله إلى عتق . ومحتوى كتابه أنه إنما جاء إلى هذه الأطراف لزيارة الحبيب على بن أحمد حماه الله ولأن الحبيب المذكور مع السلطان عمر كتبا له يستدعيانه مع من يختاره من يافع ليجعلوهم فى الجندية وأنه قد استصحب معه ثلاثمائة شخص .

ولم يلبث أن وصل ومن معه إلى عينات وجاء السلطان إليها وحضر الشيخ يحيى بن هرهرة ، وجماعة من العسكر والوجهاء ولما انتظم المجلس بحضرة الحبيب تذمر السلطان ، وشكى الثقل من مصاريف العسكر ، وحاول أن يعتذر من قبول شاجع ومن معه فأظهر هذا كتابين أحدهما من الحبيب والآخر من السلطان يطلبان منه أن يجلب عسكراً من يافع .

وأراد السلطان أن يقتصر على البعض ولكن شاجعا رفض ذلك وقال : إما أن تقلهم كلهم ، وإلا رجعنا كلنا . وعظم الأمر على السلطان . وبعد الأخذ والرد حكم السادة بأن يرجع بعضهم بعد أن يكسوهم السلطان ، ويحسن إليهم ويدفع إليهم مصاريفهم وهديتهم لأهلهم ، ويقلم الباقين وهم الأكثر . وتكون قامتهم قرشين ومدين من الذرة .

سفهاء العسكر :

ارتفع الضجيج بالشكوى من سفهاء العسكر من كل ناحية ، وتحول كثير من رعايا سيون وتريم وشبام وتريس والغرفة ومريمة إلى عينات وخرج الأمر عن اختيار عقلاء يافع الذين وجوا حائرين ، ولم يستطيعوا أن يصلوا إلى أية نقطة فى إصلاح الحالة . وأقبل جماعة من تجار هذه البلدان من مسلمين وبانيان[1] بل ومن يافع أنفسهم إلى عينات للنظر مع المنصب فى هذه الحال . والسلطان عمر بن جعفر فى مقدمة الناقمين الذين يستغلون مثل هذه المواقف لإثارة غضب الجمهور : وتلطيخ سمعة يافع عموما بكل عيب ونقيصة .

وتألفت بعينات لجنة إصلاحية من السادة آل الشيخ أبى بكر غرضها حمل أولئك السفهاء على الارتداع عن ذلك العسف والجور الذى يضر بيافع عموما

(١) الهندوس .

قبل أن يضر بغيرهم . وتوجه الحبيب أحمد بن سالم وبمعيته جماعة إلى تريم . وتوجه الحبيب أحمد بن شيخ ومعه رفقة إلى سيون وشبام ومع كل منهما كتاب من المنصب الحبيب على بن أحمد إلى أمراء يافع وعقلائهم يشدد فيه النكير وينذر بسوء العاقبة إن لم يحصل الارتداع .

فتور العلاقات :

وحدث سوء تفاهم بين السادة آل الشيخ أبى بكر والسلطان عمر بن جعفر . ولعل السبب فى ذلك هو أنه تسرب إلى خاطر السلطان شيء من الظنون السيئة ، والتهم السوداء بأن السادة المذكورين يرجحون مصلحة يافع على مصلحته ، وأنهم يكيدون له باطنا ، ويجاملونه ظاهرا . وربما بلغ المنصب شيء مما فاه به السلطان فى بعض المجالس فى هذه النقطة ، فقبض نفسه عنه وأحس السلطان بهذا فازداد بعدا ونفورا . ولكن الإمام الحداد نفع الله به لم يدع الداء يستشرى وهو يقف موقف المتفرج فسعى فى إزالة النفور بين الطرفين . وأشار على السلطان بالشخوص إلى عينات لزيارة المنصب . لا سيما والأرجافات بوصول السلطان بدر بن محمد المردوف مع يافع قد ملأت الأسماع فذهب إليها . ونحر تحت دار المنصب بدنة جريا على قاعدتهم فى إظهار الاحترام وصفاء القلب ونحر أخرى خارج قبة الشيخ أبى بكر . وصعد إلى دار المنصب فوجدها حافلة بالسادة الذين دعوا لحضور مجلس السلطان ولتناول الغداء وتم الاتفاق . وعادت الأمور إلى حالتها السابقة فى المودة والألفة وذلك غرة الحجة سنة ١١١٥ هـ .

اضطراب السلطان عمر :

يظهر لمن تأمل أحوال تلك الأيام أن السلطان عمر بن جعفر على كراهيته ليافع ومقته لهم ، وغيرته منهم ، يرى أن الظروف قد تجبره أحياناً لا على مجاملتهم ومسالمتهم فقط . بل وعلى استجلابهم إلى ناحيته ، واستخدامهم فى أغراضه ، ويظهر أن منصب عينات حريص كل الحرص على أن يتساهل السلطان عمر معهم . ويتصافى وإياهم . ولهذا تراه قد يشير على السلطان باشارات سلمية يود هذا لو أنه يتملص منها تبعاً لعاطفته وتفادياً من نقمة الرأى العام الناقم على السلوك اليافعى فيقدم على المسالمة أو المصادقة أقدام المضطر المجبور . ثم لا يلبث أن يعود إلى ما تمليه عليه غريزته .

وأسرع مفعول فعلت تغيراً تكلف شيء فى طباعك ضده

فيحدث للسلطان بذلك فى نفسه وفى أعماله اضطراب وارتباك عظيمان لايؤديانه إلى نهاية محدودة . وقد يستشير خلين أو ثلاثة من خول الأحزاب المتعاكسة فيشير عليه كل واحد برأى يخالف رأى الآخر على طول الخط ، فيزداد بذلك اضطراب السلطان وارتباكه .

عتب إمام :

وقد قرأت تانيباً قارصاً فى مكاتبة من أحد أئمة ذلك العصر من السادة العلويين للسلطان عمر بن جعفر . نقلته هنا ليعلم منه القارىء مبلغ تزاحم الآراء على خاطر السلطان .

قال ذلك الإمام فى أثناء مكاتبته — : « وما أشرنا به عليكم وهو الذى يظهر لنا فى هذه الساعة . فإن ظهر لكم الصلاح فى غيره فذاك ويفعل الله مايشاء ويحكم مايريد . ومهما كنتم إلا فى رأى آل فلان فيما تقدمون عليه وتحجمون عنه مع أنهم على مثل ماقد علمتم وعرفتم ، فلا صلاح ولا صواب . وقد تبين من أشوارهم وآرائهم غير مرة مالا يؤخذ به ، ولا يعتمد عليه . فإذا كان والى الأمر غير مستقل بتنفيذ الأمور . بل هو فى يد غيره كالعصى فى يد الضارب فلا كلام معه ولا نظر إليه . وهؤلاء كما عرفتم اليوم كذا ، وغداً كذا . إلى أن يوقعوكم وتوقعوا الناس فى أمر لايطاق من الفتنة وتشتت الكلمة فان ظاهر أحوالهم ليسوا لكم ولا معكم . وأنهم ضعفاء الآراء ، سفهاء الأحلام . إلى أن قال : ونحن إن شاء الله على قدم مما نشير به ، ونراه . وقد مارسنا الأيام وجربنا الأمور وعرفنا كل مايصلح كل أهل مرتبة فى مرتبتهم وما يحسن منهم الأخذ به .

بين آل بدر وآل عبد الله :

وفى سنة ١١١٩هـ تعاظمت الخصومة بين السلاطين آل بدر بن عمر ، ويرأسهم السلطان بدر بن محمد المردوف ؛ وبين آل عبد الله بن عمر ويرأسهم السلطان عمر بن جعفر . وتداخل يافع فى إصلاحهم ثم فوضوا الأمر لمنصب آل الشيخ أبى بكر وورد إلى عينات لاصلاح المتخاصمين الشيخ عمر بن صالح بن هرهرة وأحمد بن السلطان محمد ومعهما عدد وافر من يافع ، وفى اليوم التالى لحق بهم

السلطان بدر وورد أيضاً السلطان عمر بن جعفر وا كتظت عينات بالقوم .

واتفق السلطان عمر بالشيخ عمر بن صالح وهو أول اتفاق سلمى بينهما فقدم له السلطان هدية رأسين من الخيل الجياد وبندقتين محليات من خيرة البنادق ومائتى ريال ٢٠٠ فرانصه[1] وأعطى أخاه أبا بكر بن صالح دراهم غير معلومة . وبعد المفاوضات فى الاصلاح حكم ابن الشيخ أبى بكر بن سالم برأى المصلحين على أن يتولى عمر بن جعفر ظفار ويعزم إليها من طريق المشقاص وعلى أن من أراد من بقية آل عبد الله الصعود معه فليصعد ومن أراد البقاء بحضر موت فله كيلة يتناولها من الدولة كالعادة السابقة .

وتوجه السلطان عمر إلى المشقاص غير أنه شاع بين الناس أن بينه وبين عمه بدر بن على بن عبد الله الآتى ذكره مباطنة وتدابيراً تناقض ماصادقوا عليه ظاهراً . وقد ظهر فيما بعد صدق هذه الاشاعة .

السلطان عمر والعمودى :

كان الشيخ حسن بن مطهر بن عبد الله العمودى كثير التحكك بالهجرين وأحباطها . وفى سنة ١١٢٣هـ فى أواخر رمضان صال على تلك البلاد وما جاورها بأقوام كثيفة . فاستغاثوا بالسلطان عمر بن جعفر .

ولننقل هنا ما كتبه الحبيب على بن حسن العطاس العلوى فى هذه الواقعة حرفا بحرف . وهو قريب العهد وقريب المكان منها : قال : وصال الشيخ حسن بقوم كثير ووصل بقومه وحط بوادى المغبر تجاه رصعة باحميد جميع القوم . وأما الشيخ المذكور وأخدامه فحطوا تحت قلعة باحويرث فوق عتم الهجرين ثلاثة أيام .

وفى اليوم الرابع طلع بعض القوم المشكع وبعض القوم السير القبلى وهاشوا جميع البلاد ما خلوا لأهلها لا طعاما ولا تمرا ولا كساء ولا ماعوناً ولا خرش الحريم ولا نشرة ولا وقا ولا قليل ولا كثير حتى المخاوط والمسلات التى يخيطون بها الجشر والكتب والمصاحف . وبعد ذلك وصل من حضرموت السلطان المنصور المحروس بالله عمر بن السلطان جعفر بن السلطان على ومعه مائتان من يافع وقوم غيرهم ، ومعه أولاد السلطان عيسى بن السلطان بدر

(١) ريالات نمساوية (مارى تريزا) وهى متداولة حتى الآن .

وعارضوهم إلى قبلى شرج باصفر واستمر الحرب بينهم من طلوع الشمس إلى وقت الضحى ، وكان النصر من الله للسلطان عمر ومن معه من يافع . وانهزم قوم الشيخ ، وقتل منهم خلق كثير . من مشايخ سيبان وآل هبرى وغيرهم .

قال بعض أهل الهجرين أدمرونا وأدمروا بلادنا والوعد نحن وإياهم بين يدى الجبار وأقام السلطان مدة بالجدفرة وكان قصده المسير إلى دوعن وراء المنهزمين ولكن وصل عنده السيد الجليل الحسين بن عمر العطاس والشيخ على ابن الشيخ الولى سعيد باوزير وساروا إلى الشيخ حسن وانعقد الصلح ثلاثة شهور . والله يصلح من فى صلاحه صلاح المسلمين .

السلطان عمر يهاجم حضرموت بالعوالق :

وفى سنة ١١٢٥ هـ أقبل السلطان عمر بن جعفر إلى حضرموت ويصحبه السلطان صالح بن منصر العولقى ونحو ستمائة من العوالق وعبيدهم . وساعد السلطان عمر أيضاً حسن بن الهادى الواحدى ومعه نحو المائتين ولما وصلوا هيئن سعى السيد حسين بن عمر العطاس فى الصلح وتم على أن يافع عسكر السلطان وأن يخففوا عنه من مصاريفهم وعادت الأحزاب كل إلى أرضه .

نصائح العلويين له :

قلنا أن السلطان عمر بن جعفر ألد أعداء يافع ، ولم ير اليوافع بحضرموت بطلا عنيدا مثله غير أن الرجل قد يورط نفسه فيرد موارد ليس لها مصادر ، ويقع فى مشاكل لا يخلصه منها إلى ذوو المناصب والنفوذ من العلويين .

ويافع كانوا يرتضون به سلطانا لو أقبل إليهم مسالماً وتركهم فى أماراتهم وعسكريتهم ويرغبون فى أن يكونوا فى جانبه كما قد جرى له معهم فى الأحوال السابقة ، وقد نصحه الإمام الحداد وغيره ومجربو العلويين وخبراؤهم بأن يضع يده فى أيدى يافع ويتعاون وإياهم فى تدبير السلطنة وإصلاح شئونها . فكان مما كتبه إليه القطب الحداد جواباً عن كتاب ورد منه وهو بجهة المشقاص ينبئه فيه بما تواطأ عليه هو وعمه من الهجوم على تريم قوله : وما شرحتم فيه من الشأن الذى وقعت فيه المواطأة فهو سخنة عين ، وجسد بلا رأس . وقفا بلا وجه ولو أنك خرجت إلى الجهة وليس معك إلى عشرة

انفس لكان العسكر يقبلون منك ذلك ويسرهم ويكونون معك ولك على مثل الأحوال السابقة والآن حصلت فتون وحزون وأحقاد وأحن على غير طائل ولا نفع .

حصر يافع بتريم :

ولكن من ذا الذى يستطيع أن ينتزع ما يجيش بصدر هذا السلطان من الحقد المعمى المصم الذى جرى منه مجرى الدم فى شرايينه على هذه الطائفة المتسيطرة على تراث آبائه فصمم على تنفيذ مشروعه الخطير ، وهجم على تريم فى شهر ربيع الأول سنة ١١٣٠ واحتل قليلا من ديارها وحصر يافع فى حصونهم وصادر أموالهم وطلب من الأهالى ما هو مدخر عندهم من ذخائر وما تحت أيديهم من أموال يافع المحصورين وبقى الحال كذلك ، واشتدت الضائقة على الناس وعلى المحصورين بل وعلى الهاجم نفسه ، ولم تأت جمادى الأولى إلا والسلطان يتطلب الرأى من عقلاء السادة ، ويشير بطرف خفى إلى بغية التوسط ، فكان مما أجابه به الإمام الحداد قوله : وأما الرأى الذى ينبغى أن تأخذوا به ولعل يحصل فيه كل المطلوب أو بعضه فتنظر فان حصل سعى من أحدمن السادة وخصوصا من آل الشيخ أبى بكر من غدوة أو بعده فلا بأس وبعض الويل أهون من بعض ، وإن لم يحصل سعى فجدوا على حملة واحدة فذلك أمكن وأحسن واجعلوها على أرباع البلد أو أثلاثها ويكون بعض المضايقة بالليل أولى ، فإن القوم يرمون وهو قل ما يصيب بالليل ، وإن وقعت الحملة مرتين أوثلاثا أو أربعا فالإنسان يأخذ ويعطى ويصيب ويخطىء وهذا إن شاء الله مما يبيض الوجه عند القريب والبعيد وأما التفرق من غير أن تصيب من المحارب شيئا ففيه سواد الوجه وقبح الأحدوثة فى هذه الجهة وفى غيرها والحرب سجال والدهر دول والمشيئة لله والقدرة الظاهرة والقوة الغالبة وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم .

يرى الجبناء أن الجبن حزم وتلك خديعة الطبع اللئيم

انتهى كلام الحداد .

الحبيب طاهر بن محمد والسلطان :

كان الحبيب طاهر بن محمد بن هاشم العلووي ممن يوالى الكتابات والأرشادات للسلطان عمر بن جعفر . . ولما أن أسند السلطان أموره إلى من لا خلاق له من جهلة الأجناد وتولى هؤلاء حجابه والمفاوضة عنه ، رأى الحبيب طاهر بن محمد وجماعة من العلويين أن يقبضوا نفوسهم عنه وعن نصيحته .

وقد ورد فى أثناء مكاتبة من الحبيب طاهر بن محمد للسلطان عمر ما نصه :

ثم لا يخفى علمكم أن الفقير عند وصوله من الحرمين الشريفين قلت منه المكاتبة إليكم إذ ليس يرجى من ذلك نفع لما حدث عليكم من عدم الاستقلال ونفوذ الكلمة بل إذا أراد الشخص أن ينال بغيته منكم لم يصل مراده إلا بعد عناء وخطاب كثيرين ممن لا خلاق لهم ممن يستنكف العزيز من محادثة الكبير منهم فضلا عن الصغير فاقتضى الحال الصبر على أمور لا تطيب بها النفس ولكن التسليم شأن السليم .

ثم لما كان فى هذه الأيام شاع عنكم الانفراد بالكلمة والاستبداد بها من غير منازع انبعثت فى القلوب رسل الرجاء فى نصرة من لا ناصر له إلا الله . فقم لله ولعباده بنفسك فالراحمون يرحمهم الرحمن ولا يغرنك حلم الله تعالى فإن الله شديد العقاب وأنه ذو البطش الشديد . فإلى متى وركوب الهوى فدارك نفسك قبل حلول رمسك وحاسبها قبل أن تحاسب . فإن الله تعالى يملى للظالم حتى يمسكه ، فإذا أمسكه لم يفلته . والله المسئول أن يأخذ بأيدينا إليه والسلام .

نصيحة أخرى :

وللحبيب طاهر بن محمد مواقف والدية مع السلطان عمر يبدى له فيها باللسان وبالقلم نصائح ربما قد تكون حادة اللهجة قاذعة العبارة فيتحملها السلطان بطيب خاطر حاملا لنصائحه بين جوانحه إجلالا واحتراما .

وإليك أنموذج مما كان يكتبه إليه عند اقتضاء الحال لذلك فقد جاء فى أثناء مكاتبة قوله :

أما بعد فإنك بليت بهذا المقام الخطير وتصديت فيه لأمور عاقبتها وخيمة

عظيمة ، حتى صرت قدوة للظلمة فى التجرى على العظائم ، واستصغار كبار الجرائم . وقد رجونا منك تلافى الهفوات الماضية وتدارك السيئات المنقضية . فكان الأمر على الخلاف ، حتى حدث من الأمور ما لا يجوزه الخاطر ، ولا يتوهمه منك البصير الناظر . ولكن دارك قد ولجه الأنذال من الناس . وسمعت آذانك سعاية الأرذال والأوباش . حتى أوقعوك فيما يقبح أن ينسب إلى أدنى أمرائك . إذ لو تأملت لعاقبت من هذا حاله ، ولأمرت بسفك دمه ، لأنهم استحلوا أموالا ، وانتهكوا أعراضا ، فالبلد أصبح يموج بالبدع والمظالم ويتغشاه من كل وجهة دخان البغى الكاظم ، ينتهبون الأموال سرا وجهرا وكل هذا فى صحائف أعمالك فأنت المسئول فى يوم المعاد ، فواشفقتى عليك . إذا ألقيت صحيفة أعمالك إليك ، وسئلت عما لك وعليك ، فكأنى بك جاثيا على ركبتيك مطأطئا رأسك مما يملى عليك وقد تجلى ملك الملوك فى ذلك المقام . باسم العدل والانتقام . . . . الخ

نهاية السلطان عمر :

وأخيراً لم تطب الإقامة بحضرموت لهذا السلطان الجليل تحت سمع الضيم وبصره فذهب ضاربا أطنابه فى الآفاق حتى توفى رحمة الله عليه بمسقط . وهو آسف القلب . مفطور الفؤاد . وقد أمضى حياته كلها فى جهاد مستمر فى سبيل الاستقلال العزيز .

٣٤ — الأمير جعفر بن عيسى

الأمير جعفر بن عيسى بن بدر بن على بن عبد الله بن عمر بن بدر بو طويرق . ورد اسمه فيما طالعناه من تاريخ سلاطين آل كثير غير أنه فيما ظهر غير رشيد السياسة ولا بعيد النظر ولا هو ممن يتطلع إلى المجد والرياسة . وقد ذكرنا أنه كان قائد جيش والده فى حربه مع العمودى . ونذكر هنا أنه أيضا كان السبب فى وقعة الغطيل الآتى ذكرها فى زمن السلطان جعفر بن عمر ابن جعفر السابع والثلاثين .

٣٥ – الأمير محسن بن عمر بن بدر

الأمير محسن بن عمر بن بدر بن على بن عبد الله بن عمر بن بدر بوطويرق . ألف له عصابة شنفرية تصول وتجول من حين إلى آخر على معاقل يافع ومناطق نفوذها . وفى سنة ١١٤٤ هـ قويت شكيمة هذه العصابة وأخذت تقلق الأمن وترعب الأهالى .

بين آل تميم والعصابة :

وفى ذات يوم أغارت على « دمون » فكان ذلك سبباً فى هياج آل تميم وغضبهم لأن تلك البقاع هى مشارحهم وتحت نفوذهم . فتصدوا للعصابة وناوشوها القتال ووقع القتل فى الفريقين . وذهب الشنافر فحرقوا عددا من الدور والغرف هناك وغاروا على سوارح من البقر والحمير ، ونهبوا غرف آل زيدان وحرقوا بها ديارا . وانصرفوا عنها ثم عادوا إليها بعد أيام ، ولكن يافع وآل تميم كانوا قد استعدوا لغارتهم فباغتوهم وهزموهم شر هزيمة حتى أوصلوهم إلى تاربة

وبعد أيام تجمعت عصبة الشنافر يرأسها الأمير محسن وأغارت على سيون وعاث بعض رجالها بها وفسقوا فيها . وطلع من بها من يافع إلى الحصن ، ولكن الشنافر ربعوا بعض بيوت يافع لمعرفة بينهم وبين أهلها ، وربعوا بعض ديار الرعية بدراهم . وصعد الشنافر إلى حصن السعادة ولكنهم لم يغيروا منه شيئاً .

٣٦ – السلطان على بن جعفر

هو السلطان على بن جعفر بن على بن عبد الله بن عمر بن بدر أبى طويرق أخو السلطان عمر بن جعفر الثانى والثلاثون .

تولى السلطنة بعد أخيه عمر وهى فى دور احتضارها فأنعشها قليلا وقام بما يلزم القيام به مما وصلت إليه طاقته .

أخلاقه :

كان السلطان على بن جعفر كسلفه حميد الأخلاق . واسع الصدر ، ينزل الناس منازلهم . ويكرم أهل الفضل . ويراعى خواطرهم . ويحترم مبادئهم . يظهر لك ذلك من القصة الآتية التى حكاها الحبيب على بن حسن العطاس العلوى فى كتابه سفينة البضائع . وقد أوردها عرضاً عند ذكره أولئك الأشخاص الذين يبخلون بإعارة الكتب .

تواليف الحبيب على بن حسن :

وللحبيب على بن حسن دربة عجيبة فى التاليف تدع القارىء يمر بالكتاب من أوله إلى آخره من دون أن يشعر بملل أو سآمة وذلك لحلاوة عبارته وتنوع مواضيعه التى يكدسها تكديسا من غير ترتيب ولا تبويب ، ولأنه يستطرد من ضرب من الفوائد إلى ضروب أخرى بمناسبة وبدون مناسبة . ولأنه يكتب بقلم طبيعى لا يعرف للتصنع أو التكلف معنى . فهو يخترق الأجساد إلى الأفئدة ، ويخاطب الجنان بدون استئذان . ويقع تأثيره على العامة كما يقع على الخاصة .

ما ذكره الحبيب عن السلطان على :

ولننقل لقرائنا كلمته التى يذكر فيها السلطان على بن جعفر ، ننقلها برمتها بعبارتها الرشيقة وأسلوبها العجيب . قال : —

« ومنها إنى جئت إلى بعض الخزائن ، أستعير من صاحبها الكتب وهى أربع خزائن . وقد مات العلماء من أهلها وما بقى إلا أهل جهلها . نخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا إلا من تاب . فقلت لهم : هانوا الكتاب الفلانى والكتاب الفلانى ، إلى تسعة كتب ، وها كم تسعة مجلدات قباضة لكم حتى أرجع حقكم ، فقالوا : اننا قد منعنا فلان وفلان من أكابر السادة وأنت تكون كما هم . فقلت : لهم أما أنا فسواء . ولكن مثل هؤلاء الذين ذكرتم أنكم منعتم منهم ما عون الكتب المذكورة ما ألقيتم خيرا فى أنفسكم بمنعهم ، وهذه الخزائن إن شاء الله ندعو عليها بالأرضة تأكلها .

وكانت الخزائن المذكورة إذا نظرت إليها قبل ذلك تراها كأنها طاقات

الكسوة الفاخرة لأن ورقها وجلودها مرونقة بألوان الأصباغ المتفرقة . فمن حينئذ دبت فيها الأرضة وهى الآن تلهب فيها لهيب النار ، وتأكلها بالدمار وهذه الكتب بيد هؤلاء الجماعة هن وما دخل عليهم من إنذار سلفهم الصالح البار قد جعلت على سبيل الوقفية للسبيل .

فلما ضوينا (١) عندهم تمالوا فى عشائنا فقال بعضهم هذا شريف من آل فلان وهو يستحق الإكرام فاذبحوا له رأسا من الغنم الذى للزاوية فقال له الكبير منهم نحن ما نقدر كلما جاء شريف نذبح له رأس غنم ، ولكن ما حصل كفى . فكان العشاء من الخمير والروبة فلما كان وقت العشاء وصل إليهم كتاب من السلطان على بن السلطان جعفر أنه مصبح الصبح للغداء عندهم ، ومعه الأمير مرجان وجملة من العسكر .

فباتوا المشايخ طول الليل فى حركة للاستعداد لهم . فكان قدومهم وقت شروق الشمس إلى فاضلة الخزانة وأنا فيها فما كان أسرع من أن قربوا الغداء وكل شىء من أعضاء الذبيحة قوام بحالها . والمغاضيف مثل السبول فى تفالها فقلت للوالد سالم بن عبد الله بن رضوان وكان معى : هذه كرمة الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ عمر صاحب الخزانة لما أراد الكرامة لنا ساق الله لهم السلطان يسوقهم إليها .

وحصل لنا من السلطان غاية التأدب والإكرام ، بحيث أنه بعد الغداء لما قالوا له المشايخ مرادنا أنكم تقوم إلى البيت الفلانى تظل فيه لأنه بيت فسيح وسيع منيع رفيع . قال لهم أن قام السيد قمنا وإن قعد قعدنا . فقلت لهم تقدموا وأنا آتيكم ، فلما طلعت إليهم وجدتهم فى فاضلة وعندهم جملة من الرشب يمزون التنباك ، فجلست . فقال السلطان مرادنا حضرة ذكر ، فقلت : لا بأس ، ولكن شلوا عنا هذه الرشب . فشلوها إلى مصلى فى تلك الفاضلة . وجعل كل من أراد المزيز من المشايخ أو أصحاب السلطان دخل فى ذلك المصلى .

ثم أن المشايخ قدموا العشاء عشية ، وهو كالغداء بالسوية ، ثم إنا بعد العشاء خرجنا نحن والسلطان إلى مسجد الجامع فصلينا المغرب . وكانت تلك ليلة الأحد . فقال أسمعنا الليلة حزب الأحد قراءة من حفظك . فقرأت لهم سورة يونس وسورة هود . وهم يستمعون وينصتون . ودخل وقت العشاء

---

(١) ضوينا = أمسينا .

فصلينا العشاء وبتنا تلك الليلة نحن والسلطان فى المكان . وفى الصبح سرحنا كل إلى مكان . فكأن الجمع ما كان . وما الدنيا كلها إلا كأضغاث أحلام . كأنهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ والله المستعان . انتهى كلام الحبيب على بن حسن .

وإلى السلطان على المذكور ينتسب آل على بن جعفر أهل العجلانية وحوره وجاحز .

٣٧ — السلطان جعفر بن عمر

السلطان جعفر بن عمر بن جعفر بن على بن عبد الله بن عمر بن بدر أبى طويرق . رجل همة ونشاط . ونفس أبية ، قام بالسلطنة بعد ابن عمه على بن جعفر وعدل بين الرعية وضبط الأحكام ، وذلل العصابات الفوضوية غير أنه لم ينتظم له شأن فى المناطق المحتلة . وقد انمحت منها تماماً صورة السلطنة الكثيرية

ولكن السلطان جعفر بن عمر لم يأل جهداً فى محاولة استرداد ملك آبائه فلم يوفق إلى شىء من ذلك . بل ظل يهاجم ويقاتل ، ويصالح وينازل بدون طائل . فكان — ويا للأسف — رغماً عن أتعابه ومجهوداته هو آخر سلاطين الدولة الكثيرية الأولى حتى قيل أن الدولة الكثيرية أولها جعفر وآخرها جعفر . ولعلهم يشيرون إلى جعفر هذا .

السوينى وجعفر :

وللشيخ سعد مذحج الملقب بالسوينى من أراجيزه الملاحمية ذ ر حميد لجعفر وإشارات إلى حروبه ومحاولاته . وكان الحبيب الحسين بن عمر العطاس العلوى يقول لعله هو هذا جعفر . ثما ورد فيه عن السوينى قوله :

سيون حبلى ياعرب مقنن صار الجنين فى بطنها مشنن
حتى يجىء جعفر لها يدهجن تمسى عروس فوق الفراش تزفن

وقوله :

واديش ياعينات ماهنى نوم شبام سدة حضرموت للسوم
وجعفر الدرقة زمام للقوم

وقوله :

شف السويني مشتغل ومحنون أحوال باتجرى حوالى الخون
مولى حبوظه تاليته سمعون وقرية أهل اللسك ماينامون
النهب فيهم والحراق والهون والصيح مغرق والدريك مرصون
حتى التميمى مادرك بمختون جعفر وراهم وين بايحلون
جعفر صليب الرأس مايجى الدون ملك الكثيرى كان ملك مصيون
عسى لهم رده بحق ذى النون

وقعة الغطيل :

وحكى لنا المؤرخ الشيخ أحمد بن محمد بن عمر باعباد عن وقعة الغطيل أن السلطان جعفرا بن السلطان عيسى عمد إلى أهل القل والحاجات من يافع وغيرهم . وأخذ مابأيديهم . فرجع يافع إلى الشنافر وحالفوهم واجتمعوا بذى أصبح وتمركزوا بها وأخذوا يرهقون الضعفاء ويفرقون عليهم مايلزم لأقواتهم وذلك سنة ١١٤٣ هـ .

ثم إن السلطان جعفر بن عمر جهز عليهم عسكره ومعهم من قبائل الكسر نحو تسعمائة من نهد وآل شحبل وآل مخاشن وآل رباع والجعدة وحلفائهم . فالتقوا فى الغطيل وكانت معركة مهمة قتل فيها جماعة منهم سالم بن محمد بن حيدرة . وكانت الدائرة على السلطان جعفر بن عمر وقومه وانهزم هو إلى شبام ودخلها وبيده الطاسة (طبل الحرب) لأنه عرف بأن القوم ستغنمها فانتزعها من يد الطواسجى . وذهب بها راكضاً حصانه . وبات ليلته بشبام ثم عاد إلى العجلانية .

هجومه على الشحر :

لم ينس السلطان جعفر ذلك الفشل الذى فشله أبوه فى الاستيلاء على الشحر سنة ١١٢٩ هـ فشد مئزره وجهز جيشه ووصلها على حين غرة واستولى عليها ودخلها مرتجزاً بقوله :

قال الكثيرى بن عمر بن جعفر لى ناد رأسى ياشوامخ نودى
الشحر خذناها قد الله قدر عاد المكلا باتحن رعودى

السلطان جعفر يستفتى :

نعود إلى الكلام الحلو الرشيق الذى ينفثه قلم الحبيب على بن الحسن العطاس العلوى فقد جاء له فى كتابه سفينة البضائع ذكر السلطان جعفر فى عبارة أحببنا نقلها هنا لفكاهتها وفائدتها . قال :

غريبة عجيبة الضريبة :

كنت مرة أقرأ على الوالد عبد الله بن حسين فى كتاب الشجاج والديات وخرجت من عنده ، فطلع عليه بعد خروجى من عنده جماعة معهم كتاب من السلطان جعفر بن عمر بن جعفر بن على الكثيرى يقول فيه صدر إليك فلان به أصواب من بعض القبائل نريد تنظرها وتحقق أرشها . فقال لهم الوالد عبد الله : اذهبوا بورقة السلطان إلى الولد على وقولوا له ينظرها وينظر الأصواب وينقل للسلطان أرشها فان الكتاب الذى فيه الشجاج عنده . فجاءونى وقرأت الكتاب ونظرت الأصواب . فاذا هى الموضحات . فكتبت ديتها وكان شيئاً كثيراً . فلما خرج المصاب وعندى صاحبنا الرجل الصالح أحمد بن عبد الله بن عون فقال وهل لنا قسم فى الكلام أم الكلام كله لكم يا أهل الكتب . فقلت ما تقول تال أقول هذا الرجل الذى جعلتم قيمة أصوابه أربعين أوقية فضة . لا يساوى كله إلا أربع خماسى ، فضحكنا من كلامه والكلام هنا طويل ، والقليل دليل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

نهاية الدولة الكثيرية الأولى :

وبنهاية السلطان جعفر يسدل الستار على حياة الدولة الكثيرية الأولى . تلك الدولة الزاهرة التى لعبت دورها فى أربعمائة سنة على مسرح هذا العالم الفانى ولم يبق لها ذكر غير ماتضمنته أدمغة الحفاظ وبطون الأوراق .

تقوضت أطناب هذه الدولة ، وتفرق رجالها فى أكناف البلاد متجردين من القوة والرئاسة ، والادارة والسياسة . فالتجأ آل عبد الله إلى قارة « الصناهجة » ومنها إلى السحيل القبلى وإلى غنيمة فى وادى تاربه . واختار فريق منهم بلدة باعبد الله وهى حوطة السادة آل العيدروس موطناً لعزلتهم الهادئة المتواضعة .

القسم الثانى

سلطات الطوائف

والفترة بين الدولتين

وإنما أسميناها بعض سلطات الطوائف ، لأنها سلطات صغيرة طائفية يافعية وغير يافعية . كل منها لا يستوجب لقب دولة لضيق نطاق سلطته ، ولعدم قيامه على نظام دولى . فبمدينة « تريم » وحدها ثلاث سلطات من هذا القبيل وهى سلطة آل غرامة بحارتى المجف والسوق ، وسلطة ابن عبد القادر بالنويدرة ، وسلطة آل هام بالخليف . ثم أن ابن يمانى التميمى كان يسيطر على « قسم » وضواحيها . وكذا لكل قبيلة من آل تميم بلدة تحكمها . وهناك نقط أخرى تسمى « الحوط » يحكمها بعض السادة العلويين وبعض المشايخ ذوى الفضل بدون جنود ولا عبيد .

واستأثر آل الضبى « بسيون » ، كما انفرد بنو النقيب « بتريس » ، والموسطة « بشبام » وبنو بكر بمريمة . ولكل من قبائل الشنافر بلدة تمضى عليها سلطته وهلم جرا .

الحالة السياسية فى الفترة :

وتوسط القرن الثانى عشر وقد فرغ الناس من دفن الدولة الكثيرية الأولى وأخذوا ينظرون إلى ما قد سد الأفق من غيوم الفوضى والاستبداد والظلم ، والجور واندفاع القوى المتسيطرة وراء أغراضها اندفاعاً لا يردعه رادع ولا يزعه وازع .

وكان التيار السيامى فى مستهل ذلك القرن غير متجه إلى وجهة معينة ، وكانت الفوضى السياسية قد بلغت النهاية ؛ فأصبح القطر الحضرمى يموج صاخبا من عيث العسكر فى المدن . والقبائل فى الضواحى وتلاعبهم بالأمن تلاعبا لم يبق ولم يذر .

(وكان هؤلاء العسكر من يافع الذين جلبوا من الجبل لتعزيز الدولة الكثيرية الأولى وتعضيد عرشها قد أخذوا هم بأنفسهم يتغلبون على الحكم كما ذكرنا سابقاً ويستأثرون به ويزحزحون الدولة الوطنية عن نفوذها ومراكزها حتى قبضوا على البلاد وأخذوا بناصيتها وأصبح لهم الحول والطول بداخلية حضرموت وسواحلها) .

ولو أن هؤلاء المتغلبين يقصدون تأسيس دولة يافعية قوية الشكيمة تملك البلاد وتحكم العباد وتطمح إلى إقامة سلطان عام يسوس القطر عدلا أو جورا لما قلنا باضطراب الاتجاه السياسى إذ ذاك ولما رأينا عواصف الفتن والمحن تعصف بأهالى ذلك القرن من دون غاية مبررة اللهم إلا المطامع السافلة والأغراض الشخصية التى تنم عن روح شريرة سارية فى المتسلحين لا تتمشى مع مصلحة النظام العام .

الفتن والفوضى :

وكان أديم القرنين الثانى عشر والثالث عشر بحضرموت كله مصبوغاً بالنجيع القانى من جراء الفتن الداخلية التى لم تزل نيرانها تلتهب بين القبائل المتسلحة طورا وبينها وبين الدويلات طورا وبين هذه مع بعضها أخرى .

ولو لم يمن البارى سبحانه بأولئك المناصب من السادة[1] والمشايخ الذين كرسوا أوقاتهم للإصلاح بين المتحاربين ، وبأولئك الدعاة من العلماء الذين بحت أصواتهم ، ونفد مدادهم من النداء بالنصايح الناجعة . والرسائل النافعة التى ترسل تباعا إلى رؤساء القبائل والدويلات — لولا ذلك لما علم أحد إلى أى مدى ينتهى الويل والثبور بهذه البقاع ، وإلى أى شأو يصل التآكل والتناطح بأولئك المسلحين المنكودى الحظوظ . ولما أن كانت القبائل المسلحة فى ذلك العصر على جانب لابأس به من حسن الظن بأولئك الأعلام ، فإنه يقع لدعوتهم إياهم تأثير يكبح من جماح أهوائهم ما تسمح به الظروف .

ومن يطلع على بعض ما كتبه أولئك السادة فى إصلاح القبائل ودعوتهم إلى الخير يعلم مبلغ الجهود العنيفة التى قام بها أولئك الأعلام رحمهم الله فى

(١) السادة جمع سيد وهو لقب يطلق فى جنوب الجزيرة العربية على أبناء الرسول عليه الصلاة والسلام ، والمشايخ جمع شيخ ويلقب به أبناء البيوتات المشهورة بالعلم والفضل والصلاح .

سبيل النفع العام وفى درء المفاسد عن القطر العزيز والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

السادة العلويون ومساعيهم :

للقرن الثالث عشر ظاهرة ممتازة بين القرون الأخيرة فى تاريخ حضرموت إذ فى طيات سنواته بلغت النعرة العلوية فى السياسة أسمى مدارجها ، فسقطت بذلك دويلات . وقامت على أنقاضها أخريات فتية لا يزال بعضها إلى الآن وهو الانقلاب السياسى الذى لم تعهد حضرموت فى تاريخها الحديث مثله .

وفى هذا القرن الأحمر المخضبة أعوامه وشهوره بحمرة الدماء الأرجوانية انتشر بفضاء حضرموت رائحة الفتيل ورددت جبالها صدى صرخات البنادق ورجات المدافع ، وامتلأت بقاعها بأشلاء القتلى الذين ذهبت أرواح بعضهم ضحية القلعة ، وبعضهم ضحية الأنانية ، والبعض الآخر ضحية آمال سامية تجيش فى صدورهم وقد اختطفتهم المنية دون تحقيقها .

وإنما أخرج السادة العلويين من عزلتهم إلى المعترك السياسى ، وحملهم على نبذ تقاليدهم القائلة بوجود ابتعادهم عن التداخل فى شئون السلطات وتنازعها — هو ضحيج الوطن وعجيجه من عظيم ما يقاسى من الاضطرابات والفتن ، وما يكابده قاطنوه من الضيم والقهر ومن انعدام القوة الحاكمة التى تخضع لها البلاد سواء اتصفت بالعدل أو الجور .

ومن يطالع تصانيفهم وأشعارهم ومكاتباتهم يدرك مبلغ حرصهم على إيجاد الوالى العدل وتغزلهم فيه وأسفهم لفقده وبذلهم نفوسهم ونفيسهم فى إقامته ، ولا يستطيع أحد أن يقيم دليلا واحداً على أنهم دعوا مرة واحدة إلى أنفسهم أو رموا إلى تأسيس دولة علوية ، مع سهولة ذلك عليهم وانقياد الأمر إليهم . لو أرادوا . لأنهم كانوا فى عصر أصبحت فيه نظرة العامة والخاصة إليهم نظرة إجلال وإكبار ، وظلت أنوار علومهم وإصلاحاتهم تنير السبل وترشد الضال ، وتحل المشاكل ، وتجعل لهم فى القلوب مكانة لاتدانى ومنصبا لايسامى .

وذلك لأن مهام الملك ومشاغل الولاية وأبهة السلطان ليست هى فى اعتبارهم بالمهيع الذى تتطلبه تقاليدهم وموروثاتهم ، ولا هى بالمنهج الذى خطه لهم أهلوهم وأصولهم ، وليست هى الضالة المنشودة ولا الغاية المقصودة التى يحيون الليالى

ويصومون الهواجر ويعمرون الأسحار من أجل الحصول عليها . فهم إنما ينظرون إليها نظر المذكر المتفرج على أعمال الرواية التمثيلية وأبطالها . وهم إنما يقولون فيها ما قاله سيدنا الحسين بن الشيخ أبى بكر بن سالم للسلطان عبد الله ابن عمر « إن الولاية على الناس لا نرضى بها حتى لخادمنا الذى يجر لنا الماء ولا نوليها عيالنا » وقال بعض الحميين منهم :

من أراد الهم والغم الكبير فليكن للناس سلطان أو وزير

أما قيام الحبيب طاهر بن حسين العلوى فإنه لم يكن لتأسيس دولة علوية ولا لتأييد غرض سياسى . ولم يكن إلا دعوة مؤقتة لنصرة الشريعة ودحض الباطل ومكافحة الفوضى فقط كما سيأتى ذلك .

ونحن لا نبخل على قارئنا حماه الله بذكر أنموذج من تلك الارتباكات والمصائب التى أوقعت الوطن فى مآزق حرجة تحيط بها البلايا من كل ناحية ، وتتقفاها سيول زواخر من الهنات الشاينة التى لا تبيح الآداب إذاعتها .

قضية التابوت :

الذى يظهر أن نفسيات السراة والزعماء من السادة وغيرهم من أهل ذلك القرن قاسية متصلبة لا تعرف المرونة ، ولا تجنح إلى المجاملة . وربما تغلب على القوم التعسف الأنانى ، والتعصب الأعمى الذى تنكره العقول ، وتمجه الأذواق ، وتقف الطباع السليمة حسرى دون شأوه .

وقضية التابوت يستنتج منها ما ذكرناه ، ويعلم منها أيضاً مبلغ التخبط السياسى الذى تعانيه حضرموت فى ذلك العهد وإليك ما قالوه عنها . قالوا : —

« وفى سنة ١١٦١ هـ كانت واقعة التابوت الذى أرسله الشيخ العمودى لضريح الحداد ، وهو شبيه التابوت الذى على قبر المحضار » فاختلف رأى السادة فبعضهم رضى ذلك كالحبيب أحمد بن على بن الشيخ أبى بكر بن سالم ومنهم من لم يرض كالسادة آل العيدروس ، وكذلك اختلف رأى القبائل على هذا حتى وقعت الحرب على وضعه . وأصابت رصاصة رأس السيد صالح بن على بن أحمد وتقذوا به إلى عينات حيث قضى نحبه . وبقى التابوت موضوعا فى بعض الديار بأمر من يافع أشهرهم أحمد غرامه البعسى وصمم الحبيب أحمد بن على على وضعه على الضريح فجاء الرتبة من يافع ووضع بحضورهم . قيل على رضى من آل هام ممزوج بخداع .

وبعد وضعه قام السادة آل العيدروس وعظم عليهم الأمر واستنجدوا بالشنافر وساروا إلى أحيائهم . فصار بعد ذلك ما صار من حريق التوابيت كلها التى على القبور . ثم تراجع الناس واجتمع الرأى على إرجاع التوابيت فأعيدت على حالها وأصلحن بأعواد هندية مصهرة . »

سلطات تريم :

وانفرد بنو لبعوس بتريم . وكان آل غرامة منهم مسيطرين على كبد البلاد وسوقها وبوابتها الجنوبية ، ولهم شوكة لابأس بها وهيبة سارية على بعض القبائل المجاورة لهم . وبينهم وبين ابن هام صاحب حصن الرناد مابين أهالى حارتى السوق والخليف من الأحن والعداء . وبين كل من هذين وبين ابن عبد القادر صاحب النويدرة عداوة وبغضاء كذلك .

وكانوا جميعاً يتغايرون فيما بينهم على رعاياهم تغاير التيوس فى زرايبها . ويحاول كل منهم أن يظهر لدى فتيان البلاد وفتياتها بمظهر القوة والصولة . فكان لذلك أسوأ تأثير فى سير الحياة الاقتصادية والاجتماعية بهذه الأطراف . ومتى نجم العداء بين المتسيطرين صوبوا سهام انتقامهم إلى الرعايا المساكين ، فكان كل واحد من هذه الأقانيم الثلاثة يصب جام غضبه على رعايا الآخر ، فبلغ أرهاق الأهالى مبلغاً فاثت منه النفوس وضاقت منه الحواصل ، ولما أن كانت طوائف السلطة بتريم ثلاثاً فقد تعددت الجمعة بها مع قربها من بعضها بسبب الفتن بين الطوائف ، ففى الحوطة (السوق) بالجامع ، وبالنويدرة بمسجد الزاهر ، وبالخليف بمسجد الوعل ، وذلك لتعذر وصول الناس إلى الجامع وقد وقع هذا سنة ١٢٤١ هـ .

وقبيل ظهور الدولة الكثيرية الثانية كان رؤساء السلطات اليافعية بتريم هم : صالح حسين وعبدالقادر بالنويدرة . وعبد القوى بن عبد الله غرامة بالحوطة والنقيب ابن عبد الحبيب بن لحمان بالخليف .

عبد الله عوض غرامة :

الشيخ عبد الله بن عوض بن أحمد غرامة هو أمثل من اقتعد أريكة الحكم بتريم وأقواهم شوكة وأبعدهم صيتاً ، وكانت قبائل آل تميم المجاورة بضواحى تريم تهابه وترتكن إليه فى كثير من مهماتها . والرجل على صرامته

وفظاظته كان واسع الصدر عظيم الاحتمال لما قد يجابهه به بعض الصادعين بالحق من العلويين . وله معهم وقائع وقضايا تدل على حلمه وعقله تتناقلها الألسنة آثرنا عدم اثباتها هنا لعدم علمنا بمبلغها من الصحة . وستأتى ترجمته فى الجزء الثالث إن شاء الله .

هجرة الناس من تريم :

واشتدت الضائقة على الناس بتريم وقتل ظلماً السيد العلامة سالم بن أبى بكر عيد يد [١] العلوى صاحب تخميس قصائد القوافى التى تقرأ عادة فى ليالى رمضان بمساجد حضرموت فكان لقتله تأثير سيء فى الأوساط العامة ، ورجح الناس الهجرة عن تريم إلى الضواحى . فهاجر عدد خطير من بيوتات تريم الراقية وعائلاتها كالسادة آل خرد وال شهاب الدين وآل بلفقيه وآل الكاف وآل المشهور وغيرهم وهاجر من كبار الشخصيات البارزة جماعة انتقلوا بعائلاتهم إلى الضواحى فحصل بهم فيها نفع عظيم الشأن قلبوا به حياتها الإجتماعية رأساً على عقب ، ووجدوا بها متسعاً لبث آرائهم وإصلاحاتهم . وميداناً رحباً لمناورات ثورتهم ضد الفوضى والاستبداد .

علوى المشهور [٢] :

وأول من خرج مهاجراً من تريم السيد العظيم الحال علوى بن محمد المشهور العلوى وكان من العارفين بالله ومن أهل الأحوال اللدنية ، وله قدم راسخ فى الصدع بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وكان يشدد النكير على أهل الباطل جهاراً ، وكذا على رجال الجاه والعلم من السادة العلويين . وندر أن يعترض عليه أحد . فكان علماء وقته كالحبيب على بن شيخ بن محمد ابن شهاب الدين والحبيب أحمد بن حسين الحداد والحبيب حامد بن عمر والحبيب حسين بن عبد الله بن سهل العلويين يقابلون أغلاظه عليهم القول بالصمت .

(١) وذلك سنة ١٢٢٦ فى محرم .

(٢) الذى ذكره السيد العلامة أحمد بن على الجنيد فى شرحه لأرجوزة السيد عبد الله ابن جعفر مدهر — إن السيد علوى المشهور خرج من تريم فى الفتنة التى جرت بها بين السيد محمد بن عبد الرحمن العيدروس صاحب ثبى وبافع . قال إنه هاجر إلى « المسك » فى مسجد الشيخ أحمد باعيسى أخذ مدة حتى انتهت الفتنة وتوفى بعد مارجع ، ثم ذكر أن وفاته سنة ١٢٠٨ هـ . باحريش .

وكان لايستدل إلا من القرآن لامن الأخبار والآثار . ويؤول القرآن بتأويل مطابق . وقد بلغت به الحدة يوما أن قام فى مجمع حافل ضم العلماء المذكورين آنفاً وغيرهم فصلى عليهم أربع تكبيرات ولم يعترض عليه أحد منهم . وقال : وددت لو اعترض على أحد فأقابله بدليل من القرآن فى أربع آيات . وقد صليت على قلوبهم لأنها ميتة ، وكان أهل البلد يرمونه بالجنون ، وكان يجمع حفاظ القرآن فى البلد ويجعل لهم ضيافة فى السنة مرتين أو ثلاث .

الحسين بن طاهر :

السيد الحبيب الحسين بن طاهر بن محمد بن هاشم العلوى هو من أوائل السابقين إلى الهجرة فراراً من الظلم فكانت هجرته سنة ١٢٠٨هـ قبل أن يستفحل الطغيان ويعم البلاد ، وقبل أن يمتد محيط العدوان المؤلم الذى لايطاق . قال نجله الإمام الحبيب عبد الله بن الحسين بن طاهر : هاجر بنا الوالد من تريم قبل أن تبدو للعيان كل القبايح الفاضحة بها . وقد عظم علينا أمر الهجرة وشق علينا الخروج إلى الضواحى ولكن من لنا بمراجعة الوالد وهو رجل عظيم الهيبة جداً لايستطيع أحد أن يراجعه . فقد كان رجال السطوة والسلطة يهابونه ، وربما صدفوا عنه فى الطريق هيبة منه . ولكننا بعد مضى عشر سنوات من هجرة الوالد بنا عرفنا صحة حدسه وبعد نظره ، فقد عظمت المحنة وسادت الفتنة . وأخذت العائلات تهجر تريم الواحدة تلو الأخرى .

قال : — وكان الوالد الحسين يرمى إلى الحلال ببيت جبير قريبا من ضريح سيدنا محمد بن علوى ، ولكنه رأى بالبقعة التى اختارها آثار عمران فانصرف عنها تورعا قائلا لعلها قد ملكت . واستبدل بها «المسيلة» . وكان موضع الدار التى ابتناها بها وما حولها وصراً لآل الهيج التميين فرأى رجل صالح منهم أن القمر سقط من السماء إلى ذلك الوصر ، فلما امتلك الوالد الموضع قالوا : هذه رؤيا صدقت

قال : وكان أهالى تلك البقاع على جانب عظيم من الجهل والغفلة وكان الأكثر منهم قاطعا للصلاة ، وهناك جماعة من السادة العلويين قد اندمجت عوائدهم وتقاليدهم فى عوائد القوم وتقاليدهم . فبذلنا جهودنا نحن والوالد والأخ طاهر فى تلطيف طباع الأهالى وأرشادهم حتى نجحنا فى الدعوة وحصل التأثير النافع .

قلت وكانت وفاة سيدى الحسين بالمسيلة سنة ١٢٢٠ ودفن بتريم .

عبد الله بن أبي بكر عيديد :

ومن فحول الرجال الذين غادروا تريم فرارا من الظلم الحبيب عبد الله بن أبي بكر عيديد أخو سالم الشهيد . كان إماماً من أئمة عصره علماً وتقوى وهمة وحجى ، وشهامة ونشاطا ، وكان من أكبر دعائم الإصلاح ودعاته . وقد اختاره رجال الإصلاح لوزارة عمر بن عبد الله بن مقيص كما سيأتي وذلك لرجاحة عقله وبعد نظره . وهو ثالث العبادلة السبعة المتعاصرين بحضرموت والذين لهم اليد الطولى فى نشر العلم والإصلاح والفضيلة . وهم السادة عبد الله بن حسين بن طاهر وعبد الله بن عمر بن يحيى وعبد الله بن أبي بكر عيديد وعبد الله بن حسين بلفقيه وعبد الله بن على بن شهاب الدين وعبد الله بن محمد باسودان وعبد الله بن سعد بن سمير .

وللحبيب عبد الله بن أبي بكر عديد مزية عظيمة فى نشر فن التجويد بحضرموت بين العموم يشكر عليها ، وله شعر جيد مستكمل الشروط سترى منه شيئا عند ذكر دولة بن مقيص .

وقد حكى عن نفسه اضطرابه وتردده فى شأن الهجرة عن تريم . فقال : ضقت ذرعا من حوادث البلاد وما بها من الفتن والمحن . وزاد قتل أخى سالم طين التكشيف بله وبقيت مترددا بين المكث فى تريم وبين الهجرة عنها ، وقد ضاق الصدر جدا من هذا التردد والاضطراب لأن الهجرة لم تكن لدينا بالأمر الهين . فكتبت إلى الحبيب عبد الله بن الحسين بن طاهر أشكو إليه أوهامى واضطرابى فأشار على بأن أتناول كتاباً مما تصله يدى من كتبى التى فى الرفوف ثم أفتحه بدون تروٍ قال : فلعل وإن تجد فيه ما ينشرح به صدرك . فمددت يدى فإذا بى تناولت كتاب مقامات الحريرى وفتحته فإذا أنا أقرأ قوله :

لا تركنن إلى وطن فيه تضام وتمتهن
وارحل عن الدار التى تعلى الوهاد على القنن
واهرب إلى كن يقى ولو أنه حضن حضن
وجب البلاد فأيها أرضاك فاختره وطن

فجد عزمى حينئذ على الهجرة وانتقلنا إلى بلدة السويرى .

دويلة آل عمر بن جعفر

فى أوائل القرن الثالث عشر نجمت بأعلى حضرموت محاولة عنيفة لأحياء دولة آل كثير من سلالة عمر بن جعفر ، وهرع إلى نصرتها جماعة من السادة آل العطاس وآل البار وآل الحبشى العلويين . ولم يقصر الحبيب العلامة أحمد بن عمر بن سميط فى نشر الدعاية لهذه الدولة التى علق الناس عليها آمالا كبارا فى فى إصلاح مستقبل حضرموت . ولكنه القضاء الحاتم ينظر ساخراً إلى تلك الآمال الخائبة ، ويبتسم فى أكمامه هازئا بتلك الجهود الضائعة .

وإليك أسماء سلاطين هذه الدويلة الكثيرية متصلة الأرقام بمن قبلها .

٣٨ – السلطان جعفر بن على

السلطان جعفر بن على بن عمر بن جعفر بن على بن عبد الله بن عمر بن بدر بوطويرق جاء إلى حضرموت من هجرته الطويلة بجاوه والهند سنة ١٢١٨ هـ . ثم أقام أولا بهينن وشرع يكاتب الشنافر ونهد وأعيان السادة العلوية ، ويبث الدعاة لأحياء دولة آل كثير ، وزحزحة يافع عن البلاد .

وأشار عليه بعضهم بشراء عبيد يجندهم للقتال ، فاقتنى منهم عددا غير قليل ثم هجم على شبام وبها يافع فاستولى عليها بعد دحرهم عنها .

ظهور أصحاب البشوت الوهابيين :

ووصل إلى حضرموت لأول مرة أصحاب البشوت وهم آل بن قلابدو من وهابى نجد جفاة الأخلاق غلاظ الطباع وصلوا إلى شبام ولم يتجاوزوها لأن السلطان جعفر لم يمكنهم من المرور إلى أسفل حضرموت ، بل ردهم من شبام فعادوا من حيث أتوا . ثم هاجموا حضرموت مرتين أخريين كما سيأتى .

غزوات السلطان جعفر :

وأرسل السلطان جعفر جيوشه غرباً وشرقاً . فاستولى فى الغرب على وادى عمد بأسره وبعض دوعن وحورة والكسر ودخل إلى عمد فى موكب فخم

وإطلاق رصاص وأراجيز سارة منها قول بعضهم زاملا :

حيا بسلطان العضيد الموزعة من حجر بن دغار لمان الحناك
حيا بدولة بن عمر بن جعفر كم لى وناتمناك يانجم السماك

أما فى الشرق فاستولى على المواضع الشرقية من سيون . وقد استعصت عليه سيون وبها يافع فحصرها ودام الحصر عليها نحو سنة فلم يقدر على دخولها فارتحل عنها بعد أن أشاع أنه صالح أهلها وأنه طرح فيها رتباً !

واتجه نحو تريم واستولى على بعض نقط منها وأقام بحصن فلوقة محاصراً تريم ومحاربا لغرامة بعد أن وقع الصلح بين السلطان المذكور وبين ابن هيام وابن عبد القادر وذلك سنة ١٢٢٢ هـ .

السلطان جعفر ومنصب عينات :

واصطدم السلطان جعفر بمنصب عينات السيد الحبيب أحمد بن سالم ابن الشيخ أبى بكر بن سالم وقامت الحرب بينهما . وأرسل الحبيب فى طلب جنود من جبل يافع فجاءوا . وامتد أجل الحرب حتى رفع كابوسها عنهم رجال الأصلاح ودب الوهن وضعفت همم العساكر من جنده ، وأخذ التكاسل والتمرد منهم مأخذا عظيما الأمر الذى سبب للسلطان جعفر أسفا عظيما أثر عليه فى صحته ، فمرض ومات بالمحيضرة من ضواحى تريم سنة ١٢٢٣ .

٣٩ — السلطان عمر بن على

السلطان عمر بن على بن عمر بن جعفر بن على بن عبد الله بن عمر بن بدر تولى السلطنة بشبام سنة ١٢٢٣ هـ بعد أخيه جعفر . والسلطنة فى دور الطفولة. وقد تفرت الأقوام المحاصرة لتريم وتشتت شملها ، وانحصرت السلطنة فى شبام فقط لأن المواضع الأخرى التى كان السلطان جعفر قد استولى عليها انفصلت عن السلطنة .

ولم تطل مدة السلطان عمر ، وتوفى بشبام فى السنة نفسها ، ولذا لم يتمكن من معالجة الأمور وتقوية السلطنة .

٤٠ — السلطان بدر بن على

هو بدر بن على بن عمر بن جعفر بن على بن عبد الله بن عمر بن بدر . تولى بعد أخيه السلطان عمر ومات بعد أسابيع من ولايته .

٤١ — السلطان على بن بدر

السلطان على بن بدر بن على بن عمر بن جعفر ولى السلطنة بعد أبيه .

عودة آل البشوت :

وفى أيامه جاءت أقوام آل البشوت للمرة الثانية وهم آل ابن قملا « تتار الجزيرة العربية » فقد اكتسحوا القطر الحضرمى بجيش عرمرم من قبائل الدرعية وعاثوا فسادا فى الكسر وهين وحورة واضطر القبائل من نهد ويافع والشنافر إلى محالفتهم واستباح هؤلاء الدرعيون حضرموت بأسرها وسفكوا الدماء ، وجاءوا إلى مسيلة آل شيخ ، وحطوا فى الصحراء الواقعة جنوبيها وحصروها ورموا ديارها بالبنادق . فأجابهم السادة آل طاهر وآل يحيى بإطلاق الرصاص أيضا وكان الإمام طاهر بن الحسين يوزع البارود على الديار بالفنجان لقلته عندهم . ولكنهم أرسلوا إلى المحاصرين رجلا من آل باحبة من من أتباع السادة المشار إليهم بعد أن ألبسوه لباس أصحاب البشوت حاملا علما أبيض فأتى إليهم يسألهم عن مرادهم ويهول عليهم قوة هذا الحصن (المسيلة) وامتلاؤه بالذخيرة والمؤن ، وانتهى الأمر بالمحالفة ورحيل القوم .

ثم دخلوا تريم وكسروا قبيها وحرقوا كتبها وغرموا أهليها من النقود والأقوات مالا يقدرون عليه ، وحبسوا مناصب الجهة ومنعوا الرواتب والأذكار والتذكير مدة وجودهم وهى نحو أربعين يوما . ثم انحسروا راجعين إلى أراضيهم وذلك سنة ١٢٢٤ هـ .

٤٢ — السلطان عمر بن جعفر

السلطان عمر بن جعفر بن على بن عمر بن جعفر بن على بن عبد الله هو آخر سلاطين آل عمر بن جعفر تولى شبام بعد ابن عمه على بن بدر . وهو على سوء تدبيره وضعف إرادته قد امتد زمن دولته إلى سنة ١٢٤٠ غير أنها ولاية مكتوف مغلوب على أمره .

الحالة فى شبام :

وقد أصبحت مدينة شبام مرتعا لأخاذ الشنافرة يتحكمون فى أهلها بما شاءت لهم أطماعهم وأهواؤهم .ولكل فرد منهم حكمه . ولكل فرد سيطرته من دون معقب ولا وازع .

وتفاقم الأمر واصطخبت أمواج الظلم والطغيان ، واضطر كل فرد من سكان شبام أن يجعل له ربيعا (مجيرا) أو خفيرا يمونه ويسكنه فى بيته كأحد أفراد عائلته ؛ ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، إذ لم يغن الربعاء ولا الخفراء شيئاً بل صاروا هم أنفسهم أيضا يرهقون مخفوريهم بالطلبات الباهظة ويدسون إليهم من القبائل من يتهددهم ويرعبهم حتى يزيدوا فى التمسك بخفارتهم ويجيبوا طلباتهم فيقتسموا المغنم مع شركائهم فى (المنصف) .

السيد ابن سميط :

وعظم الخطب ، وضج الناس ولم يعد فى الطاقة احتمال هذه الكوارث وطفق الحبيب أحمد بن عمر بن سميط العلوى يصرخ بملء فيه رافعاً عقيرته بالإنكار والنعى على الظلمة ظلمهم . ولكن أنى يسمع له قول والسفهاء قد استمرأوا هذا المرعى الوخيم ، والسلطان وعقلاء القوم يستثقلون ظل هذا الحبيب ويختفون منه إذا أقبل عليهم واعظا أو منكرا .

الهجرة :

وأشار ابن سميط بوجوب الهجرة فشرع تجار البلد يرحلون عنها إلى حوط السادة العلوية كالحزم عند السادة آل العيدروس ، وحوطة السادة آل أحمد ابن زين الحبشى وغيرها . ولم تمض بضعة أيام حتى خلت البلاد من تجارها . وظهر الخراب والتعطيل جليا ، واضطر بقية الأهالى إلى الاستعداد للهجرة .

السلطان يعقد مجلساً :

وفت ذلك فى عضد السلطان ومن حوله من عقلاء الشنافر فعقدوا مجلساً قر قرارهم فيه على أن يرسل السلطان إلى أولئك المهاجرين عبد الله بن محمد بن مرعى بن طالب يستميلهم إلى العودة ويبشرهم بحسن المستقبل ويطلب منهم نقوداً للسلطان ليستعين بها على إصلاح الحالة .

وذهب الرسول لمهمته وطاف على المهاجرين واحداً واحداً ولكنه لم يظفر منهم بطائل بل عاد بخفى حنين .

الحلف الثلاثى :

وولدت الظروف العصيبة حلفا ثلاثيا بين السلطان عمر بن جعفر وآل على جابر اليافعيين وآل عبد العزيز على إصلاح الحالة وحماية البلاد من المظالم وجعل الأمر أثلاثا بين المتحالفين . وتكفل ابن على جابر بأخراج الفخائذ من البلاد قسرا إن لم يخرجوا منها اختيارا .

وأخذت المفاوضات بين الحلفاء وبين المتغلبين تعمل عملها ، والسلطان يحاول أقناع هؤلاء بالخروج عن شبام بهدوء وسكون ولكنهم أصروا على البقاء بها حتى هجم ابن على جابر برجاله على الديار . وأخرج القوم عنها . وتنفس الناس الصعداء ، وأقام الحلفاء معالم العدل والأنصاف ، وبثوا فى البلاد روح الطمأنينة والأمان . وبلغت هذه البشرى مسامع أولئك الملتجئين إلى حوط السادة ، وعند ما تأكدوا صحتها أخذوا يعودون إلى مقرهم زرافات ووحدانا حتى رجعت المياه إلى مجاريها .

انتهاء دولة آل عمر بن جعفر :

كان آل على جابر حينما شاركوا فى ولاية شبام وضعوا لها رتباً (خفراء) يحمونها من اعتداء المعتدين . ولم يقصر هؤلاء الرتب فى القيام بواجبهم . وحيث أن للشنافر دالة على البلاد ، واعتياداً على العيث فيها فقد وقع من بعض صغارهم جرم استوجب الانتقام من رجال الرتب الذين ألجأهم الحال إلى قتل الشنفرى — الأمر الذى أهاج قبائل الشنافر وأثار حفائظهم ، فلم يسعهم إلا

ترتيب التدابير اللازمة وقرروا محو دولة آل عمر بن جعفر التى هى فى الحقيقة فى نظرهم دولة آل على جابر . فأقبلوا جميعاً إلى حصن العقاد ، وخاطبوا صاحبه عمر بن جعفر بن عيسى بن بدر فى أن يحيي دولة آل كثير ،وإنهم له مسعدون وناصرون، واستفزت الأريحية ابن عيسى مبدر فخف إلى شبام واستولى عليها كما يأتى . وبذلك انتهت دولة آل عمر بن جعفر .

خروج المكرمى :

خرج حسن وهبة المكرمى فى النصف الأخير من القرن الثانى عشر وهو من البحرين من جهة عمان — خرج إلى حضر موت وحط على شبام حرسها الله ومعه جيش كبير من نواحى اليمن وطال حصره لشبام واضطربت حضر موت لقدومه وظل الناس فى خوف شديد وحارت العقول فى شأنه . وكان الإمام محمد بن زين بن سميط العلوى يهدىء الناس ويقوى عزائمهم ويعدهم بالفرج والنصر ، وكان يشجع الجند حماة البلاد ويثبتهم . وقد كاتب المكرمى وأحسن له الخطاب ، وقال له فيه : إن الأولى لك أن تنصرف عن البلدة مازلت مجللا محترماً وإلا فما يدريك ماذا يكون بعد . فردعليه المكرمى ردا جميلا . وكان السيد المشار إليه كهفا وملجأ ومنشطا للجند الوطنى حتى قال بعضهم : لولا الحبيب محمد لاختذلنا .

وكان يقول لهم اثبتوا فالأمر هين دون ماتتوهمون . ولم تطل إقامة المكرمى تحت شبام بل رحل عنها مكسورا بعد أن هلك من رجاله العدد الكثير واضطر إلى المصالحة بعد أربعين يوما .

والرجل أباضى ومعه من الجند نحو الأربعة آلاف ، فكان يتظاهر بنصر الشريعة الغراء ويدعى أنه إنما جاء لمحو سلطة الطاغوت . وكان ذلك فى عصر الإمامين العلويين محمد بن زين بن سميط وسقاف بن محمد الصافى . ولما أظهر المكرمى من العدل ونصرة الشريعة كتب الإمام سقاف إلى الإمام محمد بن زين يطلب منه الدعاء للمكرمى والدعاية له ، فأجابه إن يك هو على حق فإننا نكتفى فى الوقت الحاضر بدعاء المنابر له . يشير إلى قولهم : وأصلح من فى صلاحه صلاح المسلمين الخ . .

ولكن المكرمى لم يلبث أن أظهر ماهو منطو عليه من الدعوة الأباضية واندفعت جنوده فى نهب الأموال وانتهاك الحوط وقطع السبل واهلاك الحرث . فانقلبت الدعاية ضده ونفرت القلوب منه .

ويقال أن المكرمى كان صاحب سحر وشعوذة وطلاسم : وإنه لما حط رحاله تحت شبام وسكن فى بعض بيوت السحيل وحار فى أمرها اعتزل الناس فى موضع وحده وجعل ينصب أعلاماً معه ويتمتم بتمايم ويسطر طلسمات لم تغن عنه شيئا .

بدء الجهود العلوية

وما ذكرناه من التلاعب السياسى والفوضى الاجتماعية وما سنذكره ، إنما هو جزء من كل وقليل من كثير . ويكفى بعض هـذا لأن يحدو بالسادة العلوية إلى الجهاد فى سبيل إقامة دولة عامة تقضى على تلك الفتن السائدة فى القطر وتريح أهله منها .

ولم يك هذا بالأمر الهين على قوم عزل من السلاح لا يملكون سوى نفوذهم الروحى وهممهم الصادقة وهى التى تأتى بالعجائب ، وتقرب المستحيلات .

الإمام طاهر بن الحسين :

وطال الأمد على السادة العلوية وهم يتلمسون المظان الكافلة بالنجاح فى إقامة دولة صالحة بالقطر الحضرمى . ثم قادهم التفكير بعد اليأس من إصلاح دويلات القطر وتوحيد كلمتها إلى مبايعة الحبيب طاهر بن الحسين بن طاهر بن محمد بن هاشم العلوى فاجتمعت كلمة أعيان السادة ورؤساء القبائل من تميم وآل كثير وغيرهم على توليته إماماً. وأن يحمل كل فرد منهم السلاح للنضال عن الحق ونصرة الشريعة. وقامت الحركة على قدم وساق ونشطت الهمم، وتسلح الإمام طاهر نفسه ولقب بناصر الدين. وكان يخطب الناس فى الجمعة متقلدا سيفه وحاملا بندقيته.

ولم يبق للناس حديث إلا فى هذه النهضة فمن محبذ ومن مفند . وزحفوا على تريم وحصروها طويلا لإبعاد الفوضى عنها . وكان يمشى معه من متسلحى السادة العلوية دون غيرهم ثلاثمائة متسلح وقد ليم على حمل السلاح ونبذ مبدأ الفقيه المقدم من كسر السيف وخلع السلاح . فكان يقول : لو حضر الفقيه زماننا هذا لأمر بتجنيد النساء فضلا عن الرجال .

ميلاد الإمام طاهر ونشأته :

ولد سيدنا الإمام طاهر بن الحسين العلوى بتريم فى ٤ شعبان سنة ١١٨٤ هـ ونشأ بها نشأة دينية نزيهة بعيدة عن الكدورات والسفاسف وربى فى حجر أبيه الحسين . وربما سافر أبوه فتقوم بكفالته عمته أخت أبيه السيدة العريقة

فى العلم أم كلثوم . وهى التى يقال عنها أنها تجمعت لديها كل شروط القضاء غير الذكورة .

وحفظ الإمام طاهر فى طفولته القرآن حفظا جيدا فكان يقرأه بتجويد تام ولا يكاد يغلط فيه ، وكانت عمته أم كلثوم تراقبه وأخاه عبد الله مراقبة شديدة وتحرسهما نهاية الحراسة عن مخالطة الأغيار والأضداد بل وعن الاتصال بهم . فكانت تحتم عليهما إذا ذهبا إلى الكتاب أن لا يذهبا إلا من طريق معين ويعودا به نفسه . وأذكت عليهما العيون والأرصاد فألزمت أناسا أن يوافوها بأخبارهما خارج الدار . وكان دخول السوق ممنوعاً عنهما بتاتاً . فترعرع الإمام بتريم طالبا للعلم ، مترددا على فضلائها مكبا على تحصيل العلوم والمعارف حتى غدا شابا مهذبا يستضاء بعلمه ، ويقتدى بفضائله ويلتجأ إلى آرائه .

وفى حدود سنة ١٢٠٨ هـ وكان سنه إذ ذاك ٢٤ سنة نقله وسائر العائلة والده الحسين من تريم إلى مسيلة آل شيخ كما مر حيث توفى فى سنة ١٢٢٠ وبزغت شمسا الإمام طاهر وأخيه عبد الله وأصبحا إمامين يشار إليهما فى العلم والفضل والإصلاح .

علمه وفضله :

وهنا لا يسعنا إلا أن ننقل شيئا مما كتبه عنه معاصره الشيخ العلامة عبدالله بن أحمد باسودان فى كتابه شرح خطبة الحبيب طاهر لأنه لم يكتب ما كتبه إلا عن خبرة صادقة ومشاهدة عيان . قال : كان سيدى طاهر آية فى الذكاء والفهم جيد الحفظ وافر العقل حسن التصرف فى علوم الأثر والرسم كامل الاتباع لجده المختار وسلفه الأبرار يستمد فى علومه ومعارفه من بحره التيار .

واعلم أن هذا الإمام لم يعن بالتصنيف ، ولم يرد من مناهل الجمع والتأليف إلا بعد أن حقق فى فنون العلوم الشرعية وزاحم عليها ، وشارك فى تحريرها رواتها وناقليها حتى صار منطويا فى عدادها دارة عليه بأمدادها مصحوبا عليه بالأعمال الزكية متبعا فيها الآثار النبوية حتى صارت علومه وأعماله وأقواله وأفعاله متناوبة فى التأثر والتأثير ولسان الحال والمقال منه يتعاوران فى التعبير إلى أخر ما قال .

قال : وأما إذا ذكرت الاستقامة فهو جذيلها المحكك ، وعذيقها المرجب كما قيل فى القائم على الصراط المستقيم أى أنه ذو استقامة لا ينصرف عنها بالكرامة ، ولا يلتفت إلى الملامة . فمن شاهد أحوال هذا الإمام علم أن الوصف لازم له لزوم الطوق للحمام .

وكان ملازما للوسط فى جميع أموره معرضا عما لا يعنيه من أحوال نفسه وغيره مبالغا فى الأخذ بالاقتصاد فى الملبس والمطعم على الوجه الأتم . وكان مستتر بلا بثوب العفاف حتى يرى أنه من الأغنياء حين يؤثر أهل الفقر والأجحاف ،

قال : والحاصل أن هذا السيد الإمام قد تحلى فى ظاهره وباطنه بحلية التقوى وتمسك منها بالعروة الوثقى وصبر على تحقيقها والاتصاف بمعناها صبر المريض على الدواء كما كان عليه سلفه الخواص سادات الطريقة الصوفية أرباب الخصوصية والاختصاص .

وأما زهده فى الدنيا وعزف نفسه عن زينتها وعدم الرغبة فيها وفى جاهها وعزها وسياستها التى يتهدف بغرورها للهلاك كل غمر سفيه ، فقد جمع ذلك وجعله تحت عقبه وداس عليه . وبالجملة فإنه بما جمعه من مكارم الأخلاق ومحاسن الأوصاف وما أشرق عليه من أنوارها بلا أفول ولا انمحاق صار بحيث يقال أنه أمة وحده وأنه السواد الأعظم والجماعة والحجة والاجمال . انتهى كلام باسودان .

ما كتبه عنه صاحب الشجرة :

كتب جامع شجرة السادة العلوية العلامة السيد عبد الرحمن بن محمد المشهور عند كتابة اسم الحبيب الإمام طاهر مايأتى : ـ هو أمير المؤمنين الإمام العظيم والحبر الفخيم الداعى إلى الله فى سره وإعلانه والمناضل عن الدين بلسانه ويراعه وسنانه ، الباذل حاله وماله فى إقامة الشريعة ، المتمسك من الجد والعزم والتقوى بأقوى ذريعة . العالم العامل النحرير الذى لم يوجد فى وقته ولا بعده نظير ، فضله مذكور وصيته مشهور . ذا نسك وعبادة ، وخوف وزهادة ، وكان يبكى من خشية الله الدم بعد الدموع . نشأ بتريم وتخرج بمشايخ عصره وانتفع به كثيرون .

شيوخه ومن أخذ عنهم :

قال صاحب عقد اليواقيت : وسيدنا الحبيب طاهر رضى الله عنه أخذ أخذاً تاماً عن الحبيب أحمد بن حسن الحداد ، وولديه عمر وعلوى ، ولبس الخرقة منهم . وأخذ عن الحبيب حامد بن عمر ، وعن ولده الحبيب عبد الرحمن بن حامد ولبس الخرقة منهما وأخذ أخذا تاما ، ولبس الخرقة عن الحبيبين العارفين الأجلين عمر وعلوى ابنى الحبيب سقاف بن محمد بن عمر بن طه السقاف قرأ عليهما وتردد إليهما وأكثر عن الحبيب عمر وانقطع إليه وتحكم له .

وأخذ أخذاً تاما عن الإمام عبد الرحمن بن علوى مولى البطيحاء تفقه به وقرأ عليه . ومن مقروآته عليه فى الفقه فتح الجواد لابن حجر بتمامه ولبس الخرقة منه . وأخذ عن السيد عبد الرحمن وعبد الله بافرج . وعن السيدين الجليلين عبد الله وعمر ابنى محمد بن سهل ولبس منهما . وكل هؤلاء السبعة أخذوا ولبسوا الخرقة عن الحبيب حسن بن عبد الله الحداد ، بل لبس الخرقة الحبيب طاهر من يد الحبيب حسن بلا واسطة . ولبسهما من الحبيب جعفر ابن أحمد بن زين الحبشى ، ومن الحبيب عمر بن زين بن سميط . وهما عن سيدنا الحبيب أحمد بن زين الحبشى . وأخذ أيضا عن السيد الفريد فقيه الزمان الشيخ الإمام عبد الله بن أحمد بن عمر الهندوان وهو أخذ ولبس عن والده وعن الحبيب عبد الله الحداد .

وأخذ الحبيب طاهر أخذاً تاما ولبس عن الحبيب عيدروس بن عبد الرحمن ابن عبد الله بلفقيه . وعن الحبيب العلامة سقاف بن محمد بن عيدروس الجفرى ، ولبس من السيد الجليل عيدروس بن عبد الرحمن البار ، ومن السيد العارف أحمد بن على بن أحمد البحر القديمى اليمنى ، ولبس من الشيخ منصور ابن يوسف البديرى عن السيد الإمام مشيخ بن علوى باعبود ولبس من السيد زين العابدين بن علوى جمل الليل المدنى . ومن الشيخ الكبير محمد بن عبد الرحمن الكزبرى . وهما عن الشيخ حسن بن ابراهيم الكردى ، وهو عن أبيه ، وهو عن الشيخ أحمد بن محمد القشاشى .

ولسيدنا الحبيب طاهر اجتماعات بالسيد الإمام محمد بن عبد الرحمن الزواوى . والشيخين محمد صالح الرئس ، وعمر بن عبد الكريم العطار ، والشيخ محمد بن

حاتم . وشيخنا وحيد الوقت والزمان عبد الله بن أحمد باسودان . وكل منهم ألبسه ولبس منه وانتفع بهم وانتفعوا به .

مصنفاته :

للإمام طاهر كمية نافعة جداً من التآليف الممتعة من يطالعها يحس فى نفسه بزيادة من الخير . ويعرف قدر الرجل وتأثير نفثاته فى تلقيح الأفكار . فمن مصنفاته : الخطبة الشهيرة وكفاية الخايض فى علم الفرايض . واتحاف النبيل بشرح حديث جبريل . ووصيته للحبيب عمر بن زين الحبشى . ومثلها وصايا كثيرة لمريديه كلها نافع . والمقالة الواضحة فى جواب السؤال عن الفاتحة ورسالة فى تحريم المشط بالتمر المزوج بالورد كما هى العادة فى زمنه . وديوان نظم . وأجوبة كثيرة عن مسائل شرعية . والمسلك القريب لكل سالك منيب . ودعاء أسماء الله الحسنى إلى غير ذلك .

إصلاحاته :

لم يزل هذا الإمام منذ تبوأ « المسيلة » مسكنا له شغوفا بالأصلاح بين المتخاصمين ، ساعيا فى اطفاء الفتن ، ناشرا أعلام الحق حاملا معاوله لهدم الباطل فكم من فتنة درأها ، وبدعة أماتها ، وهذه مكاتباته نبراس يضيء لنا شيئاً من مجهوداته العظيمة التى كان يبذلها بسخاء وطيبة خاطر ، فليطلبها من أرادها . غير أننا لا نضن على قارئنا بأنموذج منها يرتاح به الخاطر ، ويزداد به المطالع خبرة بما جريات ذلك الجيل .

بين الكسادى وابن بريك :

نشأت ناشئة فتنة بين الكسادى صاحب المكلا وبين ابن بريك صاحب الشحر واستفحل الشر بينهما ، وتضرر الناس . وتعرقل سير القوافل ، فتدخل المترجم له بين الطرفين وأرسل مندوبه إليهما يحمل لكل منهما كتابا نثبت هنا من كتابه لهما ما يلزم . فوصل المندوب ودفع لكل منهما كتابه ثم جرى على الخطة التى قررها الإمام حتى انحلت المشكلة وحصل الصلح .

كتابه للكسادى :

من طاهر بن حسين إلى الصدر الرئيس المقدام النقيب عبد الرب بن النقيب صلاح الكسادى . . . وأخبار الجهة كما تبلغكم ، والزمان مع عدم الشوكة والسلطان . ثم أنه بلغنا ما صار بينكم وبين ابن بريك من الأحوال بأسباب لا توجب هذه الأمور ورجونا خمودها وجمودها لعدم السبب المقتضى لذلك . فتمادى الأمر وتطاول الحال . وأفضى إلى جمع أقوام وتحمل أثقال . يهلك تحتها الراعى والرعية وتكبر بها الفتنة ، وتعظم البلية وتطول بها القضية . وليس الحاصل على ذلك إلا حظوظ ردية وعدم تدبير بالكلية . ولو سددتم الأمور من أولها وحسمتم مادة الفتنة من أصلها لارتفع الخرق والتأم الفتق . وأنتم تعلمون ما يترتب على ذلك من الفساد وما يؤول إليه من هتك البلاد والعباد ، وقد عرفتم ذلك بما سبق من الفتن وما مر عليكم فى سابق الزمن ، فإن الفتنة ما تحتها طائل ، وإنما هى كما قال القائل : تهلك المال والرجال . والعاقل يدير الأحوال . والحليم يسعى فى إخماد الفتن . ولا يحرك منها ما سكن وإذا بدا دخانها ، واشتد غليانها ، شمر لإطفائها ، وبذل جهده فى تحصيل دوائها ، ولا يصغى لأقوال العذال ، ولا إغراء السفهاء والأنذال ، بل يعلم ويتحقق أن العز والفخر فى احتمال الأذى والمحن ، ودفع السيئة بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ، ولا يصلح الراعى إلا بحال الرعية . وأين الصلاح من هذه الآية . لقد هلك العباد والبلاد ، وانتشر الشر وزاد . والسبب عدم النظر فى أوائل الأمور . فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور . والمطلوب بهذا كله بذل النصيحة وأنكم تقبلون ما يعرض عليكم مما فيه يحصل السكون وينسد باب الفتنة كيف يكون .

وهذا المحب الصادق الأود الشيخ سعيد بن محمد رجل مبارك يحب الاصلاح والسعى فى أمور الخير ونيته صالحة فيكم ، وهو محب لكم ومود فى جنابكم إن شاء الله يكون على يديه سد هذا الباب . وأنتم منكم المساعدة بالموافقة والمطابقة ، وارموا بالحمية والعصبية ، واسلكوا السبيل المرضية ، والشفقة بالرعية ، تنالوا بذلك عز الدنيا والآخرة . وكل رتبة فاخرة » .

كتابه لابن بريك :

« من طاهر بن حسين إلى النقيب ناجى بن على بن بريك الصدر المحترم .. ثم أنه بلغنا ماوقع عندكم من الحركة والحادث الباعث بينكم وبين الكسادى ووجبت علينا النصيحة ، وبذل ماتقتضيه المحبة والمودة الصحيحة . فاعلم يامحبنا أن الفتنة آخرها قتال . وهلاك المال والرجال ، وبتقدير الظفر والكرامة فليس فيها سلامة . بل هى شوم وملامة . وحسرة وندامة . فى الدنيا ويوم القيامة . وقد رأيتم ماقتضته الفتنة السابقة . وما أدت إليه من الأحوال الشاقة ، وما حصل بها من الضرر الكثير ، الصغير والكبير ، من هلاك البلاد والعباد ، وتقطع أسباب المعاش والمعاد . وباقية آثارها إلى الآن كما هو مشاهد بالعيان . والانسان على نفسه بصيرة . والعاقل طبيب نفسه . وقدقيل : لايقوم الملك إلا بالجند ولا الجند إلا بالبلاد ولا البلاد إلا بالرعية ولا الرعية إلا بحسن السياسة .

وأنتم تعلمون ماتقضى إليه هذه الأحوال من الفساد والتخريب الذى يعيى كل طبيب »

إلى أن قال بعد اطناب طويل فى النصيحة : —

ثم إن محبنا الشيخ سعيد بن محمد بن سليمان الزبيدى رجل صافى الطوية ، صالح النية ، لايريد إلا الخير والأصلاح ، واصل إليكم لسد هذا الباب واصلاح ماوقع من الخراب . فليكن منكم الانصات والقبول والموافقة والمطابقة إلى مامنه الخير يؤول . فما فى هذا الشأن غالب ولا مغلوب ، ولا طالب ولا مطلوب ، ولكن كله عيوب وذنوب ، فأنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور . والفضل لمن ترك هذه الأشياء ورفضها . والفتنة نائمة لعن الله من أيقظها . ورفعة المقدار والثناء ، والذكر عند الأخيار وأهل البصائر والأبصار . إنما هو لمن عفى وأصلح ، وآثر ماهو أنجح وأرجح . يحصل له بذلك العز والوقار . والمهابة عند الأخيار والأشرار . والنعيم المقيم فى الدنيا ودار القرار .

وهذا منا أداء للنصيحة الواجبة التى يقتضيها الدين وما بيننا من المعرفة والمودة . ونرجو أن تكون لديكم مسموعة . وعلى الرأس مرفوعة . فان

من يدلك على رشدك . ومايعلو به قدرك ومجدك ، وينهاك عن أسباب الشقاق ، ودنيء الأخلاق ، هو محبك حقيقة وإن كان أبعد بعيد ، ومن يغريك بالفساد . ويفتح لك أبواب النكاد . هو عدوك حقيقة وإن كان أقرب قريب . وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم والسلام .

حرر ١١ ربيع الثانى سنة ١٢٣١ .

بين آل مرساف وآل عبد الشيخ :

آل عبد الشيخ وآل مرساف بطنان من تميم ، وهما متجاوران فى الموقع ، ولكل منهما كما لبقية قبائل آل تميم منطقة نفوذ لاتتعداها . تشمل هذه المناطق نخيلا ومزارع لمتمولين شتى ، وقد جرى العرف على أن لكل قبيلة حق الحماية للأموال التى تشملها منطقتها وتسمى الحماية فى عرفهم (شراحة) والمنطقة النفوذ (شايم) وليس للعلاك حق قط فى تحويل الشراحة إلى من يريدون .

وقد نجمت فتنة بين هاتين القبيلتين بسبب شايم شراحة لطائفة كادت تنقرض يقال لها آل حمتوش . واجتمع رأى المتمولين فى تحويل شراحة هذه الطائفة لآل مرساف . فاعترض ابن عبد الشيخ بحجة أن حمتوش ربيعة وأنه لايرضى بانتزاع شايمه منه . وطال النزاع حتى التحم القتال بين الفريقين .

فكتب الإمام طاهر إلى آل عبد الشيخ بباعطير كتاباً يشدد عليهم فيه الأنكار ويخبرهم بأن صاحب المال له الحق فى ماله . وقد أجابوه بجواب يدل على تعقل كبير وأدب غزير وكظم لمشاعرهم الثائرة يحاولون أن يقنعوا الحبيب طاهر بان حمتوش تحت رباعتهم وأن انتزاع الشايم منهم يعد خرقاً لرباعتهم ، ودوساً لشرفهم يكسبهم عاراً ومذلة بين القبائل . فهم يلتمسون من الحبيب طاهر أن يقدر ذلك . وأن ينظر إلى الطرفين بعين واحدة . . .

فأجابهم بما لفظه بعد الديباجة :

وبعد فقد وصل إلينا كتابكم . ونحن كما ذكرتم نرى الجميع بعين واحدة . ولكن كل من يحب المكارم ، ويسعى فى خدمة المسلمين . ونصرة الضعفاء والمساكين فهو محبنا وصديقنا كائنا من كان وكل من يسارع إلى الدنايا ويميل إلى سفاسف الأمور . وضر الضعفاء والمساكين فهو عدونا وبغيضنا كائنا من كان . ومن اوثق عرى الايمان بغض العاصى وحب المطيع .

وذكرتم ابن حمتوش ربيعكم فلا بأس . رباعكم تام . فمن غصبه أو نهبه أو ضربه أو قتله أو ظلمه بأى وجه كان ، وجب عليكم القيام لنصرته والمطالبة بحقه من غير ملام ولا حرام . وأما إن كنتم ربعتوه ليتسلط على السادة والمساكين بالضرب والغصب والسب والشتم وأهلاك أموالهم فهذا رباع ماسبقكم إليه أحد من قبائل حضر موت لايافعى ولا شنفرى .

وأنتم أولاد سالم بن عمر ، وأبوكم مقدم ، ورئيس قبيلته . وله السهم الأوفر فى المكارم ، والمسارعة إلى الخير ، وأفنى وقته كله فى الأصلاح ، وخدمة أهل البيت والمساكين ، ورفع كل باطل منكور . وأنتم لايليق بكم ولا يحسن منكم إلا اقتفاء آثاره والسير بسيرته . فهذا الذى نحبه لكم ونرضاه إلى أن قال :

استمعوا النصيحة فإنى لكم من الناصحين . وأحب لكم ما أحب لنفسى من الخير . وما أطلت الكلام إلا لأن والدكم كان يستشيرنا ويصغى لكلامنا فمن حق المودة أن نبين لكم مافيه صلاحكم . ولكم بذلك الذكر الجميل . فإن أنتم ممتثلون لرأينا وقابلون لنصحنا . ووقع كلامنا فى بالكم فصلوا إلينا ونحن نعرفكم مايصلح ويخرجكم من الحرج والضيق . وإن أنتم عندكم خلاف فلكل شىء غاية . والله ولى التوفيق والسلام .

طاهر بن حسين بن طاهر

وكأن الفتنة قد تفاقم أمرها واستطار شررها فتدخل فى إصلاحها المقدم ابن يمانى رئيس آل تميم فلم ينجح . ورأى أن يعتزل القوم غاضباً ويقف وقفة المتفرج . ففاجأه مكتوب من الحبيب طاهر استهله بقوله :

الحمد لله ناصر من نصره . إن ينصركم الله فلاغالب لكم كما فى الآية المشتهرة والصلاة والسلام على سيدنا محمد حتف الطغاة البغاة العصاة الفجرة وعلى آله وصحبه الكرام البررة . وعلى المحبين الصادقين الرؤساء الصدور الأخوال المقدم أحمد بن عبد الله بن يمانى والمقدم عبد الله بن عوض بن عمر بن قرموص لازالا بنصرة الحق قائمين . ولخذلان أهل الباطل ملازمين آمين .

الموجب من أجل قضية آل باعطير وآل مرساف . قد صار عندكم العلم التام بها والاطلاع الكامل عليها . وقد دخلتم فى قضيتهم وسعيتم فى إصلاحها ، ونبذوا كلامكم وراء ظهورهم . وهذا الأمر ان وقع فيه السكوت والتهاون تكن فتنة

فى الأرض وفساد كبير ، وانتقام عام من اللطيف الخبير . قال تعالى : ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . وقال تعالى : وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان . إلى اخر ما كتبه .

والكتاب مطول وحاصله الحث على اصلاح القضية ولو بالقوة وعلى التحريض على القيام على الباغى .

وجاء الكتاب من المقدم يطلب من الحبيب طاهر أن يكتب لجميع آل تميم ويجمعهم فى قسم بلدة المقدم ليصبح بهم آل باعطير . فأجابه الحبيب بما نصه .

إلى الجناب المكرم الرئيس المقدم الصدر عبد الله بن أحمد بن يمانى حفظه الله . بعد السلام . وصل كتابكم الذى لنا وللجماعة . وكتبنا لهم وحثثناهم وحرضناهم وهم واصلون اليك . الحال عوض مشغول بزواج أخيه . قد وصل منه كتاب اليوم وذكر أنه باينفذ إليكم السبت . ولعل آل تميم يتقدمون . أجبناه بأن آل تميم مايسيرون إلا بمسيرك وأنت تقودهم وإن شاء الله الجمعة يصلون إليكم . وأنتم صلبوا الكلام ، وقوموا المقام ، واصدقوا وانصحوا ، وبالجد والصبر تنال الآمال ، وتصلح الأحوال ، وأن نفع الأنام أفضل من الصيام والقيام ، وكل يقيمه الله فى مقام . والسلام عليكم ورحمة الله وعلى من لديكم كافة .

طاهر بن حسين بن طاهر

وفعلا اجتمع القوم وشددوا على المتحاربين . وقبل ابن عبد الشيخ حكم المقدم بشرط أن له أن يناقده لدى رئيس قبيلة باجرى من الشنافر .

وكتب الحبيب طاهر كتابا إلى الرئيس بدر بن على باجرى يبين له أصل القضية ويستحثه على فصل الحكم بالحق والعدل .

هذه قطرة من بحر طام بعيد القاعة بعيد الجوانب من جهوده الإصلاحية ، وعلى هذه فقس ماسواها .

مبايعة الناس له :

فى سنة ١٢٢٠ هـ النهبت نيران الفتن واندلع لسانها المهيب فى القطر كله ، وأصبح كل من أفراد الأمة خائفا على نفسه وعلى نفيسه من المال والعرض . وفى

ذلك العصر الرهيب أقبل ذوو البشوت آل ابن قملا ـ كما ذكرنا فى دولة آل عمر ابن جعفر ـ فعاثوا فى الأرض فسادا وكانوا ضغثا على أبالة . فازدادت الحالة حراجة وتسلسلت الكوارث يتلو بعضها بعضاً .

فاضطر الإمام طاهر إلى دعوة أولاده ورجال عشيرته وبلدته إلى حمل السلاح والدفاع عن أنفسهم وأموالهم وحرمهم المعرضة للخطر ، ثم مالبث مبدأ حمل السلاح أن انتشر بين كثير من السادة العلوية وعضدهم فى الدفاع ونصرة الشريعة جماعة من قبائل القطر .

وجاءت فكرة الثورة على الحالة السوداء التى يكابدها وادى الأحقاف . وقام أعيان السادة وعقلاء العشائر يندبون بها . ويفكرون فى القضاء عليها بأيديهم ، ويوالون الاجتماعات ، ويتداولون الآراء فى ذلك . حتى قر رأيهم على مبايعة الحبيب طاهر على إحياء الشريعة المطهرة ، والقتال فى سبيل ذلك تحت رايته .

أول اتفاق بينه وبين السادة :

فى أواخر شهر ذى الحجة سنة ١٢٢٥هـ وزعت رقاع الدعوة على أعيان السادة العلويين المجاورين فاجتمعوا بمسيلة آل شيخ وبعد الأخذ والرد طيلة اليوم وقع الحاضرون على وثيقة الاتفاقية الآتية بنصها وفصها وتوقيعات رجالها كما ترى وهى هذه :

بسم الله الرحمن الرحيم واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا . وحسبنا الله ونعم الوكيل . الحمد لله وبه الثقة والاعتصام ، وعليه التكلان . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم نعم النصير والمستعان . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله نجوم الاقتداء وأئمة الاهتداء فى كل أوان . وصحبه والتابعين لهم بأحسان .

(أما بعد) فهذا ما حضر عليه السادة الذين تيسر اجتماعهم واجتمع عليه رأيهم ، واتفقت عليه مشورتهم . وهم الحاضرون الآن السيد عبد الله بن علوى العيدروس ، والسيد محمد بن عبدالله بن يحيى ، والسيد عبد الله بن الحسين بن محمد شهاب الدين ، والسيد أحمد بن على بن شيخ بن شهاب الدين ، وعمر بن أبى بكر بن يحى ، وأحمد بن أبى بكر عيديد وعبدالله بن أبى بكر بن سالم عيديد كلا منهم عن

نفسه وعمن رضى من إخوانه وأصحابه وقبيلته ووضع قلمه من سائر العلويين على أنهم يقومون بالحق بينهم على ما قال الله ورسوله وعليهم فى جميع الأشياء باللطف والإحسان من غير عنف واستكبار ، وأن الإشارة فى ما يتعلق بهم وينوبهم فى أمر دينهم ودنياهم وسائر أحوالهم للسيد الشريف طاهر بن الحسين بن طاهر العلوى على قانون الشرع الشريف واتباع الحق بحسب اجتهاده ونظره وعرفه شرعاً وسياسة . وله المشاورة لمن شاء . والاستعانة والاستكفاء بمن شاء . ومن أشار عليه بأمر أو استعان فى حال به فعليه الامتثال . وإن نابتهم نائبة أو أحدهم من بعضهم البعض أو من غيرهم فكلمتهم واحدة ويدهم واحدة فى دفعها بحسب الاتفاق والإمكان وما يليق وما يحسن منهم . اتفق المذكورون . أسوة بسيد المرسلين . وقدوة بالسلف الصالحين . والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

أقر بذلك علوى بن محمد بن عبد الرحمن العيدروس . أقر بذلك عبد الله بن محمد بن شهاب أقر بذلك عبد الله بن أبى بكر بن سالم عيديد . أقر بذلك أحمد بن على بن شيخ بن شهاب . أقر بذلك عمر بن أبى بكر بن يحيى . حضر على ذلك على بن سهل بن عبد الله بن سهل . رضى بما ذكر محمد بن عبد الله بن يحيى . حضر ذلك على بن أحمد العيدروس حضر ذلك أحمد بن أبى بكر عيديد . أقر بذلك أحمد بن علوى بافرج . حضر ذلك حسن بن علوى بن عمر العيدروس وولده محمد بن حسن . حضر ذلك أبو بكر بن على بن عبد الرحمن العيدروس . حضر ذلك حسين بن مصطفى بن حسين العيدروس . حضر ذلك عبد الله بن عمر بن أبى بكر بن يحيى . حضر ذلك عبد الله بن حسين بن محمد بن شهاب . حضر ذلك عيدروس بن عبد الرحمن بن على بن شهاب . أقروا بما ذكر حسين وعبد الله وعمر بنو أبى بكر بن حسين عيديد . حضر ذلك حسين بن حسن بن أحمد العيدروس . حضر ذلك جعفر بن زين العيدروس .

الاجتماع الثانى والعهد :

وبعد الاجتماع الأول بأسابيع وقع اجتماع ثان وتقرر فيه التوقيع على ما يأتى نثبته بحروفه وتوقيعات رجاله — :

الحمد لله فى آخر محرم سنة ١٢٢٦ اتفق وحضر السادة الأشراف الآتى

ذكرهم من السادة العلويين وكل منهم وضع محضره بيده عنه وعن كل من ينوب عنهم واجتمع رأيهم وانضم شملهم على ما أمر الله بالاجتماع عليه بلسان رسوله صلوات الله وسلامه عليه من التعاون على البر والتقوى . وإعلاء كلمة الله لهم وعليهم وما اختلفوا فيه فمردود إلى الله ورسوله وذى الأمر منهم وهو من ارتضاه السيد القايم طاهر بن الحسين بن طاهر عند اجتماعهم إليه وأنهم متبعون لما قاله ، مرتضون بمن أقامه ، وأن يدهم واحدة لتأييد الحق متتابعون فيه بأحوالهم وأموالهم . ممتثلون لمن أقامه السيد الطاهر . أعطوا الله بذلك من أنفسهم عهوده الأكيدة . ومواثيقه الشديدة وهم كما ترى فى وجه المسطور .

صيغة العهد :

يقول كل واحد منهم : على عهد الله وعهد رسوله بأنى تابع ما قال الله ورسوله وما شملته الوثيقة . وأن أبانا طاهر بن حسين تابعين لما قاله وصرفه واختاره لنا .

حضر ذلك السيد الشريف عبدالقادر بن جعفر الحبشى . حضر ذلك ورضى به علوى بن عمر بن سالم الجفرى . حضر ذلك السيد على بن عمر بن أحمد العيدروس . حضر على ما شمله المسطور الشريف على بن محسن بن عمر العيدروس عفى الله عنه . حضر ذلك السيد حسن بن عبد الله بن علوى الحبشى . حضر على ذلك جعفر بن هاشم بن على بن أحمد بن جعفر الحبشى . حضر ذلك السيد الشريف محمد بن أحمد بن عمر العيدروس . حضر على ذلك السيد عبد الله بن أحمد بن حسين الحبشى عفى الله عنه . حضر السيد أحمد بن سالم الحبشى . حضر على ذلك السيد حسين بن شيخ بن أحمد العيدروس عفى الله عنه . حضر على ذلك محسن بن علوى بن أحمد بن عيدروس الحامد . حضر على ذلك يحيى بن أحمد بن جعفر . حضر على ذلك السيد الشريف عمر بن شيخ بن عمر ابن أحمد العيدروس . حضر على ذلك جعفر بن أحمد بن جعفر الحبشى . حضر على ذلك السيد علوى بن أحمد بن عبد الله العيدروس . حضر على ذلك حسين بن أحمد بن عمر العيدروس . حضر على ما شمله المسطور العبد الفقير صالح بن أحمد ابن جعفر عفى الله عنه . حضر على ذلك على بن حسين بن عمر بن أحمد العيدروس .

حضر على ذلك عبد الله بن أحمد بن جعفر الحبشى . حضر على ذلك عمر بن حسين مرزق على كافة آل مرزق . حضر على ذلك محمد بن على بن عبدالرحمن ابن شيخ بن شهاب . حضر ذلك محمد بن عبد الرحمن الكاف . حضر على ذلك ابراهيم بن زين بن يحيى . حضر على ذلك الفقير إلى الله محمد بن عبد الرحمن البيتى .

بينه وبين آل تميم :

واجتمع بنو تميم بمسيلة آل شيخ ، وتكلم فيهم الإمام . ثم قام الحبيب عبد الله بن علوى العيدروس فتكلم عن وجوب النهضة والثورة ضد الباطل وتداول الكلام جماعة من تميم . ثم قر رأيهم على الاتفاقية الآتية بحروفها :

بسم الله الرحمن الرحيم « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتهم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ماتفعلون الحمد لله الذى أمر بالجمعية والاتفاق فقال واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وزجر عن التنازع والافتراق فقال ولا تنازعوا فتفشلوا والصلاة والسلام على سيدنا محمد الداعى إلى الله بغاية الأرفاق وعلى آله وصحبه التابعين لهم على الوفاق . أما بعد فقد حصل الاجتماع والاتفاق بين السادة العلويين بواسطة القائم من طرفهم والنائب عنهم برضاهم الفقير طاهر بن الحسين بن طاهر وبين المحبين الموفقين آل تميم وهم من آل قصير الحتيش بن عمر وعبد الله بن عوض وعلى بن سعيد وأخيه أحمد وولده مبارك وعوض بالحتيش وعلى بن محمد وسعيد وعلى وناصر بن محمد بن سعيد بن على وعمر بن أحمد بن غيدان . ومن آل شملان طالب بن عوض وعمر بن عوض وعمر بن عثمان وعوض بن سالم وأحمد على وعوض دحنان . ومن القرامصة عوض بن عمر وحصر بن عوض وعبد الحبيب وسالم بن عبد الله علاو وفتيح أخيه وعوض أخيه وعوض بن على وناصر أحمد وعبد الله بن ناصر وعلى وريس ابنا عمر بن عوض . ومن الفلاهمة أحمد بن ناصر وسالم أخيه وناصر وسالم وعلى ابناء محمد بن على وسعيد الحومى وعلى وسعيد ابنا عوض بن على ومحمد بن أحمد بن هدنة وولده دريس ومحمد بن سالم آل عيسى وسعيد بن أحمد الهيج وسالم على بن أحمد . ومن آل أحمد بن زيدان على بن عمر وولده وعوض بن سعيد وأحمد بن مبارك وسالم وعمر ابنا محمد

ابن على وسالم بن محمد بن عبوده وسالم بن عوض وسالم بن عبد الله . ومن آل حفى سالم بن عمر بلحفى وأحمد بن على بن عمر وناصر بن سعيد وعبد الله بن سعيد وعبد الله بن سعيد بن عميران وعبود بن عوض . ووقعت البيعة الأكيدة من المذكورين ومن سيضع قلمه غير المذكورين والعهد الوثيق للسيد طاهر على أنهم نصرته وأعوانه وتبعته فيما قال الله ورسوله وعلى اعلاء كلمة الله وتنفيذ أحكام الشريعة وأنهم مطيعونه وممتثلونه فيما أمر ونهى مما يوافق حكم الله ورسوله يوالون من والى ويعادون من عادى ولا يدخلون فى أمر ولا يخرجون منه إلا برأيه ومشورته ورضاه وأن كل مابينهم من قتل وجرح وفرث ودعوى ومشاجرة فى عاداتهم وقبيلتهم قبل التاريخ فى كل ذلك صلح وأمان وهدنة سنتين مبتداها من حال التاريخ لايكون فيها كلام ولا يفتح فيها خبر وإن كل حادث يحدث بعد التاريخ قتلا أو جرحاً أو مشاجرة أو شتما أوغير ذلك من شريف أو قبيلى أو غيرهم فمرجعه ومرده إلى الشريعة وحكم الله ورسوله وأن كل أمر يتوجه من السيد طاهر إلى أحد كائناً من كان فلم يمتثل ولم يفعل فيد الجميع عليه واحدة أصحابه وغيرهم حتى يفىء إلى أمر الله وينقاد لأحكام الله . وقعت المبايعة من المذكورين على ماذكر ويد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيما وبيعة المذكورين عن أنفسهم وعمن لم يحضر من أصحابهم وذلك غرة محرم الحرام سنة ١٢٢٦ ست وعشرين ومائتين وألف .

حضر ذلك الفقير إلى الله عبد الله بن حسين بن محمد بن شهاب الدين . حضر عمر بن أبى بكر بن يحيى حضر ذلك عبد الله بن علوى العيدروس . حضر ذلك عمر بن طه بن محمد بن طه . حضر ذلك طالب بن عوض بن شملان ومن ذكر أعلا من أصحابه آل شملان . حضر ذلك عبد الله بن عوض بالحتيش ومن ذكر أعلا من أصحابه آل قصير . حضر ذلك سالم بن عمر بالحفى ومن ذكر أعلا من أصحابه آل بالحفى . حضر على بن عمر بلكيك وأصحابه المذكورين أعلا الخط . حضر ذلك عوض بن عمر وجميع أصحابه المذكورين أعلا المسطور . حضر أحمد ابن ناصر ومحمد بن سالم ومن ذكر من الفلاحمة أعلا . حضر ذلك على بن عبود ابن سعيد . حضر ذلك عوض بن على بن يمانى بن فلوقه . حضر ذلك سالم بن على

ابن أحمد حضر ذلك يمانى بن عوض بن يمانى . حضر ذلك عمر بن محمد فلوقه . حضر سعيد بن أحمد بن يمانى بن حبراس . حضر عبد الله بن سعيد بن أحمد بن فلوقه . حضر عبدالله بن حفيظ . حضر ذلك عبود بن على . حضر على ذلك شائف ابن محمد بن عبد الله بابك عفى الله عنه . حضر ريس بن محمد بلهندى وأخوه ناصر عنهم وأصحابهم . حضر على ذلك عوض بن عبد الله بن مرساف حضر ذلك أحمد بن محمد بن عبد الله المسكنى الغاوى بن مرساف . حضر ذلك على بن سالم ابن فلوقه . حضر ذلك أحمد بن عوض بن فلوقه . حضر على ذلك سالم بن عمر بن عبد الشيخ وأصناه أحمد وعيسى وولده عبد الشيخ بن سالم . حضر ذلك أحمد ابن ناصر بن عيسى . حضر على ذلك امبارك بن عبود بن عيسى . حضر عبود بن سعيد بن مرساف حضر ذلك على بن أحمد بن على وولده عمر . حضر ذلك سالم ابن سعيد بن عبد الشيخ . حضر على ذلك عوض بن عبود بن مرساف . حضر ذلك يعقوب بن مبارك بن على حضر عبد الله بن أحمد بن يمانى .

حاشية تحت المعاهدة :

الحمد لله وحده أما بعد وقع الاتفاق بين آل تميم بمحضر من سيضع محضره وهم ابن قرموص وابن فلهوم وابن زيدان وابن شملان وآل الحتيش . اتفق كافة المذكورين وتبادوا وتشالوا على صلح وأمان وهدنة فى كل ما بينهم من دم ومال وغير ذلك حسبما فى باطن المسطور ومدة الصلح سنتين كاملة تلى السنتين . المذكورة باطنا فيكون أولها غرة محرم سنة ١٢٢٨ ثمان وعشرين ومائتين والف والله الرقيب والحميل عليهم فى الوفاء بذلك ومن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما . جرى ما ذكر بالرضى والاختيار والله خير الشاهدين . حضر ذلك وكتبه طاهر بن الحسين . حضر ذلك عبد الله ابن حسين بن شهاب . حضر عبد الله بن أحمد بن يمانى . حضر على بن أحمد بن مرساف حضر عمر بن عوض بن شملان . حضر ذلك عوض بن عمر بن قرموص حضر ذلك سعيد بن أحمد الهيج . شهد على ذلك ريس بن محمد بن على حضر ذلك الحتيش بن عمر بالحتيش بالقصير حضر ذلك على بن عمر بلكيك .

بينه وبين آل كثير :

توجه السيد عبد الله بن علوى العيدروس إلى السرير وشبام نائبا عن الإمام طاهر فعقد الاتفاقية الآتية ننشرها برمتها وتوقيعاتها :

بسم الله الرحمن الرحيم والله على ما نقول وكيل الحمد لله بتاريخ آخر عاشوراء أول شهور عام ١٢٢٦ ست وعشرين ومائتين والف اتفق السيد الشريف عبد الله بن علوى بن عبد الله العيدروس نائباً عن السيد ناصر الدين طاهر بن الحسين ابن طاهر بن الحسين بن طاهر والسلطان على بن بدر بن محسن قائماً عن السلطان عمر بن جعفر بن على ومن حضر بحضوره من آل كثير الآتى ذكرهم كلا عن نفسه وقامت العروة الوثيقة بينهم على المتابعة والكفاية . السيد عمن بايعه والمذكورون عنهم وعن أصحابهم الطالب من الفريقين بيعة المطلوب على الباغى ومخالف الحق بما طلبه من الرجال بما يحتاجونه من النفقة والزانة عدة ومدة أن البادى حدرى وعلوى وليس للمبطل تبعة ولا مساعدة من الجانبين . بدا السلطان على بن بدر بن محسن . بدا حسن بن سالم على آل مسفر . بدا على ابن عوض وجعفر بن بدر عن آل محمد بن عمر وآل كده . بدا بدر بن على محمد وبدر بن جعفر بن سعيد على آل سعيد لؤى . بدا بدر بن على بن سعيد وصالح بن عوض بن عامر وعامر بن سعيد بن جعفر على آل عبد العزيز كل على ربعه . وبدا مبارك بن بدر على آل مرعى . بدا جعفر بن عون وزيمه بن سالمين وبدر بن عوض الصغير على آل عون . بدا محمد بن عيسى على آل عمر بن بدر . بدا عوض بن سعيد بن جعفر بن جعفر بن طالب وعبود بن عامر بن عمر بن طالب وسعيد بن عامر بن سعيد على آل يمانى ومرعى بن عمر بن حيدره على آل حيدره . بدا عمر بن حمود وعبود بن جعفر الوعل وعوض بن عمر العاس على آل فلهوم . بدا محمد بن جعفر بن مهرى وسعيد بن ريس ومبارك بن عبود وعبود بن عوض على آل مهرى . بدا عزان بن عمر وفرج بن على على آل عبدات . بدا سالمين بن على وفرج بن سالمين على آل سند . بدا حمود بن بدر وعبد العزيز بن عبود على آل سيف . بدا صالح محمد بن الشيخ على عن آل الشيخ على ماخلا على حسين .

أعطوا المذكورون عروة الله وعهده كما ذكر . كتب ذلك وحضر على مبادى من ذكر محمد بن أحمد بن جعفر الحبشى . حضر ماشمله هذا المشروح على

المذكورين الفقير إلى ربه على بن عمر بن أحمد العدروس . حضر ماشمله المسطور العبد الفقير صالح بن أحمد بن جعفر الحبشى . حضر ذلك جعفر بن أحمد بن جعفر الحبشى .

آل تميم أيضاً :

حدثت بجوار المسيلة حادثة بين بعض رجال آل تميم وبعض أرباب الأطيان من غيرهم ولم يتحمل التميمى الحكم الصادر فى هذه الحادثة لأنه حكم خارج عن العرف المألوف بين آل تميم والمتمولين . وتفاقم الأمر ، وتباطأ أعيان التميميين فى القيام على صاحبهم وإلزامه بالحكم بحسب المعاهدة السابقة بينهم وبين الإمام طاهر .

فعظم الأمر على الإمام وأخذ يحتج عليهم ويوسط لهم السفراء وبدأت النفرة تدب بينه وبينهم لو لا أن كبار الأحلام تدار كوا القضية وأزاحوا سوء التفاهم عن الطرفين . فوقع الاجتماع « بمسيلة آل شيخ » وكتبت بينهم هذه الاتفاقية بحروفها :

بسم الله الرحمن الرحيم إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى .

الحمد لله الذى حث على المعاونة على البر والتقوى وزجر عن متابعة الشيطان ومطاوعة الأهوى والصلاة والسلام على سيدنا محمد البالغ فى نصح الأمة إلى الغاية القصوى وعلى آله وصحبه المقتفين سبيله فى السر والنجوى . أما بعد فقد وقع الاتفاق بين السيد طاهر وبين آل تميم بعد أن وقع منهم التقصير فيما التزموه وبايعوا عليه وحصل منهم الاعتراف والندم والتزموا الآن بأنهم أتباع وأعوان ونصرة للسيد طاهر يأتمرون بما أمر ، وينزجرون عما زجر وارتضوه ناظرا لهم فى أمورهم العامة من كل ما يجمع شملهم ويصلح دينهم ودنياهم وأرضهم ويعلى كلمتهم ويرفع اسمهم يقودهم إلى كل مليح ويذودهم عن كل قبيح وكلمته نافذة وأمره مطاع ثم إن أكبر جريمة وأعظم عظيمة يعلمهم الآن متواطئين عليها حصر الشراحة والبقار فى أناس معروفين منهم لا تنتقل إلى سواهم فنهاهم عن ذلك وزجرهم وأمرهم أن ينتهوا عن ذلك وأن يكون أهل الأموال أولياء أموالهم فى شراحة وبقار وغير ذلك يفتون من شاءوا ويشرحون

من شاءوا كل قبيلة فى محلها فأجابوه إلى ذلك برضاهم عالمين أن فى ذلك الخير والبركة والسلامة من كل هلكة والتزم الشرح بقبول الفتوى والباقون بالدخول عليهم طوعاً أو كرها واتفقوا على أن مرد جميع الوقائع والمنازعات إلى ماقال الله ورسوله غير أن جميع المشاجرات والخصومات صغيرها وكبيرها الواقعة بين آل تميم بعضهم البعض وغير آل تميم لاترفع إلى السيد طاهر ولا يشوشون عليه بها بل يرفعونها إلى المنصوب من تحته وهم المنفذون والممضون لأحكام الله إن كان المحكوم عليه من غيرهم . من طلب منه التنفيذ منهم فلينفذ كائناً من كان لالأحد منهم نسيب ولا ربيع . وإن كان المحكوم عليه منهم فالمنفذ فى كل قبيلة رؤساؤها وعقالها الآتى ذكرهم من قدر بنفسه على تنفيذ الحكم أمضاه ومن عجز استعان ببقية آل تميم ولزمتهم إعانته. وعلى أن جميع مؤنهم وزاتهم فى سائر حروبهم مع يافع وغيرهم من عند أنفسهم إلا أن وصلت نبذة غريبة أو نابت نائبة وتوجهت المعونة على أهل الجهة فيخرج من كل جهة القدر اللائق بمشورة السيد طاهر ليس لأحد تقديم ولا تأخير إلا بأمره وإن طلب الزكاة وأراد أن يتولاها أو رأى لها مصرفا لائقا فيسلمها إليه سائر أهل الجهة هذا ماصار الاتفاق عليه بين السيد طاهر وآل تميم . وأما مابين السادة وال تميم فالكل مزمومون بما قال الله ورسوله وإن وصلهم عدو إلى جهتهم فيدهم عليه واحدة وكل من طلب منهم السادة أو آل تميم فيختص بطلبه وإن استعان السادة بهم فى نائبة تخصهم فعليهم المعونة وعلى السادة المؤونة تراضى المذكورون على جميع ماذكر وأعطوا عليه العهود الوثيقة والأيمان الأكيدة والمتحملون والمتكفلون للسيد طاهر بالوفاء بما فى المسطور : الحتيش بن عمر ، وعوض بن عمر بن قرموص ، وعمر بن عوض بن شملان ، وعلى بن عمر بلكيك وسعيد بن أحمد الهيج ، والله الرقيب والحسيب . حضر على نفسه عوض بن عمر بن قرموص حضر على نفسه حصر ابن عوض بن عيسى بن قرموص . حضر على نفسه سالم بن عبد الله علاو بن قرموص حضر على نفسه عبد الحبيب بن أحمد بن قرموص حضر على نفسه عمر بن عوض بن شملان حضر عبد الله بن أحمد بن شملان حضر على بن سعيد بن شملان حضر ذلك الحتيش بن عمر بلحتيش بالقصير . حضر ذلك محمد بن عمر بلحتيش حضر ذلك سعيد بن أحمد الهيج عن نفسه وآل الهيج حضر محمد بن عبد الله بن قرموص حضر ذلك أحمد بن عمر بن زيدان حضر ذلك على بن

عمر بلكيك حضر ذلك عوض بن سعيد بلكيك عنه وعن أصحابه . حضر ذلك ناصر بن أحمد بن قرموص . حضر ذلك يمانى بن عمر بلجود .

بينه وبين آل جابر :

وأقبل إليه رجال آل جابر طائعين ، راغبين . فأخذهم منهم البيعة . وزبرت بينهم هذه الوثيقة بنصها :

الحمد لله وحده وصلي الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم أما بعد : فقد حصلت المبايعة والمعاهدة للسيد طاهر بن الحسين من آل عمر بن عيسى وآل عبد الله بن عيسى آل جابر وآل تبيع من سيضع محضره منهم بايع المذكورون السيد طاهر المذكور على السمع والطاعة فيما قال الله ورسوله وعلى أنهم تبعته ونصرته وجنده على إقامة الشريعة وتنفيذ أحكام الله يوالون من والى ويعادون من عادى وعلى أن كل ما بينهم من بعضهم البعض أو بينهم وبين غيرهم من قتل وجرح ومشاجرة فيه سنتين هدنة وأمان لا يفتح فيه كلام وكل حادث يحدث بعد المبايعة والمعاهدة مرده ومرجعه إلى ما قال الله ورسوله وعلى أن من صار منه غيار فى شراحة فالفتوى عليه جائزة وبالجملة فكل ما صارت المبايعة من آل تميم عليه فهو فيه مثله جرى ما ذكر كما ذكر منتصف شهر ربيع الأول من سنة ١٢٢٦ هـ ست وعشرين ومائتين وألف والله خير الشاهدين والله الرقيب .

نهاية الحركة :

لم تلبث هذه الحركة أن ذبلت أغصانها وخمدت نيرانها ، وكان تكاسل بعض الأفراد وتهاونهم وتباطؤهم فى العمل بل وخيانة البعض منهم هى العوامل الوحيدة فى هدم قواعد النهضة من أساسها ، وخنقها وهى لا تزال فى المهد .

والحركة هذه وإن تك مشادة على أساس متين من النيات الصالحة . إلا أن ذلك لا يغنيها فتيلا . ما دامت أعمالها غير جارية على المجرى الطبيعى الملائم لروح ذلك العصر . فزعماء الحركة رجال أئمة صالحون . قد سمابهم نسكهم وتقاهم وورعهم عن المستوى العام . وحجبهم عن سبر كثير من طبائع العامة

وأخلاقها وجشعها وتكالبها على الحطام . فحسب أولئك الأعلام أن مجرد العهود كاف فى كبح جماح الأهواء ، وحمل المتسلحين على القتال تبرعا واحتسابا ، فى حين أن عامة هؤلاء لا يعرفون لنصرة الشريعة معنى غير الاستفاضة بأنها ستغل أيديهم عما تعودته من الامتداد فى ظلم المسكين والتسيطر عليه .

وإنما عاهد زعماؤهم على ماعاهدوا عليه ، إما تأثرا وقتياً من موعظة واعظ ، أو خجلا من لومة عالم ، وإلا فهم يعلمون أنهم لا يقدرون على هذا الأمر ولا يستطيعون كبح جماح أنفسهم فضلا عن أفراد قومهم .

وقد ورد على الإمام طاهر مرة بعض سواح اليمن وجعل ينظر معجبا بالإمام وحركاته . ورآه وقد دخل عليه بعض زعماء العشائر ، ورأى الإمام يجله ويحتفى به ، فلما انصرف الزعيم أقبل السائح على الإمام يسأله عن سبب إجلاله للرجل ثم صارت بينهما المحاورة الآتية :

الإمام — هذا زعيم قومه .

السايح — كم ياترى عدد من يطيعه من قومه ؟

الإمام — كم أنت تظن ؟

السايح — على الأقل ألفى مقاتل .

الإمام متبسما — مثل هذا قد لا تطيعه خادمة منزله فلا يستطيع اجبارها. وإنما نعامله هذه المعاملة رجاء أن يعضد دعايتنا بين نظرائه ولو بلسانه .

هذا ويلوح لى أن المال وهو العنصر الأكبر الذى عليه المدار فى سير الحركات لم ينظر إليه بالعين التى يستحقها . ولم يعط مركزه الطبيعى فيها . فانفرط عقد النهضة انفراطا لم تستطع تلك العقول الكبيرة أن تمسكه . وقد صدق شوقى حيث يقول :

بالعلم والمال يبنى الناس ملكهم لم يبن ملك على جهل وإقلال
هاتوا الرجال وهاتوا المال واحتشدوا رأيا لرأى ومثقالا لمثقال

وربما أخذ الأسف بخناق الباحث المدقق عند مايهم بالبحث فى حياة الإمام طاهر فلا يجد لكتاب ذلك العصر كثيراً ولا قليلا من تفاصيل تلك الحركة ووجودها وخمودها غير هذه النتف التى لا تروى للباحث غليلا ولا تشفى له عليلا .

آخر عهوده :

يظهر أن الأمام طاهر حينما رأى ما رأى من تباطؤ المبايعين وتخاذلهم ، وشاهد من فساد الأحوال ماينوء بالمشروع ويسبب له الفشل ترجح لديه أن يخلع نفسه من هذه المبايعة ويتزحزح عن موقفه بلطف وحكمة . ويظهر أن القوم كل مارأوا من أنفسهم تقصيراً فيما بايعوا عليه ، وتفريطاً فيما ندبوا إليه وآنسوا من الأمام شيئاً من الأمتعاض آبوا إلى الرشد وأقبلوا إليه نادمين تائبين . ولما أن تكرر مثل هذا الحال رأى الأمام أن يتخلص من مسئوليتهم بدون عنف فأقام لهم رجالا آخرين يعالجون قضاياهم ، وينظرون فى شئونهم وأراحهم وأراح نفسه مما كان يعانيه ويكابده . وإليك هذا العهد الأخير بحروفه : —

بسم الله الرحمن الرحيم إن يعلم الله فى قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً الحمد لله الذى جعل التحابب والتوادد والتعاضد والمناصرة على البر والتقوى سبب خير الدنيا والآخرة وأقوى وسيلة إلى نيل الدرجات الفاخرة كما جعل الاختلاف والتفرق والمنافرة والتقاطع والتدابر والمهاجرة ينشأ عنها كل حادثة فاقرة ويتولد عنها كل علة باطنة وظاهرة والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى تركنا على الشريعة الغراء الزاهرة . وبين لنا أحكامها بالحجج الواضحة الباهرة وعلى آله وصحبه المحيين منها كل سنة داثرة : أما بعد : فهذا ماعهده الفقير طاهر بن الحسين إلى إخوانه من السادة الموالين والمحبين الموافقين التميميين الحتيش بن عمر وكافة من تبعه وكافة آل شملان وكافة القرامصة وكافة آل زيدان وكافة الفلاهمة زادهم الله من التوفيق وأخذ بنواصيهم إلى أقوم طريق . اعلموا وفقكم الله بأن خاطرى طيب عليكم وراض عنكم وأنتم فى حل من كل تقصير وأنا أطلب منكم طيب الخاطر والرضا والأحلال ثم إن الذى أوصيكم به وأحثكم عليه تقوى الله تعالى فان خيرات الدنيا والآخرة بها منوطة ورحمة الله ورأفته على القائمين بها مبسوطة وهى الائتمار بما به أمر والانزجار عما عنه زجر فمن سلك سبيلها فاز وغنم ومن حاد عنها هلك وندم فتماسكوا وتعاونوا على سلوك هذا السبيل ولا تميلوا عنها فياخسارة من عنها يميل واعلموا أن رأسها وعمادها الصلاة إذ هى عماد الدين وعلامة فارقة بين الصالحين والطالحين بل بين المؤمنين

والمنافقين فمروا بها نساءكم وأولادكم وصغاركم وكباركم وأهل محالكم وقوموا عليهم فيها المقام التام إذ هى أعظم شعائر الإسلام فلا دين لمن لا صلاة له وازجروا تاركها بأشد الزجر وشددوا عليهم فى هذا الأمر وأحثكم على التعلم والتعليم وعمارة الوقت بالمدارس والعناية بطلب العلم فى كل حين فطلب العلم فريضة والعبادة بدونه ميتة أو مريضة خصوصاً أنتم أيها الأخوان من السادة احملوا أولادكم وصغاركم على الطلب وفرغوهم له فانه نعم الأدب وهو ديدن أهلكم الماضين وحلية سلفكم السابقين واللاحقين وأوصيكم أيها القبائل بمحبة أهل البيت وإكرامهم وإجلالهم والقيام بحقوقهم وبذل الوسع فى محبتهم ومودتهم المفروضة على كل إنسان بنص القرآن وأنهم بضعة الرسول وسلالة البتول الحذر من إهانتهم والاستخفاف بهم فان ذلك يسخط الرحمن ويسرع بهلاك الأديان والأبدان وكذلك بقية المجاورين قوموا بحقوقهم واجبروا خواطرهم واحتملوا زلاتهم وأوصيكم وأحرضكم وأحثكم على التوادد فيما بينكم وتصفية القلوب من الأحقاد والضغائن وجمع كلمتكم على نصرة المظلوم وردع كل جاهل غشوم والقيام بحماية الجهة والذب عنها والسعى فى صيانتها وأمانها وردكل حادثة جلت أو قلت إلى ماقال الله ورسوله وأنفذوا حكم الله على القوى والضعيف فبذلك تنحسم مواد الشرور فان خير الدنيا والآخرة على حكم الله يدور فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور هذا وقد جعلت الحتيش بن عمر ، وعمر بن عوض ، وعبد الله وعلى ابنى عوض بن عيسى وسالم عبد الله علاو ، ومحمد عبد الله ، وسعيد بن أحمد الهيج ، وعلى بن عمر بلكيك ، وريس هند ، وناصر بن محمد ، وأحمد بن ناصر ، كل واحد من هؤلاء قائماً وحاكماً على قبيلته وأهل محلته يكفهم عن الأثم والعدوان ويحملهم على الحق فى كل شأن . والوالد عبد الله بن علوى والأصناء علوى بن عبد الرحمن وسالم بن أبى بكر وأحمد بن على محلى ومقامى فى كل حادثة ومعضلة فى الجهة يجمع هؤلاء الرؤساء من القبائل مع هؤلاء الأعيان من السادة وما رأوه صالحاً ولائقاً يصرفونه وينفذونه وعلى الباقين الامتثال والاستماع لما أشاروا إليه .

هذا ماعهدناه إليكم ونحبه ونرضاه لكم وفيه فوزكم ونجاتكم وصلاح دينكم ودنياكم فمن امتثل الوصية وقبلها بقوة ونية فاز بكل أمنية

فى أموره الدينيـة والدنيوية ومن أبى واستكبر وتمادى وأصر فقد خان الله ورسوله ونقض العهد والذمة وتعرض لسخط الله وعقابه عاجلا وآجلا وحسبه الله والله يقول الحق وهو يهدى السبيل انتهى .

عمله اليومى :

يقوم الأمام طاهر من النوم سحرا ويشتغل بالصلاة والدعاء ومراقبة البارى إلى الفجر . ثم يستمر فى أوراده الدينية فلا ينقص منها شيئاً عما حرره فى كتابه المسلك القريب صباحا ومساء بل يزيد من التلاوة والتهجد مالم يذكره هناك .

ويتناول فطوره إن لم يكن صائماً عند الإشراق من فنجان أو فنجانين من القهوة الممزوجة بالسكر والزنجبيل وقطعة من خبز البر . ثم يخرج بعـد صلاة الاشراق فيطوف على مزارعه ومغارس نخيـله ويحادث المزارعين والحراث بما يناسب . ثم يعود إلى منزله ويأتى إليه الواردون من كل الطبقات فيقابل كلا منهم بما يلائم حاله .

ومن عمله كل يوم خياطة كوفية واحدة وربما زاد عليها وكتابة كراس واحد من قطع النصف وربما زاد عليه . وكان يقول لا أخشى الفقر وفى يدى الـكتابة والخياطة وكان قوته الخاص من عمل يده .

وتجتمع العائلة صغاراً وكباراً ضحوة النهار على قهوة تطبخ بينهم فيحضر هو آخرها ويتحدث معهم حتى ينتهوا من احتسائها . ثم ينهض لصلاة الضحى ويقدم له طعام الغداء فيتناوله غالباً بمعية أخيه عبد الله إذا لم يكن هناك ضيوف .

ويذهب إلى المسجد الذى ابتناه أبوه شمالى دارهم فيصلى الظهر وكذا يفعل فى جميع الصلوات المـكتوبة .

وفى العشية يتفرغ للتدريس والارشاد وهدى العباد لصلاح المعاش والمعاد . نفع الله به

وفاته :

توفى الأمام طاهر بن الحسين وله من العمر سبع وخمسون سنة قضاها فى محاولة تأييد الشرع الشريف بهذه الأقطار ، واعلاء كلمته . فلم يزل رحمه

الله مجاهدا فى سبيل ذلك لسانا وسنانا وروحا وبدنا حتى أدركته المنية سنة ١٢٤١ هـ ودفن بمسيلة آل شيخ رحمه الله ونفع به .

اتصال العلويين بمحمد على باشا :

وانطلق السادة العلويون فكاتبوا محمد على باشا وكان قد نال خديوية مصر ، فاستنجدوا به راجين منه أن يمدهم بجيش يدوخ البلاد ويقيم لها والياً عدلا . ولكن محمد على لم تسمح له ظروفه بإنالتهم البغية على أنه لم يقصر فى مكاتبة بعض رؤساء القبائل بحضرموت مفاوضا إياهم فى هذه القضية . وأصدر فرمانا للمقدم على بن عمر بن قرموص بإشارة من السادة العلويين ليكون واليا مؤقتا لأنه ذو بصيرة وعشيرة . وأخيرا خابت الآمال من هذا الباب الذى طرقوه

اتصالهم بإمام اليمن :

وحسبوا أن إمام اليمن سيسعفهم بما تطمح إليه أمانيهم من إصلاح حضرموت وتخليصها مما هى فيه من البلايا والرزايا . ففاوضوه مكاتبة وسفارة فلم يجدوا لديه إسعافا ولا رغبة فيما فاوضوه فيه . وقد جاء من أثناء مكاتبة من الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر لأخيه الأكبر طاهر بن الحسين ما يشير إلى ذلك . قال : —

« . . . . والقبائل طلعوا يوماً إلى تحت البلاد وظل حرب مدة ذلك اليوم ، ولا أحد به شىء . ويظهر من الحالة أنهم إلى زيادة .

والإخوان نظموا رأيا وذلك بأن يكون من تحت أمام صنعاء لأنه قريب المنال . وحضرموت عمدة دولتهم فقد ضاع ملكهم من حين أضاعوا حضرموت . وتأتيه سهلة من غير تعب لا عليه ولا على أهل الجهة . الله يختار ما هو الخير . وأنتم خذوا الأمر بالأسهل . دع المقادير تجرى فى أعنتها . ولا تضع وقتك من غير طائل . والسعى فى صلاح المسلمين واجب وأى واجب ولكن

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه وليس عليه أن يساعده الدهر

فإن رأيت كلام الرجل ليس له جدوى ولا ثمرة فاقطعه رأسا ولا تشغل به قلبك ولا لسانك البتة . . . »

الحالة فى شرق حضرموت

منصب عينات وابن يمانى :

للحبيب السيد أحمد بن سالم بن أحمد بن سالم بن الشيخ أبى بكر بن سالم منصب عينات عزة نفس وأباء، لا يقعقع له بشنان ولا يهدد بسنان ، ولا يغمز له جانب ، ولا يداس له حمى ، فهو أشم الأنف أبى النفس . نزاعاً إلى الحروب ، ميالا إلى القتال ، وقد أمضى أكثر أيامه فى الحروب لا يكاد يخلص من حرب إلا ويتورط فى أخرى . وهو مع هذا كان عابداً ناسكا عظيم المجاهدة والعبادة . يقوم الليل ويصوم الأشهر الحرم ويحب العلم وأهله ويجلهم كثيرا .

وفى أوائل العقد الرابع من القرن الثالث عشر نشبت الحرب الضروس بينه وبين المقدم عبد الله بن أحمد بن يمانى من جراء الحصون المسماة بالغرفة واللواتى خارج بلدة قسم ، واستمرت هذه الحرب نحو سبع سنوات تضرر الناس منها أى ضرر . وجند كل منهما جنودا من القاتلة عادت عليهما وعلى غيرهما بالخسارة والدمار .

كيف كان سير الفتنة والحرب :

وفى أواخر شهر ذى الحجة سنة ١٢٣٧ أقبل جماعة من أتباع المنصب من جبل يافع يسوقون أغناما إليه تجبى له كل عام . وبصحبتهم أشخاص من السادة القاطنين بحبان . ولما أن وصلوا عينات توجه بعض الاتباع إلى تريم لقضاء غرض لهم فلقوا تحت ديار باعطير نفرا من آل يمانى الذين أسرعوا فأطلقوا الرصاص على الأتباع المساكين فقتلوا واحدا منهم وجرحوا واحدا . ووصل الخبر إلى المنصب فلم يعمل شيئا فى حينه . وعظم الأمر على السادة الذين جاءوا من حبان فكمن منهم اثنان خارج عينات حوالى خفرة حتى مر بهم بعض آل عثمان من أصحاب المقدم فقتلوه وذلك فى ١٩ محرم سنة ١٢٣٨ هـ . ثم اتجه أولئك السادة إلى تريم ومنها إلى شبام رأساً وهناك وجدوا قافلة متوجهة إلى بلادهم فصحبوها .

انتقام آل عثمان وابن يمانى :

وتحزب آل عثمان وابن يمانى وصمموا على قتل ابن المنصب أحمد بن سالم . وكان ابنه هذا يتعود الجلوس كل ليلة بعد المغرب على مصطبة لدار أبيه فى حارة النخر هو وجماعة من أصحابه . ففى ليلة الأحد لثمان وعشرين خلت من المحرم سنة ١٢٣٨ هـ بعد المغرب وصل رجل من آل يمانى ووقف أمام المصطبة وعليها السيدان أبو بكر بن أحمد بن سالم وعمر بن صالح وأطلق عليهما الرصاص فسقط السيد عمر بن صالح شهيداً رحمه الله .

استنجاد المنصب بيافع :

وكتب المنصب إعلاما ليافع تريم واستنجاداً بهم فهرع منهم جماعة من مواليد الجبل ومواليد حضرموت نحو ثلاثين شخصا وأقاموا بعينات . وبعث المنصب أيضاً ولديه أبا بكر وسالما إلى الشحر والمكلا يستنجدان بمن فيهما من يافع . وكأنهما لم ينجحا فى مهمتهما لأن القوم بالثغرين ظهر عليهم شىء من التردد والتكاسل ، وكثرت بينهم وبين المنصب المكاتبات من غير طائل . وأقبلت يافع سيون نحو ثلاثين شخصاً من أعيانهم وعقلائهم . وصارت يافع تريم تغزو غزوات صغيرة وتهاجم قسم وضواحيها وتقتل وتنهب .

وذهب المنصب إلى تريم وجمع يافع بها ووحد كلمتهم . ثم نفد ابن عبد القادر إلى ريدة الصيعر فجلب منهم مائة شخص . ومر بسيون وجلب منها رجالا وذلك فى محرم سنة ١٢٣٩ هـ .

مهاجمة ابن يمانى لعينات :

وجمع بن يمانى أقواماً من أهل الباطنة ورجالا من المناهيل نحو المائتين وهجم بهم على عينات . وفى هذه الهجمة الأولى قتل مملوك لسالم غرامة اليافعى وهجم ثانياً فأصيب الحسين من أولاد غرامه أيضاً .

ثم عمل ابن يمانى تدابير حربية ناجحة فهجم على عينات من جانبها النجدى . وجعل ليافع كميناً حتى إذا خرجوا لرد الهجوم وأمعنوا فى البعد عن البلاد خرج عليهم الكمين وركب أكتافهم فقتل منهم رجل من آل الشيخ على

وقطع رأسه . وقتل رجل آخر من الجهاورة ومملوك لحسين بن عامر وغير هؤلاء أيضاً .

يافع تغزو شرقاً :

ووالت يافع غزواتها شرقى عينات فغنمت من المناهيل أغناماً كثيرة عددها ثلاثة آلاف نسمة . وقتلت أربعة أشخاص وسلبت سلاحهم وذلك حوالى حصن العر على طريق قبر هود . وبعد ذلك جعلوا منهم كميناً تحت قسم حوالى بير الكبش .

المنصب يجلب جنداً :

وتوجه المنصب إلى سيون وشبام وغاب عن عينات نحو شهرين ثم عاد ومعه مائتا مقاتل من يافع آل الضبى والموسطة فمروا بتريم وأقاموا بها أربعة أيام ثم شخصوا إلى عينات وقرروا الحملة على « قسم » غير أن عبد الله عوض غرامة لم يرض بذلك وصدهم عن هذا الرأى .

دخول أحمد بن عبدالشيخ فى الفتنة :

وكان آل عبد الشيخ سكان باعطير فى أول الأمر محايدين ثم انحازوا إلى جانب ابن يمانى . والسبب فى ذلك أن صاحب باعطير كان صليحاً ليافع . وصادف أن أبق عبد من عبيد يافع سيون ووقع فى باعطير فأخذه آل عبد الشيخ وأرسلوه إلى « قسم » . وعز ذلك على يافع واتفقوا على أن يلزمهم بقيمة العبد . وقد نال أحمد بن عمر بن عبد الشيخ نصف الخسارة . فما رضى أن يدفع وذهب إلى ابن يمانى وحالفه واستجلب منه رجالا شحن بهم كوتا (طابية) له وجعل فيه من المؤونة ما يكفى مدة طويلة . وفى الكوت نفسه بير محفورة .

وأقبلت يافع وحصروا الكوت ثلاثة أيام . وفى اليوم الرابع انسل الرجل ومن معه من الكوت وتركوه فارغا . وأحست يافع بذلك فاستولوا عليه ثم خربوه ودفنوا بئره وذلك فى رجب سنة ١٢٣٩ هـ .

الاستيلاء على غرفة المقطع :

وهجمت يافع على غرفة المقطع التى بالعرض الشرقى على طريق هود فوق النقرة واستولوا عليها ولم يجدوا بهـا أحداً من رتب ابن يمانى سوى شخصين نجيا بأنفسهما . ولم يظهر من صاحب قسم أقل حركة أو مبالاة لأنه كان إذ ذاك خلوا من الجند ما عدا رتب قسم . وبعـد أن استولت يافع على المقطع قرروا بنـاء أربع طوابى على مسقى المقطع ثم شحنوها بالرجال والمؤن . وعاد الكثيرون من يافع إلى بلادهم .

وقعة البضيع :

ولـكن المقدم ابن يمانى انتهز فرصة عودة يافع إلى أوطانهم . فأنفذ جماعة من قومه إلى المناهيل وبعث معهم ثلثمائة ريال فاستجلب منهم نحو مائة مقاتل وأضاف إليهم رجالا من تميم .

ثم بعد استكمال عددهم أعد كمينا لهما «بالبضيع» وأوعز إلى رجال من جنده يناوشون يافع القتال فخرج جماعة من يافع لقتالهم فتقهقر المناوشون إلى البضيع حيث الكمين . وتبعهم اليوافع ولم يشعروا إلا بالكمين وقد حف بهم وفعل فيهم الأفاعيل فانذعروا وقتل منهم خمسـة عشر شخصا . وكثيرون من الجرحى . وانتزعت الأسلحة من القتلى والجرحى . فمن قتل من الرافدة محمد حسين بوطلع وثلاثة من العبيد وثمانية من يافع الجبل وواحد يقال له بامزيود من بنى لبعوس . وجوهر عبد ناجى . وقطعت رؤوس بعض القتلى وأخذت إلى «قسم» . وكانت هذه الوقعة يوم الجمعة ٢٣ شعبان سنة ١٢٣٩ هـ .

عودة الغرفة والطوابى إلى المقدم :

واستفحل شأن المقدم لا سـيما بعد رجوع الكثيرين من يافع إلى بلدانهم وقدوم المناهيل إلى المقدم . وقد كتبت يافع إلى أصحابهم بسيون وتريم يطلبون النجدة ويستحثونهم على الإسراع لأن الأكوات (الطوابى) وغرفة المقطع أصبحن مشرفات على السقوط فى يد المقدم . ولـكن أولئك لم يحصل منهم غير التوانى والتردد .

وضاق رجال الأكوات ذرعا ولم يبق فيهم رمق للصبر فخرجوا منها كلهم لخمس خلون من رمضان سنة ١٢٢٩ . وبقيت الغرفة حافظة نفسها على مضض . وحصرها المقدم حصراً شديدا . وأخيرا صارت المفاوضة بين المقدم وحامية الغرفة على أن يخرجوا بدون أسلحة غير عمر أحمد السبيلى فله أن ينجو بسلاحه لأنه هو الواسطة فى المفاوضة . فخرجوا جميعا بعد أن أجارهم بوجهه أحد آل عثمان وكان عددهم ١٣ شخصا منهم ثلاثة من البعوس وتسعة من سيون . ومن الغرباء الذين جلبهم المنصب من يافع .

دويلة آل عيسى بن بدر

وتنطق عيسى م بدر بقلب الباء والنون من (بن) ميما ساكنة . تأسست بشبام سنة ١٢٣٩ هـ على أنقاض دويلة آل عمر بن جعفر كما مر . وأول سلاطينها هو : —

(٤٣) السلطان عمر بن جعفر بن عيسى م بدر

هو السلطان عمر بن جعفر بن عيسى بن عمر بن بدر بوطويرق صاحب «العقاد» قدم من جاوة سنة ١٢٣٠ وجعل ينظر من كثب إلى ماجريات شبام وفوضاها ولما أن أقبل عليه الشنافر وأجمعوا على توليته سلطاناً أظهر الارتياح لذلك غير أنه صارحهم بطلب العهد والميثاق على بذل مجهودهم فى سبيل تعزيز هذه الدولة . فلم يكن منهم إلا الموافقة على ماطلب .

أرزاق المحاربين :

وقد دفع من ماله الخاص عطايا المحاربين من الشنافرة . قيل إنه دفع أول قسط ألف فرانصة مقدماً حين الاتفاق . ودفع ثانى قسط ألفا أيضاً أثناء حصار شبام . ودفع الألف الثالثة بعد الاستيلاء على شبام .

آل الضبى ومساعدتهم :

ولم يغفل عمر بن جعفر بن عيسى م بدر أن يخطب وداد آل الضبى اليوافع فقد أوعز إلى من يجس نبضهم شفاها بسيون بخصوص الرغبة فى مساعدته على حرب شبام وانتزاعها من أحضان الحلفاء فاذا القوم من أشد الناس رغبة فى ذلك فكان يكتب اليهم ويجيبونه بالإيجاب . ثم ماعتمت الاتفاقية أن أبرمت . وأرسل آل الضبى رجالهم ومعونتهم المادية إلى العقاد .

الإنذار بالحرب :

وأرسل ابن عيسى م بدر إلى الحلفاء ينذرهم بالحرب إذا هم لم يرفعوا الرتب

عن شبام ويتخلو عن دولة آل عمر بن جعفر . فما كان من هؤلاء إلا الإعراض والاستخفاف بهذا الإنذار المجحف .

حصر شبام :

ولم يلبث المتجمهرون أن تجمعوا حول شبام وبالغوا فى حصرها فلم يمكنوا أحدا مهما كانت مكانته فى الوجاهة والنفوذ من الدخول إلى البلاد أو الخروج منها .

ولم يتأثم المحاصرون أيضاً من إتلاف ماوصلت إليه أيديهم من الثمار والزروع المغروسة تحت المدينة . ولم يتأثموا قط من أن يمدوا أيديهم إلى الأضرار والأفساد والتخريب الذى لايجيزه العرف ولا توافق عليه الآداب .

دخول البلاد :

واستمر حصار شبام شهرين والقوم متيقظون لأدنى مار ، وأقل عابر ، وضعف الجانب الشمالى من شبام عن المقاومة فسقط فى حجور المحاصرين . ودخل السلطان عمر بن جعفر بن عيسى م بدر شبام من هذا الجانب واستولى على جزء منها نحو النصف فترك حراً للداخلين والخارجين . وبقى النصف الآخر محصوراً .

تسليم السلطان :

وطالت المضايقة على السلطان عمر بن جعفر بن على وأصحابه . فلم يستطيعوا أن يتحملو أكثر مما تحملوا . فجمع السلطان أصحابه واستشارهم فى الأمر وأجمع رأيهم على الخروج من البلاد وتركها لابن عيسى م بدر وذلك سنة ١٢٣٩ هـ .

توفى السلطان عمر بن جعفر بن عيسى م بدر بشبام سنة ١٢٤٣ هـ .

(٤٤) السلطان منصور بن عمر

منصور بن عمر بن جعفر بن عيسى بن بدر بن عمر بن بدر أبى طويرق ولد حوالى سنة ١٢٢٥ هـ بجزيرة مادورا إحدى جزر أندنوسيا وتولى سلطنة

شبام وهو صغير بعد وفاة أبيه وذلك تحت وصاية عمه عبد الله بن جعفر الذى اعتزل الولاية عند ما أنس الرشد فى ابن أخيه . ونما منصور فتى عبقريا جباراً مغرماً بالسلطة والقسوة ، ولوعاً بالقهر والسطوة ، ميالا إلى الحرب والبطش فابتدأ ولايته بشراء العبيد المقاتلين حتى جمع نيفاً وستين عبداً .

تذكرة الحبيب حسن بن صالح الجفرى :

وانهالت على السلطان منصور بن عمر الرسائل العلوية من كل صوب وكلها يحتوى على الإرشادات المعاشية والمعادية ، والنصائح الدينية والدنيوية ، وقد اخترنا فى هذا المختصر أن نقتصر للقارئ من تلك الرسائل على تذكرة الحبيب العلامة حسن بن صالح الجفرى العلوى نفع الله به ننقلها بمثابة أنموذج لاختصارها وأهمية موضوعها . قال : —

تذكرة من الفقير إلى ربه الحسن بن صالح البحر الجفرى للسلطان الموفق إن شاء الله منصور بن عمر بن جعفر . أن ترحم من ولاك الله عليهم وتشفق بهم وتصطبر وتحتسب وتثق بوعد مولاك الصادق أن يرزقك من حيث لا تحتسب وتسير مع سيرهم معاملة من الله وابتغاء ثوابه العظيم وقد أضرت بهم الحاجات ووصلتهم المكربات من فوات أموالهم وانقطاع سبيلهم وأسبابهم ، فأنت إن صبرت واحتسبت فأنا بشيرك بنيل ما تبتغيه ، ودفع ما تخشيه ، فعسى تقبل هذه النصيحة بهمة علية ، ونفس أبية ، فما وعدناك إلا بوعد من لا يخلف الميعاد وهو المستعان فإن الأجر بعد الصبر . قال تعالى « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » . وفقك الله بهدى الرسول وبلغك كل مأمول وسول انتهى .

يافع الموسطة :

وأخذ منصور بن عمر يتحكك بيافع الموسطة ويناصبهم العداء حتى تضايقوا من أذاه مضايقة حملتهم على شن الغارة على « شبام » . ففى سنة ١٢٤٩ هجمت يافع الموسطة على البلاد وذعر الأهالى من طلق الرصاص بغتة . ولم يشعر الناس إلا بالحملات على الديار ومساكن الأهالى وكسر كثير من أبواب الديار وخلع بعضها . وتواثب عبيد منصور بن عمر إلى منازل البلدة فاحتلوا بعضها واحتلت

يافع البعض الآخر، ومنصور فى الحصن متقلداً بندقيته يصدر الأوامر لعبيده ويحرضهم وربما أطلق هو بنفسه الرصاص من مشاويف[1] الحصن .

لطف منصور بن عمر :

حكى لى بعض المعمرين من العبيد وقد رآه فى ذلك الموقف العصيب . قال : كنت إذ ذاك طفلا تربيت فى منزله فدخلت عليه يوم الحملة وبيدى رسالة أعطانيها بعض من فى المحضرة السفلى لأبلغها للسلطان . فكأنى أراه الآن وهو مكب على المشواف يصوب بندقيته للخارج . وبعد أن فرغ من مهمته التفت نحوى وتناول منى الرسالة وهو ملتحف بصبيغة سوداء فى يوم شات ولا أنس لطفه فى ذلك اليوم الهايل إذ ابتسم فى وجهى وقال لى وهو ممسك طرف أذنى أبوك خير الله ؟ قلت نعم . قال كن أسداً مثله .

وأستولت الموسطة على نصف البلاد وتطاولت إلى النصف الآخر . ولكن الصلح وقع بين الطرفين على إيقاف الحرب وأن يبقى نصف شبام بيد الموسطة فى مقابل دراهم معلومة تدفع أيضاً لمنصور . ويبقى النصف الآخر بيده وهدأ الناس بعد ذلك وعم السلم .

منصور والشنافر :

لم تكن العلاقات بين منصور والشنافر فى ذلك الوقت حسنة ، فان منصوراً يرى نفسه غنيا عنهم بعبيده وقوته . وهم يرون فيه أنانية وعجرفة لا تطاقان ولا تحتملها نفوسهم وإباؤهم .

أما وقد أتيح لمنصور أن يكون مركزه بين صخرتين قويتين يافع والشنافر — فقد رأى أن يستثمر هذا المركز فيضرب هذا بذاك أو على الأقل يستعين بزيد على بكر مرة ويستعين ببكر على زيد مرة أخرى بحسب ما تمليه عليه الظروف .

قتل حمود بن عبد العزيز :

حمود بن سعيد بن عبد العزيز من أعيان الشنافرة ، وله مكانة عظيمة ليس فى قارة آل عبد العزير وحدها بل فى السليل بأجمعه . بيد أنه كان قوى

(١) المشواف هو كوة صغيرة أو ثقب نافذ فى الجدار يوضع فيه عنق البندقية ويطلق منه الرصاص .

الاعجاب بنفسه وعشيرته ، ملابسا لأرهاق العزل من الناس وظلمهم، وقد أصبح أهالى شبام قاطبة يهابونه ويصانعونه ويجاملونه مخافة ظلمه . واتقاء لشره . حتى قيل أن جماعة منهم اشتركوا فى ذبح كبش ولما أن وجدوا لحمه جيدا أهدى كل منهم نصيبه منه خفية لحمود حتى ورد إليه أكثر لحم الكبش .

ومر منصور يوما فى المسجد الجامع بشبام فلمح حمودا يخاطب رجلا من الأهالى وسمعه وهو يقول للرجل بلهجة تهديد : « لا بأس أنت تحس بها . والله لانفعك هذا مشيرا إلى منصور وعاد منصور إلى قصره فأمر بعض عبيده أن يتعرضوا لحمود عند انصرافه من شبام ويقتلوه وانصرف حمود راكبا مطيته فتصدى له العبيد خارج البلد وصاحوا به (أن استعد) فأحس بالشر وبدأ يجاوبهم فلم يمهلوه بل أطلقوا عليه الرصاص فخر قتيلا .

دويلة ابن مقيص

لنترك السلطان منصور بن عمر مشغولا بعداء الشنافر ويافع منهمكا فى حروبه ومهاجماته ونلتفت إلى الجانب الأوسط من حضرموت فنجد السادة العلويين لم يزالوا دائبين فى بذل مساعيهم ومجهوداتهم المتواليـة فى إقامة وال عدل يريح الناس مما هم فيه من الفتن التى لا حد لها ولا نهاية .

والشيخ المقدم عمر بن عبد الله بن مقيص الأحمدى اليافعي رجل ذونية صالحة وميل للصلاح والخير وذو شجاعة وعزم . ولديه عصبة لا بأس بها رأى العلويون ومن نحانحوهم من المجاهدين لتخليص الوطن من ويلاته أن الرجل يملك شيئا من الجدارة بأن يتصدى لهذا الأمر الجلل بمساعدة أهل الأصلاح من الأمة الذين ألجأهم ما يلجئ الغريق إلى التشبث بما هو أوهن من بيت العنكبوت .

وسرعان ما كانت المفاوضة معه فضرب صدر نفسه انتدابا بالقيام بهـذه السلطنة المتوقعة وقطع العهود على نفسه بأن يؤسس بعشيرته دولة عادلة تؤيد الشرع الأغر وتعمل بما يشير به عليه أعيان السادة وعلماؤهم على أن يمدوه بالمال ويعضدوه بنفوذهم ، فاستبشرت النفوس . ونهض أمثال الإمام أحمد بن عمر بن سميط والإمام عبد الله بن حسين بن طاهر . والإمام الحسن بن صالح البحر الجفرى . وغيرهم من الأئمة الأعلام . فعضدوا الرجل وأمدوه بما يلزم .

وقدموا له الآراء السديدة ، وجمعوا له الأموال الكافية ، وابتاعوا له مدفعاً يتهدد به المعارضين . واشتروا له حصن مطهر من آل مطهر اليافعيين ليجعله قاعدة حربية لملكه . وكان مقيما ببيت جبير .

ماذا يقول ابن سميط :

وإليك مكتوبا عثرنا عليه كتبه بيده الحبيب أحمد بن عمر بن سميط العلوى إلى السادة العلويين بالجهة الشرقية . ننقله هنا بنصه تبركا وإفادة للقراء بمثال من تلك المساعى الطاهرة قال : —

بسم الله الرحمن الرحيم وبه الثقة . يخص سادتى الحبائب الأجلاء الأعلام الحبيب عبد الله بن الحسين بن طاهر والحبيب عبد الله بن أبى بكر عيديد وكافة السادة من آل أبى علوى حفظهم الله وأدام النفع بهم لنا ولسائر المسلمين . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . نعلمكم أنه وصل خط للفقير من السلطان عمر بن عبد الله بن على بن مقيص الأحمدى وعرف بالشأن الذى تصدى للقيام به . فالله يبارك له ولنا ولجميع المسلمين فى ذلك ويسخر له على ذلك أعوانا وبطائن من أهل العلم والفضل والصلاح . إذا نسى ذكروه وإن ذكر أعانوه . ويشرح صدره لقبول نصحهم وإرشادهم فى عافية للجميع . وإن رأيتم ياسادتى أن ترشدوه وتعولوا عليه فى أن يقيم علمة خاصة لتعليم مهمات الدين التى يلزم الكل تعلمها ولو بالرحلة ولو إلى الصين ويحمل الكل من جهال طبقات الناس على دخولها من شريف وقبيلى وحراف وسانى وسائل سواء كانوا ذكوراً أو إناثا ويكون ذلك تلقينا من غير حضور قلم ولا دواة لما فيهما من المضرة لبعض الناس ممن يقل خوفه من الله كما تفيدون ذلك ويجعل لذلك ما يرغب أهل الفاقة والحاجة فى دخولها للتعلم كما لا يخفاكم إن ذلك من أهم المهمات ومن أقوى داعى لحصول النفحات ، ورسخوها فى الجهة . المشار إلى ذلك بحديث إن لربكم فى أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها . وهذا إن شاء الله من التعرض ولا ترون علينا فالحاضر يرى ما لا يرى الغائب :

ومن عجب إهداء تمر لخيبر وتعليم زيد بعض علم الفرائض

والسلام . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

من المستمد أحمد بن عمر بن زيد بن سميط

عفى الله عنه

وقد أمعنا النظر فى حواشى هذا المكتوب المبارك فلم نجد لها تاريخا ولعل الكاتب وهو صاحبه نفسه سهى عن ذلك

ثم كتبوا المعاهدات بينهم وبينه وزبروا الوثائق . وجعلوا وزيره ومستشاره السيد العلامة عبد الله بن أبى بكر عيديد العلوى يستنير برأيه ويستضىء بارشاداته

وقامت هذه الدولة الفتية بقرية بيت جبير فى ربيع الثانى سنة ١٢٤٣ هـ . ولعلها كانت أقصر دويلات العالم عمراً إذ لم تمض عليها سنتان إلا وقد قوضت أطنابها ودخلت فى خبر كان . وحاول القوم جهدهم أن يدفعوا بسلطانها إلى الأمام ويحملوه على الفتح والغزو ولكن مجهوداتهم ذهبت سدى لما حل بقلب المقدم من التردد والاضطراب . وبقلوب قبيلته من التمرد والخور ، وفى ذلك يقول الحبيب عبد الله بن أبى بكر عيديد من قصيدة طويلة كلها تأسف وتحرق إلى أن قال :

ولما رأيت لهاة الهياج حسبتك فحلا وأنت خصى
تبرقع فإنك مثل النسا ء وضع لك عقدين من بصبص
لقد هانها الله من دولة تربت على الدجر والحنبص

إلى أن قال بعد كلام قاذع لاذع ينبغى تركه هنا

فخلوا البنادق لأربابها وشلوا بديل البنادق عصى
وقولوا عسى الله ينصف لنا ويرجم أعداءنا بالحصى

رشفة من شعر عيديد :

وبهذه المناسبة نذكر ما كنا وعدنا به عند ذكر الهجرة من تريم بأننا سنعرض على القارىء لوناً من شعر السيد عبد الله بن أبى بكر عيديد العلوى ثالث العبادلة . ووفاء بذلك ننقل إليك ما قاله فى المهجر (جاوه) عند سفره منها إلى حضرموت . وهى أبيات تعطيك صورة صادقة عن العواطف التى تتجاذب الحضرمى بجاوة بين المهجر ووطنه .

قال : —

رحيل المرء من ذى الأرض أولى فهل من سامع للنصح أم لا
تلاف العمر قبل تلاف نفس وقبل تصير تحت الرمل رملا

فلا إن مت ترضاها مقرا ولا إن عشت ترضاها محلا
ومن عاداتها الإنسان ينسى بها وطناً وأولاداً وأهلا
محبته الذين دعوه بعلا تنسيه الذين رعوه طفلا
مقيم لا يمل العيش فيها ولو أن جال فى عقباه ملا
يروق النفس رونقها فتصغى ويأبى العقل ذلك لو تولا
كأن بمائها نفثات سحر تصيره على الآذان قفلا
وتجعله على الأقدام قيداً وفى الأيدى إلى الأعناق غلا
فلا هو يستطيع لذاك فكاً ولا هو يستطيع لذاك حلا
نغطى من معايبها عيوباً مداهنة لسادتنا الأجلا

إلى أن قال : —

فجد العزم وارحل كم خليل له خل ففارقه وخلى
تجد بالدار يا مغرور داراً وباخل الذى تهواه خلا
فلو فكرت فيما بعد فيها لما فى سوحها طولت حبلا
فذى الدنيا متى ماتم شغل بدأ من بعده سبعون شغلا
متى أدركت فيها نيل عز فقد أدركت فى التحقيق ذلا

إلى أن قال : —

فسافرنا بعين الله تجرى سفينتنا بنا خبباً وهشلا
جرت تطوى سجل البحر طيا كما يطوى الذى كتب السجلا
وتقطع فى سباسبه لحتى يكون القطع فى ذا البعد وصلا
وترقص إذ تظن الريح نغما وضرب الموج فى الجنبين طبلا
فيجريها بعون الله ريح إلى بر حوى شرفا وفضلا
تركنا أرض نبت سندسى لأرض نبتها أعلى وأغلا
بها الأرواح فى مرعى خصيب وإن كانت على الأجساد محلا
رضيناها ولو ألقت علينا ترابا صار للعينين كحلا
فنمسحه على الأبدان طيبا وننثره على الجلاس فلا

العودة إلى منصور

أفلت دويلة ابن مقيص والناظرون إليها ينشدون قول التهامى :

يا كوكباً ما كان أقصر عمره وكذا تكون كواكب الأسحار

وبعد أن يئسوا منها عادوا فولوا وجوههم مرة ثانيـة شطر منصور بن عمر وإذا هو لايزال منهمكا فى إيقاد نيران الفتن وارتكاب المناهج العمياء فى سلوكه السياسى المذبذب .

تخريب الموزع :

وتجمعت الشنافر وقد هاجت هياجاً شديداً لقتـل حمود بن عبد العزيز وغطرسة منصور بن عمر عليهم ومحاولة إذلالهم . ولم تلبث الحرب أن اندلع لهيبها بينهم وبينه فقطعت السبل وروعت الأهالى وحصرت شبام . وأقبلت الشنافر على الموزع الذى هو خارج البلاد وعليه مدار الرى فى المغارس حولها فحطموه وتركوه خراباً لايفيد شيئاً من صد مياه السيول وضبطها .

فاستغاث السلطان منصور بن عمر وتداخل المصلحون وجلهم من كبار العلويين ودعا الحبيب حسن بن صالح الجفرى عقلاء الشنافر إلى منزله بذى أصبح ووعظهم وألح عليهم فى إطفاء الفتنة التى عم ضررها ، وطال أمدها ، ولم تقتصر ويلاتها على منصور وعبيـده بل تناولت الأبرياء ومن لاحول لهم ولا طول .

وارتفع الحصار عن شبام وتنفس الناس الصعداء واستمر الأمن فى السبل ولم يصل إلينا شىء من شروط هذا الصلح أو الهدنة التى أراحت البلاد والعباد .

الشنافر وتريس :

وشاءت الأقدار بعد ذلك أن تجمع بين منصور والشنافر . وذلك أنه كان بين هؤلاء ويافع عداء مستمر . ولم يفتأ القتال بينهما ينجم من حين لآخر .

وفى ٢٠ شعبان سنة ١٢٥٠ هجم الشنافر على تريس واستولوا على الجانب الشرقى منها وكان بها ابن النقيب السعيد اليافعى . فأدركت يافع من جميع النواحى المجاورة وحصرت الهاجمين حتى أذعنوا وطلبوا الخروج فخرجوا

والتقوا مع يافع شرقى البلد بمحل يسمى الصليب وحصل قتال عنيف بين الطرفين وقعت فيه الهزيمة على الشنافر وسلبت يافع قتلاهم . وقتل من رجال يافع عبد الله بن صالح الجهورى . وجرح عبد الحبيب بن بريك بن النقيب أصابته رصاصة فى رقبته فقطعها الحكيم وسلم .

وبعد هذه الواقعة بلغ غيظ الشنافر من يافع أقصاه حتى دفعهم ذلك إلى التودد والاتجاه نحو السلطان منصور بن عمر ، وطفقوا يثيرون حميته ويوغرون صدره على يافع علاوة على ماقد كان عنده من الحقد مما لا يقبل مزيدا .

البطش بيافع :

ولم يزل منصور بن عمر يناصب يافعاً العداء مرة ويسالمهم أخرى حتى سولت له نفسه الخيانة فيهم فبطش بهم فى نفس شبام بطشة قوية قتل فيها من رجالهم وعيونهم عدداً غير قليل وطرد بقيتهم من البلاد وذلك فى آخر ليلة من رمضان سنة ١٢٦٠ . وطفق الرجل يملأ ماضغيه فخراً بهذا الصنيع . ويكاتب أعيان القطر وسادته مبشراً ومتحدثاً بهذه الهنة التى ظل يعتبرها من سوابغ النعم وعظائم المنن . ولكنه لم يقابله من أولئك الأعيان والسادة أحد إلا بالإعراض والفتور . ولم يأته ولا جواب واحد ماعدى نصيحة طويلة من الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيى العلوى كتبها له إرشاداً ننقل منها مايأتى : —

« . . . . . ثم إن هذا المراد لايتم إلا بمجالسة العلماء والأخذ بما أشاروا به فى هذا المرمى فاسمع ما أشير به عليك تحمد وبكل خير تسعد وذلك سبعة أمور اجعلها همك ووجه إليها عزمك .

الأول : مجانبة الجليس السوء الخاص والعام فالخاص هو الزوجة والخادم والوكيل والوزير . والعام هو المعلم والأنيس والمشير . فبصلاح هؤلاء صلاحك وفلاحك ونجاحك وبفسادهم هلاكك وفسادك وكسادك قال الله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض الآية وقال تعالى والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض الآية وقال صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل ويصاحب وفى حديث آخر المرء على دين زوجته . فاجعل جلساءك الخاصة والعامة أهل الصلاح والدين . وجانب أهل الجهل والفاسدين .

الثانى : إجتهد أن يكون أكلك ولباسك أحل مما تجد واحذر من استعمال الحرام فى ذلك فبالحلال يتنور قلبك ويزيد فهمك . ويرضى ربك وتعرف حقائق الأمور على ماهى عليه ويقوى جنانك على الأعداء ويزيد رعبهم منك .

الثالث : كمال الجد فى الأمر المعروف والنهى عن المنكر فى بلادك وإحياء السنن وإماتة البدع ، وحث أهل العلم على ذلك . واطلب تنبيههم لكم على ذلك واشكرهم عليه وعلى المبادرة إليه .

الرابع : رد جميع القضايا والمنازعات إلى الشريعة المطهرة والحكم بالمعتمد فى المذهب وترك التساهل فى ذلك وترك طلب شئ من الدنيا من الخصمين أو أحدهما وزجر من بذل ذلك لكم وإهانته ورده إليه واشاعة ذمه بين الناس فبذلك يرضى الملك العلام وتنفذ الأحكام . ويتم لكم النظام . وتكونون من الناصرين لدين الله فتظفرون بنصره إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم. وبضد ماذكر تفسد الأمور ، وينقلب الشرع باطلا موجباً للشرور ، ويسقط قدركم وهيبتكم من النفوس ، وتكونون من الذين يلبسون الحق بالباطل وتتشبهون بكل لئيم جاهل .

الخامس : جميع جنودكم ومن تقامونه فى الفتن احترسوا منهم فلا تمكنوهم من أمر ولا تفشوا إليهم خبرا ولا سرا . وإذا احتجتم إليهم فاستعملوهم فى الحرب فقط . والحذر من أن تجعلوا لهم على أنفسكم قانوناً أو امتيازا قط إلا إذا فعل منهم أحد مكرمة . وأتى بمصلحة فجازوه عليها جزاء يرغبه هو وأمثاله فى فعل مثلها .

السادس : المبادرة إلى قلع أصل كل فساد الساعى فى ظلم العباد وأذى البلاد . فبادروا إليه فالوقت هذا مساعدكم عليه فإن شاء الله تتمكنون منه فى أقرب وقت فإذا تمكنتم منه فذكوه ولا تبقوا منه شيئا كما فعل والدكم رحمة الله عليه حتى رأيتم منه ما رأيتم .

السابع : لا بد وأن يكون فى خاطركم شىء من ميل بعض الرعية إلى يافع أيام مشاركتهم لكم وموادتهم اليهم فالحذر الحذر أن تعاقبوا أحدا على ذلك بل اغفروه واصفحوا عنه ولا تؤاخذوا به إذ الحامل لهم مع المشاركة توهمات

حملتهم على ذلك الميل والمودة فاعذروهم . وقد قال الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم إدرأوا الحدود بالشبهات .

هذا ما حضر الآن فاعملوا به تظفروا بفوائده وتعودوا بعوائده والدعاء لكم مبذول والسلام .

١٠ شوال سنة ١٢٦٠ عبد الله بن عمر بن يحيى

حصن السعيدية :

وهو حصن ذو موقع هام بقرب الجبل غربى شبام يحتله الشنافر من آل عبد العزيز ، فكان منصور بن عمر طالما أضمر الاستيلاء عليه حتى سنحت له الفرصة فاستحث عبيده على الهجوم عليه ودفعهم إلى ذلك بالترغيب والترهيب حتى حملوا على من فيه من الرتب (الحامية) فأخرجوهم منه قسرا ولم يلبثوا أن احتلوه سنة ١٢٦٠ هـ .

ومنذ ذلك الحين والحصن يذهب ويجىء بين السلطان منصور ومجاوريه من الشنافرة ويافع حتى ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٢٧١ عند ما سرت من القطن طائفة من يافع دليلها مبارك بن العريان بن عبد العزيز ، ومحمد بن سعيد بن سعيد وهجمت على الحصن المشار إليه فأخرجوا من فيه من الشنافر واحتلته يافع احتلالا نهائيا وشحنوه بالذخائر والمال والرجال .

دار معمر :

وأسرف السلطان منصور بن عمر إسرافا كبيرا فى التحكك بيافع والاسترسال فى السفه حتى عثر عثرته الشهيرة التى أكسبته عارا وشنارا لا تمحوها السنون . وحولت عنه قلوب محبيه وأصدقائه . وقطعت عليه خط الرجعة إلى حظيرة السلم والسلامة ، تلك هى فعلته بدار معمر . وذلك أن المنصور بن عمر أمر عبيده فسروا ليلا إلى القطن وأخذوا يحفرون تحت دار معمر على حين غفلة من أهله حتى تمكنوا من موازاة وسط الدار فوضعوا هناك دبة عظيمة من البارود فى جوفها فتيلة يمتد أحد طرفيها خارج الدبة حيث أشعلوا فيه النار وانطلقوا هاربين .

ولم تمض بضع دقايق حتى أكلت النار الفتيلة ووصلت إلى البارود . فانفجر

انفجارا هائلا تدهور منه الدار من أساسه على من فيه فلم ينج منهم أحد . وكان من سكانه أيضا عقيلتان من حرم الجعدار عمر بن عوض القعيطى قيل أنهما عمتاه هلكن فيمن هلك .

هذه الكارثة المحزنة أحدثت أسوأ أثر فى الأوساط الحضرمية لا سيما الدوائر العلوية ، وأسقطت هيبة منصور بن عمر من النفوس بدلا من أن تنميها وضعضعت من مركزه بدلا من أن تعززه وتقويه .

نزول القعيطى إلى الميدان :

وبرز عمر بن عوض القعيطى من عزلته يومئذ وكان محايدا وإنما حمله على الدخول فى الحرب ما نال حرمه من الانتهاك وما رآه من طغيان منصور بن عمر على عامة المحاربين والمحايدين .

ولم يكن للقعيطى إذ ذاك موقع بحضرموت يمكنه أن يجعله قاعدة حربية له . فكتب مع ثقة عنده إلى آل الضبى بسيون يستميلهم إليه ويطلب منهم مثوى تأوى إليه قواته وقواده فلم ينجح الرسول فى مهمته .

واتصل بالسادة آل عبدالله بن علوى العيدروس فابتاع منهم حوطتهم بالقطن وأشخص اليها نجله محمد بن عمر ومملوكه الماس عمر . وأصبحت منذ ذلك الحين مركزاً للدولة القعيطية بحضرموت . وجهزوا الحملة نحو شبام وعقد محمد بن عمر اتفاقية بينه وبين آل عبد العزيز وكلاهما موتور لمنصور بن عمر ، وحط القعيطى بجيشه فى القارة وحصرت شبام وخرب الموزع للمرة الثانية .

قوم القبلة وحصر شبام :

وأرسل الأمير محمد بن عمر القعيطى فى تجنيد جيش من القبلة (من الغرب) فوصلت الجنود إلى حضرموت أواخر سنة ١٢٦٤هـ وحطوا تحت شبام ودليلهم ابن عبد العزيز فاستولوا على ضواحى شبام وعلى المسلف والحواير والظاهرة وخبايات . ولم يبق مع ابن عيسى م بدر غير بزرق والسعيدية والعقاد وخمير وديار آل زيمة وآل سند . وعسكرت الجنود بالنقرة وكربت نخيل تلك البقاع وقطعت حطبة . وأقامت منه عروشا للجند ، وجعلوا للجيش ثلاث محطات على عدد القواد وهم ثلاثة : قطيان الكربى والجريبى وطالب بن حسين .

وفى بعض ليالى المحرم سنة ١٢٦٥هـ هجمت يافع ومن معهم على سحيل آل مهرى ثم تقهقروا عنه واحتلوا كوتا واحداً لآل مهرى تحت السحيل وابتنوا بجهة الغرب منه كوتا آخر شمالى بير خريبة . وبذلك قطعوا الطريق القديم المؤدى إلى شبام وصار الناس يسيرون إليها بسفح الجبل الغربى ومع ذلك فالرصاص لايزال ينال الممر المذكور من الكوتين . واشتد الحصار على شبام وذعر الناس وبلغ بهم الخوف والضائقة أقصاها . وما برحت خيل القوم تغير حوالى ظويلم وبحيرة . وانقطع طريق حعيمة لتردد الخيل عليها من فرط قبوسة .

نجدة الدولة آل عبد الله :

واستغاث السلطان منصور بن عمر بدولة آل عبد الله الحديثة العهد فانجدته. وكان القعيطى لايزال إلى ذلك الحين وهو سلم لهذه الدولة . وكان يود أن لو بقيت كذلك أى مسالمة له غير متدخلة فى شىء مما يكون بينه وبين منصور ابن عمر . ولكن النعرة القومية الملتهبة جذوتها إذ ذاك بين يافع والشنافر لم تدع للتعقل والرزانة موضعا . فلم يسع القعيطى حينئذ وقد بدأته الدولة بالعداء إلا أن يصمد لها وجها لوجه وهو فى غاية الغيظ والحنق .

وجهة نظر العلويين فى ذلك :

يظهر أن السادة العلويين قد غاظتهم كثيراً حادثة دار معمر فانصرفت قلوبهم بتاتا عن منصور بن عمر وحولوا آمالهم إلى عقد حلف متين بين القعيطى وابن عبدالله . وبذلوا جهودا عظيمة لتحقيق هذا المشروع الذى يعد فى حكم المستحيل نظراً لعصبية الطرفين القومية . واجتمع رجال من ذوى الشخصيات البارزة فى العلويين ببلدة ذى أصبح بدار الحبيب العلامة الحسن بن صالح الجفرى العلوى. وتناولوا المشروع أخذاً وردا وكلهم ساخط من تصرفات السلطان منصور بن عمر متحمس ضده . ناقم على دولة آل عبد الله نجدته والقيام معه .

وأنشدت هناك قصيدة قالها الحبيب محسن بن علوى السقاف فى السلطان منصور حينما أتاه مرة مع رجال من المصلحين ليراجعوه فى قضية إصلاحية فلم يشأ هذا أن يقابلهم ، ومطلع تلك القصيدة :

أيا من تعاظم فى نفسه وعنا تولى ومنا شرد

إلى أن قال : —

وأضحى عن النصح فى معزل وطينته عجنت بالحسد
وظلم العباد له شيمة خصوصا رعيته فى البلد
وقد بطر الحق مستكبراً ولم يرعوى أن نهاه أحد
ولم يستمع قول أهل الحجا إذا مادعوه لطرق الرشد
وقد غره بالإله الغرور فزاد بذاك الغرور أود

إلى أن قال : —

ستقهر ثم إلى القهقرى تصير وأمرك ياذا فسد
وتعزل عما وليت ولا ترى النصر يوما بحول الصمد

إلى آخر ما قال : وتم رأى القوم على السعى فى التوفيق بين القعيطى ودولة آل عبد الله ، وأن يكتبوا أولا فى المجمع كتابا للجمعدار عوض بن عمر على لسان الحبيب الحسن بن صالح ، ويرون رأيه فيما يقترحونه عليه . فكتبوا إليه كتابا مطولا نقتطف منه ما يأتى : —

« والسلطان منصور بن عمر خطيئته خاسرة على دار ابن معمر وقد ألقى فيه ما ألقاه فهو فى ذلك على غاية الإساءة والظلم . والآن الرجا من الكريم المنان أن يكون اجتماع الكلمة أنتم والسلطان غالب بن محسن على رد أموال يافع وإعطاء كل ذى حق حقه وتكون واحدة فى أعلاء دين الله وشريعة رسوله » .

إلى أن قال : —

« وهذه نصيحتنا لك يامحب يامحبوب فالله يوفقك لها ويتقبلها منك ومنا فتقع الموافقة والمعاهدة بينكم وبين السلطان غالب وقد قام الكلام بينه وبين ابن يمانى إلى آخر ما قال » .

وقد أجابهم الجمعدار جوابا مجملا تكسوه المجاملة والاعتذار بلطف . وتيار العداء فى ذلك الحين قوى جارف منحدر من الطرفين فلم تستطع الجهود العلوية أن تصل إلى شىء من غايتها . وحاول أولئك السادة أن يحولوا على الأقل بين اتحاد الدولة مع منصور بن عمر فقصرت بهم مساعيهم عن ذلك على أن مشروع التوفيق بين الدولة والقعيطى لم يمت بل ظل سائراً يظهر مرة ويخبو أخرى حتى جاء أوانه كما سيأتى .

قدوم جيوش آل عبد الله :

وأقبل الأمير عبود بن سالم لفك الحصار عن شبام ومعه جنود كثيرة مؤلفة من قبائل شتى من الحموم والعوامر وآل باجرى وآل تميم ونحوهم مع من لحق بهم من آل كثير ، ومروا فى زحفهم بذى إصبح وتناول الجيش كله غداءه ضيفاً على الحبيب الحسن بن صالح البحر العلوى . واختلى الحبيب حسن بالأمير عبود وصرح له برأيه ورأى كبار العلويين فى أن الدولة فى غنى عن أن تجلب لها عدوا جديداً قاهراً وهو القعيطى . وأن منصوراً ليس من أولئك الذين يرجى خير من قربهم ونصرتهم ، وإن من صالح الدولة بل وصالح القطر بأسره الاتفاق مع القعيطى على إصلاح البلاد وإقامة العدل وتوطيد الأمن وليس من الصالح قط توسيع دوائر الفتن وبذل المجهود فى اضرار العباد والبلاد فوعده الأمير عبود خيراً .

وتحرك الجيش من ذى إصبح بعد الظهر قاصدا محطات المحاصرين ، ولما انتهى إلى حصن قسبل اجتمع رؤساء القبائل وقرروا الحملة والهجوم على الأقوام المحاصرة رغما عن عدم رضى الأمير عبود بذلك اشفاقا منه على الجيش . وعمدت القبائل نحو النقر والأمير يزجرهم معترضا على حصانه فلم يسمع له زجر ولا أمر ، وقد استبدوا أيضاً فكتبوا لحامية البلاد بوقت الهجوم لكى يتخذ هجوم الجميع فى وقت واحد .

وعند الأصيل كانت الحملة من الجهتين . الحامية هجمت من الجهة الغربية بينما الأمير عبود وقبائله هجموا من الجهة الشرقية فارتاع المحاصرون وذعروا واضطربوا ولم تقم لهم قائمة ففروا عن محطاتهم وتركوا العروش بمن فيها من مرضى وجرحى وأثاث . وأسرع بعض المهاجمين فأشعل النار فى العروش . وكثر النهب والقتل ، وأصبح كوت آل مهرى الذى احتلته يافع والكوت الآخر الذى ابتنوه بجانبه منعزلين ومحصورين بأقوام الدولة . وأرادت يافع الوصول إلى حامية الكوتين بزاد وذخيرة فبصر بهم رجال الدولة ولم يكنوهم من ذلك .

وفى اليوم الثانى زحف رجال من جيش الدولة على الكوتين فهجم عبيد ال عيسى م بدر على الكوت الصغير الذى بنته يافع وفيه أربعة من الحامية فقتل أحدهم وسلم الثلاثة أنفسهم . وهجم آل كثير على الكوت الكبير

وضيقوا عليه كثيراً وفيه تسعة أشخاص فطلبوا الخروج فى وجه أحد رؤساء آل كثير . فخرج بهم سالمين بن عبد الله فى خفارته بأسلابهم وكل مايلزمهم . وارتفع الحصار تماماً عن شبام وحارت أقوام القبلة ولم يدروا ماذا يفعلوا ، فأوعزوا إلى بعض الرجال بدون علم يافع أن يفاوض الدولة فى شأنهم ، والمتقدم فى ذلك هو قطيان الكربى فجعلت لهم الدولة شيئاً غير قليل من النقد مقابل رحيلهم وعودتهم إلى بلادهم .

مغبة نجدة الدولة لمنصور :

وبهذه النجدة اندفعت التيارات العصبية تجرف ما أمامها ، وأبحر صريخ يافعى من حضرموت إلى الدكن يستصرخ بالقعيطى لإنقاذ قومه من الطغيان الشنفرى ، وبهذا وما تسلسل عنه من مصادمات مع القعيطى ترى أن مغبة نجدة الدولة لمنصور كانت وخيمة ، وإنها دفعت فى صداقته وعداوة القعيطى ثمناً باهظاً أوقف تيار انتصاراتها الأولى وجعل لها من منصور وتبعاته شغلا شاغلا كانت له نتائجه الوخيمة فيما بعد .

اتحاد الدولة مع منصور :

وبعد أن أنجدت الدولة منصوراً بشبام أخذت تتفاوض معه على الاتحاد وجعلها دولة واحدة . وكان فى أثناء حصار شبام وقوة صيال أقوام القبلة على ضواحيها استطاع منصور بن عمر أن ينسل إلى سيون ليوقع أمام رجال دولة آل عبد الله على ماقررته المفاوضة من الاتفاقيـة التى مؤداها أن يكون منصور بن عمر كفرد من أفراد آل عبد الله . وأن يرفع يده عن الرعايا وعن مطالبتهم بأى شئ من المال ، وأن تدفع له الدولة يوميا سبعة ريال فرانصة . وتم الأمر على ذلك ووقع الطرفان على الاتفاقية واستمرت الدولة فى دفع اليومية له بضعة أسابيع حتى حصلت هنات من منصور تخالف الاتفاقية فقطعت .

قدوم يافع للانتقام :

قلنا أن السادة العلويين قد أحسوا بالشر الناشئ من اتحاد الدولة مع منصور واصطدامها مع القعيطى فحاولوا عبثا أن يمنعوا هـذا القضاء الحاتم

بنفوذهم ونصحهم وأفلامهم . وقد استغل رجال يافع الموتورين من الدولة هذا الاصطدام الذى سمحت به الظروف عفوا فظلوا يحرضون القعيطى على نصرة قومه ، ويذكرونه فعائل منصور وفظائعه ، وشخص وفد منهم إلى حيدر أباد لمقابلة الجعدار عمر بن عوض مصحوبا بكتاب أيضا من الجعدار محمد بن عمر ونجح الوفد فى مهمته وجهزت الامدادات وتوجه المقدم محمد شهر والمقدم عبد الله صالح داؤد مفوضين من قبل القعيطى إلى جبل يافع لتجنيد جنود من هناك . ثم أبحرا من الجبل على ظهر باخرة انكليزية يقودان حملة كثيفة ، وتجمع لدى القعيطى جيشا يتألف من نحو الف وخمسمائة مقاتل من يوافع الجبل وحضرموت يقدمهم على بن حسن الضباعى وأحد السادة آل الشيخ أبى بكر ومحمد المثنى وعلى الحريبى وصائل بن ناجى وغيرهم من القواد المحنكين وركبوا من الهند فى سفائن شراعية فى وقت اضطراب البحر وهيجانه فنالهم فيه أذى كثير من الأنواء والأمراض ومات منهم خلق كثيرون . ووصلوا إلى المكلا منتصف شهر صفر سنة ١٢٦٥ . ومنها توجهوا إلى حضرموت قاصدين القطن ومعهم مدفع واحد وطنبشية وبعد أن ارتاحوا بالقطن من وعثاء السفر اتجهوا نحو شبام ووقفوا عند ديار السلطان عيسى ورموها بالمدفع فدكدك من جدرانها وأثر فيها تأثيراً بليغا وسلم أهلها فاخرجوهم منها على أنهم فى الوجه وهم أولاد عيسى ومعهم جماعة من آل كثير الآخرين .

سقوط سيون :

وزحف الجيش نحو سيون وبقيت الطنبشية والوسطة يحاصرون العقاد ويرمونه بالمدفع حتى استسلم وذلك فى الوقت الذى كانت المعركة محتدمة بسيون والفتنة قائمة .

وأخذوا بعد ذلك يستولون على زبون آل كثير التى حوالى العقاد واحدا بعد الآخر حتى استولوا عليها جميعها .

وفى فجر يوم الإثنين ٢٤ ربيع الأول سنه ١٢٦٥ دخلوا سيون بدون أن يلاقوا أى معارضة فخلو البلاد عن الحامية التى تذكر ، وكان سبب ذلك أن نذيرا ورد لحاميتها من جهة الغرب بأن جيوش يافع متوجهة إلى الجانب الشرقى ، فخرج الأمير عبد الله بن صالح بن محمد ومعه حامية سيون لصدها

حتى وصل إلى القرين من ضواحى بلدة تريس فبات ومن معه هناك ليلة الإثنين وجيوش يافع توجهت شرقا مارة بالمسيال ولم يشعر الأمير عبد الله إلا والصريخ من سيون ولم يكن بها من الحامية إلا أشخاص قلائل لا يعتد بهم ففر أكثرهم وسقطت سيون فى قبضة يافع .

فتنة سيون وحصر يافع فيها :

فلما أن علم الأمير عبد الله بذلك كر راجعاً إلى سيون بمن معه وأرسل صريخا مستعجلا إلى عبيد الدولة بشبام[1] يستنجدهم فوردوا . أما الأمير عبد الله ومن معه فقصدوا الحصن الدويل ونواحيه وحصنها . وأما حامية شبام فسبقوا إلى الدجن وحصنوه وتمكنوا من تحصين جميع الزبون الخارجية غير مسجد جوهر الشرقى ودار خلع أحمد فقد أمسكتها يافع كما أنها استولت أيضاً على السحيل كله إلا حصن الحد وعلى الحوطة كلها غير جثمة . وأقبل عبيد تريم إذ وصلهم الصريخ أيضا فدخلوا سيون من السدة الشرقية وهجموا على دار الحداد وقد احتله يافع فأخرجوهم منه . ولحقت العوامر أمهم ربيع بن جحير فدخلوا البلاد من جانبها الجنوبى واحتلوا ديار جثمة ومسجد سعيد . واحتل الأمير على بن أحمد الموضع المسمى كلابه ومسجد جوهر . وبعد ثمانية أيام من دخول يافع وقع حصن الحد فى أيديهم أيضاً ووصلت النجدات يتلو بعضها بعضاً من آل كثير وغيرهم وأحاطت القبائل والدولة بالبلاد واستحر القتل فى الطرفين واشتد الحصار على يافع حتى اضطروا إلى اغتصاب ما فى أيدى الأهالى من تمر وحبوب وبقر وغنم . وبذل القعيطى أقصى ما فى وسعه الأيصال المؤن والذخائر إليهم . وأوصل كراء الحمل الواحد إلى عشرة ريالات وبقيت الحالة هكذا إلى منتصف جمادى الأولى إذ اشتدت الضائقة كثيراً وكادت الأقوات تنعدم فطلب رجال من يافع الجبل طلباً من الدولة بواسطة مقدمهم صايل بن ناجى أن تسمح لهم بالخروج من البلاد بخفارتها نفسها فرفضت الدولة ذلك .

(١) قيل أنه لما ورد الصريخ إلى عبيد الدولة بشبام وكان عددهم مائة وخمسين عبدا أسرعوا إلى النجدة فمنعهم السلطان منصور بن عمر وأغلق سدة البلاد قائلا إذا كانت سيون قد سقطت فلا أرضى أن تبقى شبام بلا حامية فتسقط أيضا ، وغضب العبيد لذلك وقالوا إن لم تفتح لنا السدة كسرناها ففتحها وخرجوا يتقدمهم فرج بن غالب من عبيد تريم . وهذه الحادثة من الأسباب التى باعدت بين الدولة ومنصور .

فشل السعاة :

وقام رجال من السادة العلوية منهم الحبيب محسن بن علوى السقاف العلوى وجماعة معهم من رؤساء القبائل ساعين فى هذا الموضوع ، وأخيراً قبلت الدولة خروجهم بثلاثة شروط. (١)وضع ما بأيديهم من منهوبات البلاد . (٢) تقديم رهائن للدولة على الوفاء (٣) أن يكون الخروج نهاراً . وكان مع يافع الجبل نحو الثلاثين جريحاً . فرفض صائل تقديم الرهائن وخروج النهار وفشلت السعاة وعاد الحال كما كان عليه .

واقعة جبل المحترقة :

وفى ٢٢ جمادى الأولى صمم نحو الأربعمائة مقاتل من يافع الجبل على الخروج على متون البنادق فخرجوا نصف الليل الأخير . وكان للدولة أكوات مبنية باللقنة موضع على محاذات الغبيل والمحترقة ، وفيها حاميات لاتفارقها ليلا ولا نهارا . وحدث أن وافق تلك الليلة وصول جيوش مجموعة من شبوة ومن الشحابلة وبالليث وبن حيدرة ونهد وغيرهم ، يبلغ عددهم نحو الثمانمائة مقاتل مرسلة من الأمير عبود بن سالم .

وقد تلقاهم الأمير على بن أحمد إلى الغرفة فوزعهم ، وحول آل حيدرة إلى حاميات الأكوات المشار إليها آنفا ، وزحف بالباقين إلى تريس ومن غريب الإتفاق أن وصل آل حيدرة إلى الأكوات قبيل مرور يافع الجبل بها ، وبينما أولئك يتعارفون مع زملائهم إذ مر هؤلاء على حين غفلة فأحس بهم بعضهم واندعرت حاميات الأكوات ورمتهم بالرصاص غير أنهم مروا بدون كبير ضرر ، وبقى منهم جماعة نحو الثمانين شخصاً تخلفوا عن قومهم . فكمن لهم رجال الدولة من العواترة وآل حيدرة وتصدوا لهم فالجأوهم إلى جبل المحترقة فباتوا به محصورين إلى طلوع الفجر وهجم عليهم رجال الدولة وقتلوا منهم أكثرهم وأسروا عشرين وبقى منهم فى الجبل أناس خرجوا بعد ذلك ناجين بأنفسهم على فرط قبوسه إلى القارة .

وبعد يومين ظهر منهم شخص بسلبه فى وادى « جب » على أناس من آل أحمد بن زين الحبشى . وكان هؤلاء السادة قد وجدوا واحدا آخر مستجيرا بمسجد البهاء فاخذوا الاثنين وبلغوهما مامنهما فى القارة .

خروج بقية يافع من سيون :

ثم قام الحبيب محسن بن علوى السقاف العلوى والسلطان على بن أحمد وجماعة من رؤساء آل كثير فأخرجوا بقية القوم من سيون .

قوم ذو حسين وحصر شبام :

وفى أواخر رجب سنة ١٢٦٥ هـ وصل إلى حضرموت خمسمائة مقاتل من قبيلة ذو حسين ومعهم ثلاثون فارساً يطلبون الانتظام فى العسكرية عند القعيطى أو الدولة . وقد كتبوا للدولة كتاباً عند وصولهم إلى الكسر وأجابتهم بالرفض فساروا إلى القطن وتم أمرهم مع القعيطى ، وبدأت خيلهم تغير فاتحة شهر شعبان إلى أن وصلت قبوسه وظفروا برجل من آل كده الكثيريين فقتلوه .

وفى ١٥ شعبان وكان يوم عيد أغارت الخيل والرجالة منهم وبعض يافع على خريف (رطب) المسيلة الواقع جنوبى قبوسة وقطعوه وعلمت بهم القبائل المجاورة من آل كثير فأسرعوا لاسترداد الخريف منهم . وقامت المعركة على ساق وقتل جماعة من الطرفين . وتقهقر الهاجمون إلى المسلف بعد أن طرحوا أكثر الخريف ، وقتل جعفر بن عبد الله بن كدة . واستمرت ذو حسين محاصرة لشبام .

نقب السور وتسللهم ثم حصرهم فى الداخل :

وفى أواخر شعبان من سنة ١٢٦٥ وذو حسين محاصرون شبام أوعز القعيطى لجماعة من آل عبد العزيز وعبيد ليافع وبذل لهم نقوداً وافرة بأن يثقبوا سور المدينة ثقباً كافياً لدخول القوم ففعلوا وحفروا فى السور شمالى السدة الشرقية حتى عملوا نقباً واسعاً بحسب المرام وأعلموا المحاصرين بذلك ليهجموا كما هى الخطة المدبرة . فأقبل القوم وأحس بهم حماة المدينة فأصلوهم ناراً حامية ولكنهم هجموا فقبضوا الشويرع وحصروا به وتبودل الرصاص ودبب البارود وقتل كثيرون واستغاث المحصورون فسعى فى إخراجهم سالمين بن عبد الله فى مقابل نقود بذلها القعيطى بمثابة غرامة .

بين الدولة ومنصور :

بعد أن قطعت الدولة عن منصور ما كانت تدفعه له يومياً وبعد خروج عبيدها المائة والخمسة من شبام لنجدة سيون كما تقدم — حصل فتور عظيم فى العلاقات بين الطرفين وقد تورط الإثنان فى الاشتباك مع القعيطى فى الحرب والفتن وتمنت الدولة لو أنها تسحب كل حاشيتها من شبام بتاتا وتقطع علائقها بمنصور ولكن أنى لها ذلك والشر قد أبدى ناجذيه وبروقه تلتهب من كل ناحية ولا مناص من فتنة إلا إلى أخرى . والدولة قد كلت ولغبت من مساعدة منصور وسئمت مراوغته وصلفه وما ولده لها من المشاكل لا سيما والحروب التى تعانيها هى فى الجهة الشرقية مع آل تميم والمهام العظيمة التى تقابلها والضائقة المالية الآخذة بخناقها كل ذلك يقلق بالها ويرعد فرائصها ، فتركت لها حامية صغيرة لمنصور بشبام ولم تعد تساعده بغير ذلك .

واستمر الحال على هذا المنوال — فتن وغارات وخوف مستمر وشرور متقدة حتى سنة ١٢٧٢ هـ وقد عاد السلطان غالب بن محسن من الهند إلى حضرموت فطمع منصور فى تجديد العلاقات بينه وبين الدولة وعقد اتفاقية جديدة معها .

زيارة منصور لتريم :

وفى منتصف شوال سنة ١٢٧٢ سار منصور إلى تريم مرحبا بالسلطان غالب الذى كان ذلك الوقت بتريم هو ورجال دولته . وقدم منصور كتابا إلى السيد الجليل أحمد الجنيد العلوى ينبئه بأنه سينزل ضيفا عليه وكتب أيضا إلى السلطان غالب إعلاما بقدومه . ولما أن وصل منصور قريبا من المدينة خرج رجال الدولة وعساكرها للقائه خارج البلد وضربوا له الخانات وطيالة الدولة الرسمية وأدخلوه المدينة فى موكب عظيم وزغردة وإطلاق رصاص إلى أن وصلوا إلى المقبرة العامة فزاروا ضرائح المشاهير من الأولياء . ثم دخلوا البلاد بأراجيزهم وطبولهم إلى دار الحبيب أحمد الجنيد العلوى فتناولوا فيها طعام الغداء . وكذا تناول السلطان منصور طعام عشائه مع حاشيته فيها أيضا ضيفاً على السيد المشار إليه . وأما فى اليوم التالى فقد كان غداؤه عند السلطان غالب .

وهكذا أخذ رجال الدولة كبيرهم وصغيرهم يتسابقون إلى دعوته لتناول الطعام فى منازلهم .

الغرض من الزيارة :

وأسر السلطان منصور إلى بعض أعيان السادة العلويين بتريم غرضه من الوصول مؤملا منهم أن يسعوا فى تجديد العلاقات السالفة بينه وبين دولة آل عبدالله وأن يعقدوا بينهما اتفاقية جديدة متضمنة مصلحة الجامعة الشنفرية .

وكان السلطان منصور يتكلم والأذواق تمج مايتفوه به من العبارات المنمقة وتأكيد الوعود . وذلك لكثرة ماشوهد عنه من الغدر والمكر سواء كان يتقصده اختيارا أو تلجئه إليه الظروف اضطرارا . ولم يسع أولئك السادة إلا التوسط فى القضية غير أنهم وجدوا الدولة خالية بتاتا عن الرغبة فى عقد اتفاقية من جديد .

المفاوضة وفشلها :

ولكى يتضح للسلطان منصور بن عمر ماتضمره الدولة جمع أولئك المتوسطون السلطان غالبا والسلطان منصورا فى مجلس حضره رجال الدولة ووضع الموضوع على بساط البحث بكل صراحة . فشكى منصور حراجة الحالة الحاضرة وصرح بأنه يستحيل عليه حفظ شبام من القعيطى إذا لم تساعده الدولة وأنه يرجح أن يتخلى عن شبام للدولة بطيبة خاطر من أن يتولاها القعيطى . وأنه أى منصور — يطلب الاتحاد مع آل عبد الله وتوحيد صفوفهم معا وتنظيم جيهاتهم حتى يتمكنوا من دحر هذا العدو اللدود الأجنبى . وأطال منصور من أمثال هذه الاقناعات التى كان السلطان غالب ومن بمعيته يقابلونها ببرود واضح .

وأكد السلطان غالب بأنه هو أعرف الناس بقوة القعيطى وطول أنفاسه وعظم همته . فهو لم يكن كبقية نخائذ يافع الذين عرفنا كيف نلعب عليهم ونزحزحهم عن مواضعهم . والحقيقة المرة هى أننا نحتاج إلى نقود كثيرة للمقاومة وحفظ ما بأيدينا ، فأنا — يقول السلطان — أرى أن نضرب على تريم وسيون وشبام مبلغا من المال كافيا نجعله أثلاثا متساوية على هذه البلدان الثلاث . وننهض بالدفاع والهجوم فإن القعيطى كما ترون سيشهر علينا حربا

شعواء غرباً وشرقاً . ثم قال : وأمر إليكم همساً أن جمهور السادة وغيرهم من أعيان الرعايا لا يشايعونا قط على عداء القعيطى ولم يزالوا يلوموننا على الدخول معه فى الحرب .

وأجابه منصور بأنك صادق فيما قلت غير أن شبام ميتة ولا تستطيع أن تتحمل قسطاً من المصاريف مهما صغر وقل .

وكان منصور يرمى إلى أن تعاد الاتفاقية السابقة التى تنص على أنه يتسلم يوميا من الدولة سبعة ونصفا من الريالات الفرانصة وأن يبقى فى شبام كأحد أفراد آل عبد الله . ولكن السلطان غالبا خيره بين أمور ثلاثة لا غير . إما أن يبقى حاكما فى شبام وتنجده الدولة عند الحاجة بشرط أن تتحمل شبام ثلث المصاريف . وإما أن يخرج من شبام ويتولى بلدة تريس بدلا عنها وعلى الدولة أن تقوم بجميع مصاريف الفتن والحروب . وإما أن يتخلى عن شبام وتتولاها الدولة ويقيم هو بسيون كأحد أفراد آل عبدالله ويتناول يوميا سبعة فرانصة .

ولما يئس منصور من إجابته إلى ما كان يطلب تظاهر باختيار الثالثة وهو التخلى عن شبام وإرجاء التصديق على الاتفاقية . ثم غادر تريم هو ورجال الدولة معا إلى سيون وهو متظاهر بالرضى والغبطة متقد الباطن حنقا وغيظا وعاد منها إلى شبام .

كوت الركز :

وفى ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٢٧٣ سرت جماعة من يافع ليلا ومعهم مبارك ابن العريان بن عبد العزيز إلى كوت « الركز » وفيه عبيد السلطان منصور ورموه بالمدفع فأثر ذلك فى جدران الكوت وحينئذ هجم رجال يافع على الكوت واستولوا عليه ووصل المسعدون من شبام والتحم القتال ووقع قتل فى الطرفين وأرسل منصور صريخا إلى سيون مستنجدا بالدوله فوصلته النجدة يتقدمها الأمير عبود بن سالم .

استئناف المفاوضة :

وبعد هدوء المعركة والعودة إلى شبام استأنف السلطان منصور المفاوضة مع الأمير عبود وعرض عليه أن تبتاع الدولة منه نصف شبام بدراهم هو

فى حاجة إليها ، ويبقى نصفها الآخر تحت حكمه . فلم يقبل الأمير عبود ذلك ورفضه باسم الدولة رفضا باتا ثم عاد إلى سيون وترك ثلة من العبيد بشبام مع حاميتها .

انحياز منصور للقعيطى :

وفى ليلة ٢٠ جمادى الآخرة خرج السلطان منصور إلى فناء حصن السعيدية فى لقاء مع جماعة من وجهاء يافع وتم الكلام معهم على أن يبيع نصف البلاد للقعيطى ويتسلم الثمن نقدا ولعل المفاوضة فى هذا الشأن قد أخذت مجراها منذ توجه الأمير عبود إلى سيون . وعندما نقد القعيطى الثمن كاملا للسلطان منصور دخل به إلى شبام يحمله له بعض أخصائه ثم عاد وجلس هو وجماعة من يافع فى فناء الحصن المشار إليه وأرسل إلى عبيد الدولة المرابطين بشبام أن اخرجوا من البلاد حالا بدون مهلة وأخبرهم بالاتفاقيه وانقضاء الأمر .

وفى صباح الخميس دخلت يافع إلى شبام فى موكب وزجل عظيم وفى صباح الجمعة دخلها الجمعدار عوض بن عمر وحاشيته .

الاتحاد الكاذب :

بعد انحياز منصور إلى جانب الجمعدار عوض بن عمر القعيطى وامتلاك كل منهما ناصفة من شبام عظمت بينهما المودة الزائفة والصداقة الكاذبة وصارا يتفقان يوميا صباحا ومساء ويتعاشران معاشرة الأحباب غير أن كلا منهما يدبر الخطط السرية لإهلاك صديقه ومحوه من هذا العالم ، وما كان يخفى على كل منهما ما يضمره أحدهما نحو حبيبه . ومضت الأيام والأسابيع والشهور والتدابير تعمل أعمالها فى الباطن دون أن يبدو منها إلى الخارج إلا الأثر الطفيف الذى لا تنهض به حجة . ولا تقوم عليه تهمة . ونفوس الطرفين تتلهف بشوق إلى احتضان الفرص السانحة لإنجاز العمل الحاسم لبت الموضوع وكان القعيطى لا يكره توسيع مسافة الخلف بين منصور والدولة بسيون وإيغار قلب كل منهما على الآخر .

نتائج منطقية :

وفى ذات يوم تولدت فكرة غريبة بين العاهلين وهى أن السلطان المرحوم عبد الله بن عمر بن بدر بوطويرق جد دولة آل عبد الله كان قد خلع نفسه من الملك وولى أخاه بدر بن عمر بإشارة الشيخ الحسين بن الشيخ أبى بكر بن سالم كما تقدم فى بابه . وبدر بن عمر هذا هو الذى اعترفت له الحكومة الأمامية بالملك وقد استمر الملك فيه وفى أعقابه من بعده إلى أن اغتصب منهم . وبناء على هذا فإن منصور بن عمر بن جعفر بن عيسى بن بدر بن عمر هو الوارث الشرعى للملك وهو صاحب الحق فى البلاد ، وليس لأولاد عبد الله ابن عمر أن ينكروا ذلك وإن هم ارتكبوا سبيل العناد فى هذا فالحق ينحاز حينئذ إلى القوة وهى التى تعيدهم إلى صوابهم . ثم اتفق رأى العاهلين على أن يكتب منصور للسلطان غالب وقومه مطالبا بحقه فان أذعنوا وإلا . . . . .

كتاب منصور إلى سيون :

ولسنا ندرى أصادرة عن جد هذه الفكرة من تلك الأدمغة الكبيرة أم عن هزل أم هى من الألغام الخفية التى يضعها القوم لبعضهم بعضاً غير أن الكتاب قد كتب وأرسل بالفعل إلى سيون وهذا ما ورد فيه .

« نعلمكم من شأن سيون أن أردتم تسلمون لنا مفاتيحها وتخرجون منها فهو المطلوب لأنها حق لنا ورثناها من جدنا بدر بن عمر وإذا كنتم قد خسرتم شيئاً فى أخراجكم يافع منها اذكروه لنا ولابد مانسلمه لكم وأن ركبكم الهوى ولا رضيتوا — جوابكم علينا أما كذا أو كذا . . . »

وقد أرسل هذا الكتاب مع دلال من دلالى شبام ولم يتحصل منصور على جواب لكتابه هذا بل قيل أنهم قالوا للدلال قل لمنصور ليس له عندنا جواب ويقال أنهم سألوا الدلال عمن سلمه الكتاب فقال لهم سلمنيه السلطان منصور بحضرة الجعدار عوض .

حادثة الشريف :

فى إحدى شهور سنة ١٢٧٤ هـ دعى السلطان منصور إلى القطن لحضور زواج عند بعض سراة يافع فتوجه إليها مع نجله جعفر وصادف أن وصل

الشريف عبد الرحمن إلى العروض بقوم معه من القبلة وكتب أعلاما للدولة بوصوله ثم يعرض عليها تجنيد من معه (قلمة) قائلا أنه قدم للجند أقوات شهرين وأنه يعرض مثل هذا على يافع ولابدله من استخراج دراهم من حضرموت وإذا لم تقبل الدولة هـذا العرض فإنه سيجند من معه عند يافع .

هكذا يقول الشريف فى كتابه للدولة وأرسل ابنه حسينا إلى القعيطى بمثل ذلك وينذره إذا لم يقبل بأن يدخل فى جانب الدولة . وقد ورد الجواب من السلطان غالب بأنه يمكنه قبول الجند بالقوت والذخيرة فقط أما الدراهم فالدولة لا تستطيع أن تتكفل بدفع شىء منها .

وجاء الشريف الحسين بن عبد الرحمن إلى القطن مصادفا حفلات الزواج الذى حضره منصور فكان هذا لايكره التحريش بين الحسين ويافع جريا على عادته فى الكياد للقوم سراً حتى نشب فى بعض الليالى شجار عنيف بين الحسين وبينهم وتحدى كل منهم صاحبه (ميثان) فقال الشريف : « مالى عذر أعبر بخيلى ورجلى كبد القطن » وأجابه بعض مشائخ يافع : « أن دخلت القطن أدحق (طأ) على رقبتى هذه » وضرب اليافعى على رقبة نفسه وحينئذ توجه حسين إلى العروض فأخبر والده بذلك .

وفى يوم الأحد لعشر خلون من رجب أغار الشريف حسين وجماعته على القطن وتعرضت له يافع والتحمت الحرب بين الطرفين وسقط الحسين قتيلا فى المعركة وعقر فرسه ، وسلبت يافع سلاحه وحصلت خسارة جسيمة فى الفريقين وممن قتل من جانب يافع مبارك بن العريان بن عبد العزيز الكثيرى وقد مر له ذكر فى غير هذا المكان قالوا وهو رجل ظالم فرج الله على الناس من شره .

المؤامرة ضد منصور وأباء محمد بن عمر :

طالما تشوفت وجوه يافع إلى الفرص السانحة للفتك بمنصور والتغدى به قبل أن يتعشى بهم فرأوا أن وجوده بالقطن أيام الزواج من أصلح السوانح لهذا العمل وهى فرصة ربما لايسمح الدهر بمثلها مرة أخرى . فتآمر جماعة منهم وفيهم الماس الحبشى على البطش بمنصور صبيحة ليلة المؤامرة . ولكن الجمعدار محمد بن عمر القعيطى لم يرق لديه هذا الصنيع فتصدى لمعارضته معارضة شديدة أحبطت المشروع تماماً ، محتجاً بأن منصوراً ضيفه ونازلا تحت أمانه ،فالشهامة والمروءة تحتمان عليه أن يحميه حتى يخرج من ضيافته . ففشلت هذه المؤامرة وعاد السلطان منصور إلى شبام سالماً .

قتل منصور وجماعته :

وفى ليلة الخميس ليومين خليا من شعبان سنة ١٢٧٤ هـ دبرت الخطة الناجعة بشبام لقتل السلطان منصور بن عمر بن عيسى م بدر — فدعى ضحوة الخميس إلى دار الخضراء وقد غصت بوجوه يافع فذهب إليها يصحبه ولد عيسى م بدر وثلاثة من عبيده منهم مقدمهم بخيت . ولما وصل منصور إلى الدار صعد إلى المحضرة فوجدها ملأى بأعيان يافع منهم الشيخ عبد الحبيب بن أبو بكر ابن النقيب فجلس يتحدث معهم . ثم دخل رجل . فقال له : أن الجمعدار عوض بن عمر يريد الاتفاق بك فى الطابق العلوى فقام ومعه سبعة من يافع . ولما دخلوا المحضرة العليا التى كان ينتظرهم فيها الجمعدار عوض جلسوا يتحدثون قليلا — قيل أن بعضهم ناول منصوراً كتاباً مزوراً فلما قرأه اعترى ونهض فسبقه أحدهم فضربه بنمشه من ورائه فى رقبته وتمكن منصور قبل أن يسقط من نشر جنبيته وطعن بها ابن الدهرى طعنة خفيفة ثم سقط قتيلا رحمة الله عليه .

وذهب إثنان من العسكر إلى دار ابن عمه على بن عبد الله بن جعفر فدعوه ليلاقيهم إلى الدهليز (الضيقة) فلما نزل إليهم لم يمهلوه فقتلوه وقتلوا أربعة من عبيد منصور وألقى القبض على غالبية آل عيسى وعبيدهم . وفر الباقون منهم مع النساء والصغار إلى الخارج وتحصنوا بسيون وأمكنة آل كثير ، وخلصت شبام منذ ذلك الحين للقعيطى .

بعض صفات السلطان منصور بن عمر :

كان لونه أقرب إلى البياض منه إلى السمرة ، وكان معتدل القامة خفيف اللحية جهورى الصوت قوى العارضة . ولد ببلدة فكاسان من بلدان مادوره إحدى جزر أندنوسيا وهى بجوار جزيرة « جاو » وأمه « من المادورة » وقد ورث عن أخواله شدة التصلب فى الرأى ومعالجة الأمور بالقوة فقط . وهو مع ذلك لطيف المحادثة أنيس المحاضرة حافظة للأشعار العامية السياسية والزوامل التاريخية سخى بما تحت يده من النقود . لا يعرف التوفير ولا الاقتصاد . ومن أجل هذه الظاهرة تراه كثيراً مايقع فى الازمات والضائقات المالية حتى يضحى بشىء من سلطانه فى سبيل الحصول على النقود .

ما يلبسه من الثياب :

كان يتزر بالشياذر الحضرمية الثمينة ، ويرتدى أحيانا عليها الجبب النفيسة الموشاة بخيوط الذهب ، والتى يصل طولها إلى ركبتيه معتماً بالعمائم « المحارم » الهندية متقلداً الخشة المرصع غمدها بالفضة ومتمنطقاً بالجنبية الحضرمية المطرز مقبضها بنقوش الذهب .

حكى لى بعض شيوخ المعمرين من العلويين قال : لا زلت أذكر وأنا طفل لم أتجاوز السادسة من العمر ، والنساء فى جانب الحريم من دارنا يذهبن ويقبلن مشتغلات بتهيئة القهوة والغداء لقدوم السلطان منصور بن عمر الذى ظل اسمه ذلك اليوم ملء أسماعنا . ولم أنس ساعة أقبل السلطان مع حاشيته ودخل فناء دارنا وهبط والدى مهرولا مع جماعتنا لملاقاته فى الفناء وقد ألبستنى يومئذ مربيتى أحسن ثيابى ، وأدخلت أنا وأخ لى أسن منى إلى مجلس السلطان وكأنى الآن أرى السلطان وهو يسأل أبى عنا فيجيبه : هما ولدى . فيبتسم قائلا : ما شاء الله ما شاء الله ثم أخرج من جيبه مطواة ملونة ودعانا إليه وقبل أيدينا ودفع لكل واحد منا ريالا فرانصة .

أما أخلاقه وعقليته فقد مر بك الكثير من تصرفاته التى توضح لك ذلك .

قصيدة ابن النقيب والرد عليها :

للشيخ عبد الله بن النقيب اليافعى قصيدة طنانة كلها من السهل الممتنع والشعر العذب الرقص يشمت فيها بمنصور بن عمر ويذكر قتله وأسبابه وعليها جواب من الشيخ الشاعر الشهير عبد الحق الدمونى أحببنا إثباتهما هنا لعلاقتهما بالموضوع ولما فيهما من الإجادة فى السبك وحسن الإشارة إلى المقصود .

والقصيدتان إنما قيلتا بالشعر الحمينى الدارج لأنه الشعر الذى تستسيغه أفهام العامة وتتقبله أذواقهم وترتسم به أذهانهم وهو لا يكون إلا باللغة العامية دون المراعاة فيه لحركات الإعراب أو التمشى مع قوانين اللغة الفصحى . أما الوزن فهو عماده الذى عليه يعتمد إلا أنه كثيراً ما يفارق أوزان الخليل والأخفش بل يتكيف بأوزان متنوعة تنسقها نسقاً له طبيعة السوانح المنفوثة من نوائح الجوانح .

وربما تعسر على غير الحضرمى أن يتذوق ويستسيغ بعضاً من وزن القصائد الحمينية الحضرمية لعدم تعود لسانه على نطق الدارجة .

وإليك الآن قصيدة ابن النقيب فى مقتل منصور .

ووزنها هكذا : —

مستفعلن فاعلاتن فاع لن فع لن مستفعلن فاعلاتن فاع لن فع لان

قال ابن النقيب :

يارب سالك بالاسماء كلها تنشرح من الخطايا عسى بالعفو يوم النور
اغفر ذنوبى الهى . رب لا تفضح راجيك تكرم بجودك عندى القصور

إلى أن قال وأجاد لولا سماجة الشماتة وغثاثة السباب .

ذا فصل والبارح النوم اشتعف روح طول الوجاه ما هنيته والسهر منكور
الناس ناموا وأنا بطلت فى المسدح لا هم دنيا ولا باطل على مقهور
الحمد لله نور القبولة يذلح لانا بلا قوت فى الصفرا ولا محصور
العز يكفى وسطها إذا نا اتبجح من ساحة الحصن لما دارنا المشهور
يسلم عمر بن عوض فوق العدو ديح بالحال والمال والمدفع عليه يثور
وحملة الشرق لى خافته يوم أكلح فى الركز شاف القيامة بعثها ونشور
وصلوه ربعه كما الاظباء سوا ترزح وخلوا العبد يدحا فى الجبل مكسور
يدعون من فوق طيب يا وليد افتح واهل اللمش فى تلاهم هلبوا زمهور
من بعدها ديف المكسور مارنح ولا حسب لى بقلبه عندنا محزور
عينه بقطعات با يذبح وبا يقدح غايب يدوم الجماعة هاك بالمقصور
تفخوك بالعيب كل فيك يتمدح ذا خلع بيدك خلعته فيش من محذور
دثرك وقع لك تفطن من قتل لكسح وبن عزيز إيش لقى فيك يا القنتور
ما حد يشاركك بحرمه صوبها ينضح ما يصلح العقد بين اثنين يا لمدمور
فى الأوله قد قمرت الناس بالجلح والثانية غاب سحرك فر يا لمسحور
وقعوا له آساد غاصوا له وهو يسبح لقفوه من منزله حوش بهم قنبور
ولو هو الأسبق كلين با يفرح وبا يقولون دامت بيده النبور
قم يا رسولى من الدمنه شبام اسرح حلو وسطها بنى مالك رجال صدور

لى ذللوا صبعها خشفوه وتسمح ... من بعد ما كان يطمر فى السماء مذعور
يالمعتنى فوق مهرى مصطلح يجمح ... مر تحت قبل يحذف بالزبد معكور
توك بوادى العجل مر تحب ذى أصبح ... نسم خطامه ومن بعض الحجج مقصور
فى حيد قاسم يميح طير ما يبرح ... فوق المسيله منجد منطلق مشحور
توك وعبره فى الحيوار يتقزح ... من كوث عامر وقبله لا تجى للسور
واقصد إلى الشعب ذى هو بالرصاص أفلح ... نعمته لى غيم الباروت فوق القور
فيه آل سلمه دريك الحرب لى صيح ... وارم المعلم سعيد اشرح له المسطور
قل له يقول السعيدى غيثنا طرح ... فوق المدينة تهنا نخلها وذبور
ما هو كما غيثكم كل لغب يلفح ... يرعد ويبرق وتاليه ارتكزن عكور
شف من لغب ما لغبنا كان يوم افسح ... واليافعى دوب وقته يذلح المنزور
حدرا وعلوى شفوا من ذل يتفلقح ... من لا تفكر لنفسه ليت له معقور
ذا وقت كل بعقله من ظمى ينزح ... من شاوف الناس يحرم لاضوا محبور

وأجابه المعلم عبد الحق وقال :

لاحت بروق الظفر فى الليل ذى جوح ... وحن رعد الجميلة فوق رؤوس القور
من فوق يحجم والمزن تطرح ... فتكت سيوله وروا ذبره المعمور
وجا مكتب وقال أن لا أنت خصم افرح ... يافع طووا الآل عيسى م بدر بالا حصور
ذى سيرهم كان فى ظلمة بليل اكشح ... واليوم من بعد تلك الظلمة أمست نور
والوعل ذى كان فى الأحبار يتبجح ... ما يعرف الدقم خايف دثره المدثور
فى الجو راسه إذا شاف القنص زوح ... غير الأجل فى الصحايف يوم له محزور
يوم انقضى العمر من شاهق جبل لوح ... ولعاد عرقه شبا منها ولا ثعزور
من غيرنا هل ورد للدقم ويتسمح ... عسفوا قرونه وشربوا دمه المنثور
تقنو فعائله ذى تازى وذى تجرح ... والا فوالله ماحد يقتل المأسور
الجيد اللى قتل من سوفها نفرح ... ليته قتل يوم لاقى تحت فقشى الدور
غير المنية رمت به بن عصم لبيح ... ماعاد يعزم بنفسه لو يكن معذور
ما تصمد الحذفة الأكل راس اقرح ... ومن ذرى بر حصل ذريديه المبرور
ومن ذرى شوك مثله قط مايربح ... هو من ذرى ذرى للحيله كما منصور
أشغله بيع المنحة شافها تنضح ... ولا اشغلته البقش ذى تكسر العبرور

الفقر يازى وذكر الفقر لاصبح ... وصاحب الفقر يقطب زنده المسور
ياعازم اعزم من الشعب الورب واسرح ... فى الحال من داربحرى المسجد المشهور
حليت فى وسط غلمه للبلا تنطح ... وفى الضنك كل مترس منهم مخبول
إستنشق الظرف فى متناتهم واروح ... والقامزى شغل ذى حلان تحت الدور
سمح بخطى مبحر سعف من سمح ... واقصد شبام التى مكسورها مجبور
تلقا محمد إذا جا الضيف يتفرح ... وان لاضوى بات فى جنح الدجى مذعور
قل له مهنى لكم فى الفلك ذى طرح ... ذى كسروا يافع ادقاله وهو مصمور

إلى أن قال : —

ياعانى اقصد لمن فى ديرته رنح ... من بعد شدة ليالى قد مضت وعصور
خصه سلامى وقل له يالسعيدى صح ... صوب المعلم وهو من شانكم معكور
وصل كتابك وبطنه كل سطرا سمح ... كانه من النحو فيه الجار والمجرور
صحت ؟ والا خبركم عاد ما اتصحح ... ولا تعين لى القامر من المقمور
الحرمة العاقر اللى صوبها ينضح ... صارت لكم بكر بعد الماسى المكسور
والصقر ذى فى الهوى يصقر إذا ميح ... برح وصارت عيونه من فعاله عور
ذالا من السعد والا كان ما يبرح ... غزلوا يفوعه شبك من غزله المنزور
ذكرت عينه على قطعات بايذبح ... كله على البال مافى ذا الزمن منكور
هذا جوابك وتذكر عبشكم يذلح ... وغيثنا بعد رعده ارتكزن اعكور
كله من الريح لى منه المزن تلقح ... يوم استعف صار غيث القبوله منخور
ولعاد حوس ونخل المدعى صوح ... دبر لساعة حصاده وأحكم التدبور
أيام من شقها الباروت يتسمح ... ليله بليله يفلح يافتى قرقور
كم من جميلة وكم جوده بها فلح ... ذا وانت حاضر وسرنا فى نعم وسرور
ذا قال ماهو كما منصور بايشرح ... لى حطحط الحيد قطبها متن واظهور
نحن وانتم فسحنا والعدو مافسح ... إلا ان اظهر سيل منكم ذى يزوع القور
والخصم ياخو على بالصلح يتفرح ... قايس من أرض التميمى بايقع مقصور
طرحت رزايع عجبنا ذى كوى نجح ... لكل من سار عرض الحد هو مقصور
أمسى كما الفار وسط الغاز ذى يلفح ... وفوق ذلك طرحنا تحته النور
ومن لغب خلها فى الديم لا تفذح ... قد خير يبقى المخبا بينا مسرور

خاتمة الجزء الأول

إلى هنا ينتهى الجزء الأول المشتمل بعد التمهيد على قسمين ، القسم الأول عن الدولة الكثيرية الأولى ، والقسم الثانى عن الفترة الواقعة بين الدولتين وسلطات الطوائف التى توزعت أمر حضرموت وما نشأ فى هذه الفترة من دويلات ضعيفة الحول والطول . ويلى هذا الجزء الثانى ويبدأ من قيام السلطان غالب بن محسن الكثيرى مؤسس الدولة الكثيرية الثانية ومجدد المجد الكثيرى المندثر .

الفروق

بين المتشابهة أسماؤهم من سلاطين الدولة الكثيرية وامرائها

نذكرها لئلا يحصل الالتباس على القارىء

الرقم	الاسم	السنة
	علي بن عمر بن كثير	٦٧٥
١	علي بن عمر بن جعفر بن بدر بن محمد بن علي بن عمر بن كثير.	٨٣٠
١٢	علي بن عمر بن جعفر بن عبد الله بن علي بن عمر بن جعفر بن بدر.	٩٤٩
	علي بن عمر بن بدر بوطويرق	١٠١٢
	———	
٣	بدر بن علي بن عمر بن جعفر بن بدر بن محمد بن علي . .	٨٤٢
٣١	بدر بن علي بن عبد الله بن عمر بن بدر	١١١٣
٤٠	بدر بن علي بن عمر بن جعفر بن علي بن عبد الله بن عمر بن بدر.	١٢٢٣
	———	
٤	محمد بن علي بن عمر بن جعفر بن بدر	٨٣٥
١٤	محمد بن علي بن عمر بن جعفر بن عبد الله بن علي بن عمر .	٩٧٥
	———	
	جعفر بن عبد الله بن علي بن عمر	٩٠٥
١٨	جعفر بن عبد الله بن بدر بن عبد الله بن جعفر . . .	٩٩٠
٢٤	جعفر بن عبد الله بن عمر بن بدر بوطويرق	١٠٥٣
	———	
٥	محمد بن عبد الله بن علي بن عمر	٨٥٥

الرقم	الاسم	السنة
١٠	محمد بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن على بن عمر . .	٩٧٥
	محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن على .	٩٦٥
٦	بدر بن عبد الله بن على بن عمر	٨٥٥
١١	بدر بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن على بن عمر الملقب بوطويرق .	٩٧٧
٢٢	بدر بن عبد الله بن عمر بن بدر بن عبد الله بن جعفر . .	١٠٣٠
٨	عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن على بن عمر . . .	٩١٠
١٣	عبد الله بن جعفر بن عمر بن محمد بن عبد الله بن على بن عمر .	١٠٠٠
٩	بدر بن محمد بن عبد الله بن على بن عمر	٩١٥
٣٠	بدر بن محمد المردوف بن بدر بن عمر بن بدر . . .	١١١٣
١٧	عبد الله بن بدر بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن على بن عمر	٩٨٤
	عبد الله بن بدر بن عبد الله بن عمر بن بدر بوطويرق . .	١٠٤٠
٢٧	عيسى بن بدر بن عمر بن بدر بوطويرق	١٠٨١
٣٢	عيسى بن بدر بن على بن عبد الله بن عمر بن بدر بوطويرق .	١١٤٠
١٥	محمد بن بدر بن محمد بن عبد الله بن على بن عمر . . .	٩٤٨
٢٦	محمد بن بدر بن عمر بن بدر بوطويرق الملقب بالمردوف .	١٠٦٠

الرقم	الاسم	السنة
٢٨	علي بن بدر بن عمر بن بدر بوطويرق	١٠٩٣
٤١	علي بن بدر بن علي بن عمر بن جعفر بن علي بن عبد الله بن عمر بن بدر بوطويرق	١٢٢٤
	———	
٣٣	عمر بن جعفر بن علي بن عبد الله بن عمر بن بدر بوطويرق .	١١٣٠
٤٣	عمر بن جعفر بن عيسى بن بدر بن عمر بن بدر بوطويرق .	١٢٤٣
٤٢	عمر بن جعفر بن علي بن عمر بن جعفر بن علي بن عبد الله ابن عمر بن بدر بوطويرق	١٢٤٣

مصادر الكتاب

أنس السالكين	لباهرون العلوى
برد النعيم	لشيخ الخطيب
تاريخ باخرمة	لابن الطيب
تاريخ ابن حميد	للشيخ سالم بن حميد
تعليقة العطاس	للسيد أحمد بن حسن العطاس العلوى
دشتة بافقيه	للسيد عبد القادر بن علوى بافقيه العلوى
السناء الباهر	للشلى العلوى
صلة الأهل	للشيخ محمد بافضل
كلام ابن سميط	للحبيب أحمد بن عمر بن سميط العلوي
كلام الحبشى	للحبيب عيدروس بن عمر الحبشى العلوى
مذكرة غالب	للسلطان غالب بن محسن
نزهة الأسماع والأبصار	للجرموزى
النور الباهر	للسيد عبد القادر العيدروس العلوى

فهرست الأعلام

الكلمة	الصفحة
(ب)	
بَاجِلْحَبَان	٢٤
بَاعَبْدَ الله	١١١
بَاعِطِير	١٣٦، ١٥٢، ١٥٤
بَحْرَان	٧٣، ٩٢
البَحْرَيْن	١١٢، ١٢٥
بَحِيرة	١٧٠
بُرُوم	٦١
بَزْرَق	١٦٩
بِضَه	٤٧، ٥١
البَضْع	١٥٥
بُوْحَة	٦
بَوْر	٣، ١٣، ١٤، ١٧، ٢٤، ٢٦، ٤٩، ٦٠
بَيْحَان	٨١
بِيْرَعَامِل	٣٠
البَيْضَاء	٢٥
(ت)	
تَرِيم	٢، ٤، ٥، ٧، ٨، ٩، ١٤، ٢١، ٢٢، ٢٥، ٣٠، ٣١، ٣٨، ٤٩، ٥٢، ٥٣، ٦٩، ٧٤، ٩٠، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٨، ٨٩، ١٠٣، ١١٢، ١١٦، ١١٧، ١٨٨، ١١٩، ١٢١، ١٢٢، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٦٣، ١٧٥، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠
تَارِبه	٣، ٧٦، ٩٢، ١٠٦، ١١١
تَبَالِه	٣٩، ٨٤
تَعِز	٥

شجرة أنساب سلاطين الدولة الكثيرية وأمرائها

وقد وضعنا أرقاماً على أسماء أولئك الذين نقلنا شيئاً من أخبارهم في هذا الكتاب

مؤسس الدولة الكثيرية

علي بن عمر بن جعفر بن بدر

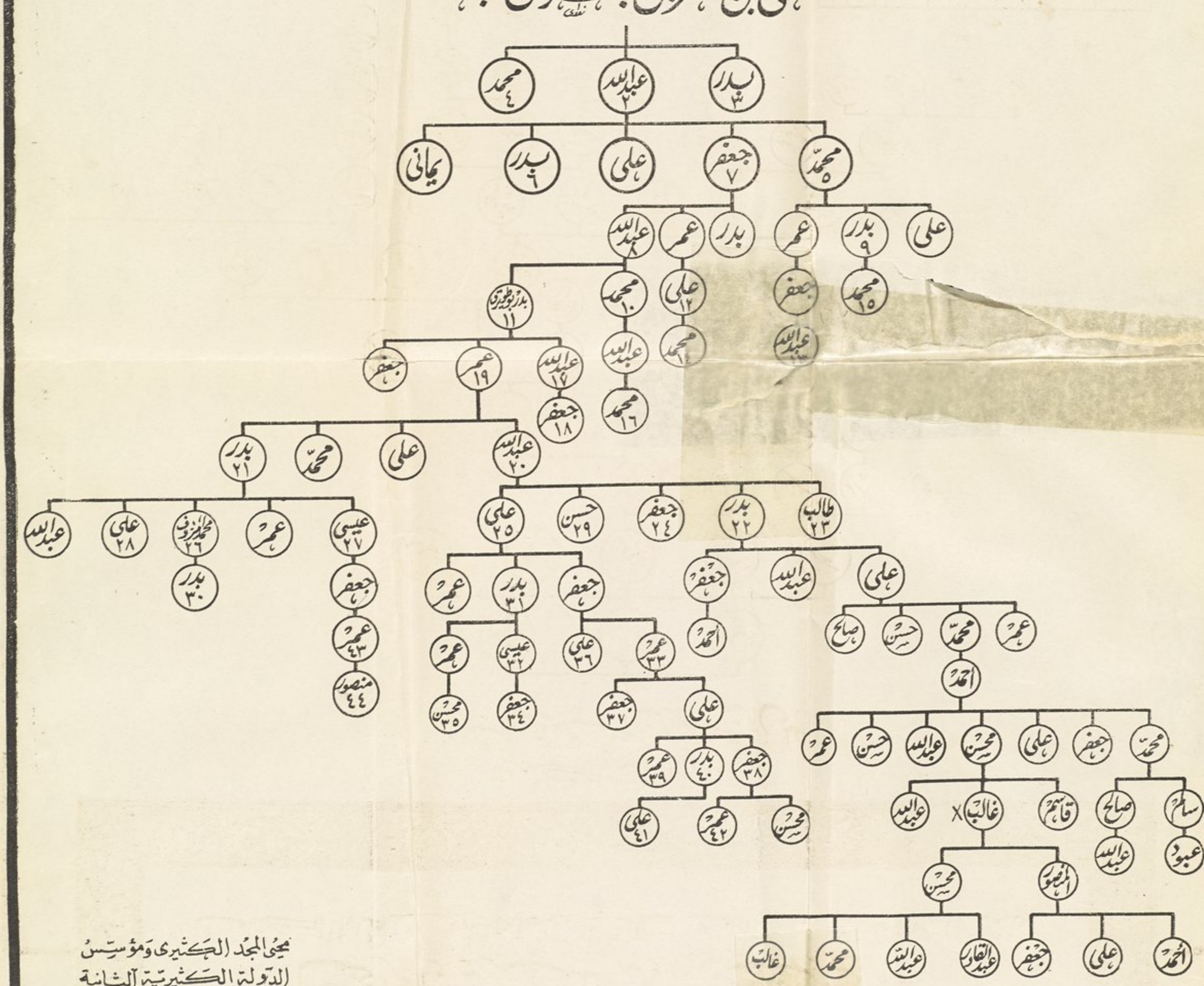

محيي المجد الكثيري ومؤسس
الدولة الكثيرية الثانية

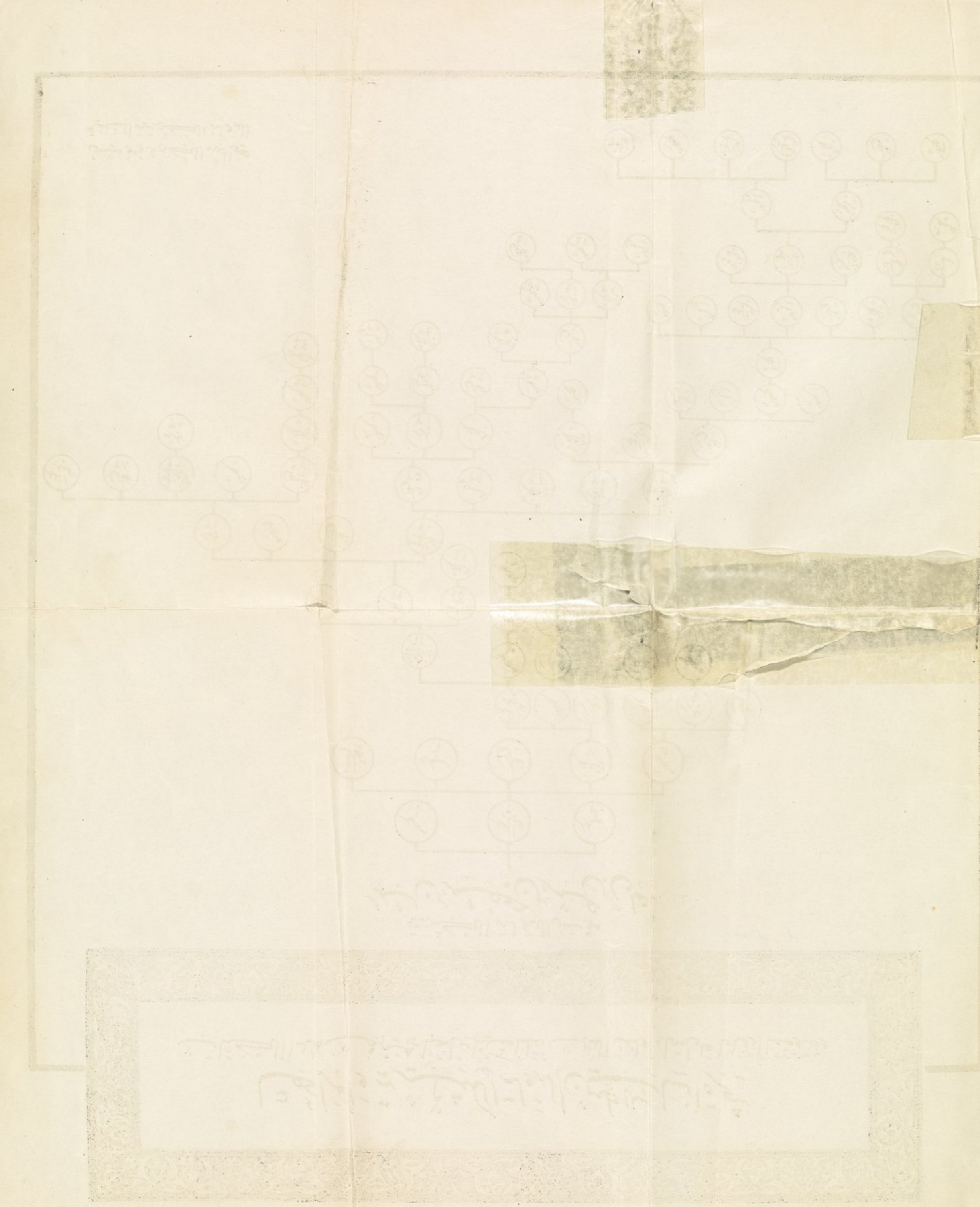

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library
32101 074441849